المملكة العربية السعودية

وزارة المعارف

قامت وزارة المعارف بطبعه وقررت تدريسه في المدارس الثانوية

1987

المطالعة الثانوية

الجزء الأول

مکتبہ احمد شریف فتوری نقشبندی مجددی
ذخیرہ
لاہور پاکستان

تأليف

محسن أحمد بارُوم — جميل احمد ابو سليمان

احمد عبد الله ابراهيم — احمد الرفاعي حسنين

الطبعة الثالثة

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

يُوزَّع مجانًا

وأيَّة نسخةٍ تُباع تُعتَبَر مسرُوقَة

Marfat.com

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

قامت وزارة المعارف بطبعه وقررت تدريسه في المدارس الثانوية

المطالعة الثانوية

الجزء الأول

تأليف

محسن أحمد بارُوم — جميل احمد ابو سليمان

احمد عبد الله ابراهيم — احمد الرفاعي حسين

الطبعة الثالثة

١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦

يُوزَّع مجانًا
وأيّة نسخة تُباع تُعتبر مسروقة

Marfat.com

59996

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على آلائه وتوفيقه لنا القيام بتأليف كتاب « المطالعة الثانوية » لأبنائنا طلاب المرحلة الثانوية لنسد به فراغاً طالما شعر به المدرسون ، ونقضي حاجة ملحة كثيراً ما استبدت بنفوسنا ونفوس زملائنا المربين ... تلك حاجة طلابنا الى كتب تشتق موضوعاتهـا من واقع البيئة المحلية وتستمد أمثلتها وأفكارها من روح الحياة الاجتماعية والفكرية في قلب جزيرة العرب الى حد كبير ، ولكنها تمـد نطاقها بعد ذلك الى دائرة الوطن العربي الكبير لتصور وحدة الشعور وقوة روابط الفكر والعاطفة بين أقطاره المتعددة حتى ينشأ الطالب في هـذا الطور الهام من أطوار نموه الانساني وهو مزود بألوان من المعرفة وضروب من الأفكار والخبرات الخصبة التي تصقل نفسه وترهف ملكات عقله وتنمي احاسيس الخـير والحق والفضيلة في طوايا روحـه وتفتح له في نهاية الأمر نوافذ واسعة يطل منها على جوانب كثيرة في دنيا الثقافة المعاصرة .

وقد حاولنا جهد الطاقة ان يكون كتابنا هذا محققاً لما يرجوه المدرس والطالب فيه على حد سواء حتى يجدا فيه زاد الفكر ومتعة النفس وأشواق الروح وترويض العقل على إساغة ألوان القراءة الجيدة المفيدة التي تدفعه في نهاية الأمر الى استشراف دائم وتطلع قوي الى حياة انسانية أفضل .

فان حققنا ذلك كان ما نرجوه وان كانت الأخرى فقد بذلنا أقصى الجهد وقدمنا أحسن ما نستطيعه من انتاج .

والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير .

المؤلفون

Marfat.com

Marfat.com

من القرآن الكريم

قال تعالى من سورة الشورى :

(٢٦) وَلَو بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ
يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي
يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ
ٱلْحَمِيدُ (٢٨) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ
فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُم
مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنْتُمْ
بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
(٣١) وَمِنْ آيَاتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ
يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ
كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ
(٣٥) فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَٱلَّذِينَ

Marfat.com

يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ
(٣٧) وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلٰوةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ
بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ
يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ
فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ ٱنْتَصَرَ بَعْدَ
ظُلْمِهِ فَأُولٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
(٤٣) وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى ٱلظَّالِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَاهُمْ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ
وَقَالَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ ٱلْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ أَلَا إِنَّ ٱلظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُمْ
مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
سَبِيلٍ (٤٦) ٱسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ
لَهُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ
(٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا

Marfat.com

ٱلْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨) لِلّٰهِ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللّٰهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ ٱللّٰهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَلَا إِلَى ٱللّٰهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ . (سورة الشورى)

التفسير

الآية	الكلمة	معناها
٢٧	لبغوا	لطغوا وتجبروا . أو لتظالموا
٢٧	بقدر	بتقدير محكم
٢٨	قنطوا	يئسوا من نزوله

Marfat.com

٢٩	بث	فرق ونشر
٣١	بمعجزين	بفائتين من العذاب
٣٢	الجوار	السفن الجارية
٣٢	كالاعلام	كالجبال . أو القصور
٣٣	فيظللن رواكد	ثوابت
٣٤	يوبقهن	يهلكهن بالريح العاصفة
٣٥	محيص	مهرب من العذاب
٣٧	الفواحش	ما عظم قبحه من الذنوب
٣٨	أمرهم شورى	يتشاورون فيه
٣٩	أصابهم البغي	نالهم الظلم
٣٩	ينتصرون	ينتقمون
٤٢	يبغون	يفسدون
٤٥	خاشعين	خاضعين متضائلين
٤٥	من طرف خفي	بتحريك ضعيف لأجفانهم
٤٧	نكير	انكار ينجيكم
٤٨	فرح بها	بطر لاجلها
٥٢	روحاً	قرآناً أو رحمة
٥٢	الايمان	الشرائع التي لا تعلم إلا بالوحي

Marfat.com

القراءة وكيف نستفيد منها

أمامك يا بني – قصتان – احداهما في التصوف وهي هندية والاخرى في المنطق وهي انجليزية .

فأما القصة الصوفية فهي ان « بلاشاه » احد اوليساء « بنجاب » ارسله ابوه – وهو طفل الى الكتاب ، فكتب له المعلم « أ » و « ب » وأمره ان يحفظهما ويكتبهما ، فوقف بلاشاه عند الالف لا يحسن تعلمها ولا كتابتها والاطفال الذين دخلوا معه الكتاب ساروا شوطاً بعيداً فأتموا حروف الهجاء الى الياء وانتقلوا الى ما بعدها وصاحبنا واقف عند الالف لايتعداها ومرت اسابيع على هذه الحال والموقف لم يتغير وأخيراً ضاق به المعلم ذرعاً وأخذه وذهب به الى ابيه وقال : ان ابنك ناقص العقل غير قابل للتعلم ولست بمستطيع تعليمه .

فحاول أبوه أن يعالج هذا النقص وعرضه على معلمين آخرين ليتحرك من الألف الى الباء فما أمكن وحز هذا في نفس الطفل وأحس أنه حمل ثقيل على والديه وانهما يئسا من نجاحه ففر الى غابة وأقام فيها وذهنه مشغول بمظهر الالف ونكبته بها فأدرك ان الالف تظهر له في الحشيشة النابتة في الغابة في جذع الشجرة في كل فرع من فروعها في كل ورقـــة من أوراقها في الجدول الذي يشق الارض في جسمه منتصباً في الجبل الضخم يشرف على الوادي في جسم الحيوان ممدوداً في كل شيء فليس الا الالف ، والعالم كله وحده هو الف او جملة الفات وهو متشابه التركيب او هو واحد التركيب اليست الالف في أصلها نقطة ثم بنيت عليها نقط فكانت الالف ، فالعالم كله نقطة تكونت منها الفات وهو اذا كتبها فانه عندما

Marfat.com

يلمس القلم الورقة ترسم نقطة ثم بامتداد القلم يكرر النقطة فتكون الفاً ثم تعدد الاشكال وتختلف الاوضاع والأصل واحد والجوهر واحد وقد يطغي الشكل على الاصل فلا تلتفت اليه النفس البلهاء ولكن اذا دقق نظره وطهر فكره عرف وحدة الاصل ووحدة الخالق ثم هذا العالم مكون من الفات والالف مجموعة نقط والنقطة صفر والصفر لا شيء وليست الالفات الا مظاهر تساوي اصفاراً وتخفي وراءها خالقها كما يختفي وراء الالف كاتبها فلا شيء إلا الخالق ولا شيء الا الله .

فرح الطفل بفهم درس الالف وتذكر فضل المعلم عليه لانه هو الذي علمه ولم يكن يفهم فطرده من الكتاب لجهله فنزل من الغابة الى المدينة وذهب الى المعلم وقبل يده وقال له : لقد تعلمت درس الالف وفهمته فهل تتفضل وتعلمني الدرس الذي يليه .

ضحك المعلم من سخافته وأراد ان يمتحنه فسأله ان يقرأ الالف ويكتبها فقرأها وكتبها وشرح للمعلم ما فهم منها فدهش المعلم وحار عقله مما سمع وقال للطفل : يا بني اولى بك ان تكون انت معلمي وقد تعلمت من حرف الالف ما لم اتعلمه انا من كل دروسي وقد استفدت ما لم يستفده كل اطفال الكتاب ومعلميهم من الالف ولا من الياء ولا من كل الحروف متفرقة أو مجموعة . فأخذ بلاشاه يغني :

« ايها المعلم جنبني علمك فلست في حاجة الا الى الالف لقد اثقلت عقلك بعلمك واثقلت بيتك بكتبك وضاعت المعرفة بين كثرة العلم وكثرة الكتب فجنبني طريقتك . أي معلمي قد يكون الفرق بين الحق والباطل شعرة وقد يخفي الحق عن الانظار نسيج مهلهل وربما كانت الالف مفتاح الكنز . قالت لي روحي : اني راغبة في المعرفة الحقة فعلمنيها ان استطعت . قلت الف . قالت : ذاك يكفيني فالانسان اذا تفتحت نفسه وصدق نظره كفاه حرف واحد . »

Marfat.com

هذه هي القصة الصوفية واما القصة المنطقية فهي ان شاباً قص على سيدة برنامجه في يومه فقال :

اني اذا استيقظت صباحاً أقرأ « اجرومية » اللغة البرتغالية في اثناء حلقي ذقني ثم اقرأ ساعة في اللغة الاسبانية قبل افطاري فاذا افطرت ترددت بين القراءة والكتابة الى الغداء .

واستمر يقص عليها كيف يقضي نهاره وجزءاً من ليله بين قراءة وكتابة واكل وحديث والعاب رياضية الى ان ينام وهكذا دواليك .

انصتت السيدة الى حديث الشاب حتى اتمه وصمتت برهة ثم قالت :

هذا كله حسن يا صديقي ولكن قل لي متى تفكر ؟

وكان صمت وكانت حيرة في الجواب .

كلتا القصتين ترمي الى غرض واحد وهو التقليل من قيمة القراءة الكثيرة من غير تفكير ورفع قيمة التفكير ولو في الدرس القليل .

ما اكثر ما نقرأ وما اقل ما نفكر وقد رأينا أن التفكير في الالف انتج اكثر الف مرة ما ينتج من حفظ حروف الهجاء كلها ومركباتها من غير تفكير . لقد حدثوا عـــن « ديموقريطس » الفيلسوف اليوناني انه قلع عينيه لئلا يشغله النظر عن التفكير وحدثوا حديثاً اخف فظاعة من هذا عن « فيثاغورس » انه كان يقضي ليله في التفكير العميق في احداث يومه ولسنا نتطلب هذا ولا ذاك ولكنا نتطلب تفكيراً يعادل القراءة وتأملاً يوازن النظر .

القراءة جمع ازهار والتفكير تأليف طاقة .

القراءة جمع خرزات والتفكير نظمها في عقد .

بل القراءة جمع ازهار وحشائش وضم حجر كريم الى حجر غير كريم والتفكير اختيار الصالح واختيار المناسب واستبعاد الفاسد واستبعاد غير المناسب .

القراءة ضم عقيم الى عقيم والتفكير قدرة على الاستيلاء حتى من العقيم .

Marfat.com

قراءة الكتاب وحفظه زيادة نسخة مطبوعة منه والتفكير نفخ الروح في الصورة ورد الحياة الى الميت .

كثرة القارئين في الامة زيادة مكتبة جامعة فيها وعقل مفكر واحد باعث الروح ونور الظلام وحافز الهمم وهادي الطريق .

كما ان في الكتاب كاتباً مقلداً وكاتباً منشئاً وكاتباً ناقلاً وكاتباً مبتكراً كذلك في القراء قارىء ناقل وقارىء ناقد وقارىء مستقبل لاقط وقارىء مبتكر منشيء .

القارىء المنشيء هو الذي يقرأ الصفحة او الجملة فيولدها ويشعر انه تفتحت له منها آفاق للتفكير كأنه يطل منها على العالم يدرك وجوه الشبه بين الافكار ووجوه الخلاف يدرك وجوه الفروق الدقيقة بين ما يظنه الناس متشابهاً ووجوه الشبه الدقيقة فيما يظنه الناس متخالفاً .

القارىء الصادق يأبى ان يجعل عقله مستودعاً للأشياء المتناقضة ثم يتركها كما هي متناقضة انما يعمل فكره ليكون مما في عقله وحدة متجانسة بعد ان يطرد منه ما لا ينسجم مع هذه الوحدة يصفف افكاره في نظام كما يصفف التاجر اللبق سلعته ونستبعد منها الزيف كما يستبعده التاجر الامين .

القارىء الناقد هو الذي اذا قرأ فهم فاذا فهم قوّم فاذا قوّم احتفظ بالصحيح واستبعد الزائف فاذا احتفظ بالصحيح فكر في العلاقة بينه وبين ما سبق له ادخاره في ذهنه ثم كون من ذلك كله وحدة متجانسة ينظر من خلالها الى العالم ويصدر بها حكمة على الاشياء .

ما أشقه من عمل ولذلك لم يستطعه في كل امة الا الابطال .

أدرك هذا بلاشاه وأدرك تبعة المعلومات يحصلها وعظم الواجبات للفكرة تحل في عقله فلم يرض ان يحمل عبئاً غير عبء الالف .

وأدركت هذه السيدة فارتاعت من كثرة ما يلتهم صديقها من غير هضم وارشدته في لطف الى ان خير ما أكل ما هضم .

ألست معي في ان القصتين طريفتان ؟

Marfat.com

القرآن

جاءنا الخبر المتواتر الذي لا تتطرق اليه الريبة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في نشأته وأميته مثالاً للخلق الكامل ، وتواترت اخبار الامم كافة على انه جاء بكتاب انزل عليه وان ذلك الكتاب هو القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ في صدور من عنى بحفظه من المسلمين الى اليوم .

كتاب حوى من اخبار الامم الماضية ما فيه معتبر للاجيال الحاضرة والمستقبلة نقب على الصحيح منها وغادر الاباطيل التي الحقتها الاوهام بها ونبه على وجوه العبرة فيها .

حكى عن الانبياء ما شاء الله ان يقص علينا من سيرهم وما كان بينهم وبين امهم وبرأهم مما رماهم به أهل دينهم المعتقدين برسالاتهم .

وشرع للناس احكاماً تنطبق على مصالحهم وظهرت الفائدة في العمل بها والمحافظة عليها وقام بها العدل وانتظم بها شمل الجماعة ما كانت عند حد ما قرره ، ثم عظمت المضرة في اهمالها والانحراف عنها او البعد بها عن الروح الذي اودعته ففاقت بذلك جميع الشرائع الوضعية كما يتبين للناظر في شرائع الامم .

ثم جاء بعد ذلك بحكم ومواعظ وآداب تخشع لها القلوب وتهش لاستقبالها العقول وتنصرف وراءها الهمم انصرافها في السبيل الأمم[1] .

نزل القرآن في عصر اتفق الرواة وتواترت الاخبار على انه أرقى الاعصار عند العرب بياناً وأغزرها مادة في الفصاحة وانه الممتاز بين جميع ما تقدمه بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطاب وانفس ما كانت العرب

---

(١) الأمم بفتح الهمزة والميم الاولى : القريب .

Marfat.com

والسبق الى اصابة مكان الوجدان من القلوب ومقر الاذعان من العقول وتفانيهم في المفاخرة بذلك مما لا يحتاج الى الاطالة في بيانه .

تواتر الخبر كذلك بما كان منهم مـن الحرص على معارضة النبي صلى الله عليه وسلم والتماسهم الوسائل قريبها وبعيدها لابطال دعواه وتكذيبه في الاخبار عن الله واتيانهم في ذلك على مبلغ استطاعتهم . وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزة الملك على معاندته والامراء الذين يدعوهم السلطان الى مناوأته والخطباء والشعراء والكتاب الذين يشمخون بأنوفهم عن متابعته وقد اشتد جميع اولئك في مقاومته وانهالوا بقواهم عليه استكباراً عن الخضوع له تمسكاً بمـا كانوا عليه من اديان آبائهم وحمية لعقائدهم وعقائد اسلافهم وهو مع ذلك يخطىء آراءهم ويسفه احلامهم ويحتقر اصنامهم ويدعوهم الى مـا لا تعهده ايامهم ولم تخفق لمثله اعلامهم ولا حجة له بين يدي ذلك كله الا تحديهم بالاتيان بمثل أقصر سورة مـن ذلك الكتاب أو بعشر سور من مثله وكان في استطاعتهم ان يجمعوا اليه من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاءوا ليأتوا بشيء من مثل ما اتى به ليبطلوا الحجة ويفحموا صاحب الدعوة .

جاءنا الخبر المتواتر انه مع طول زمن التحدي ولجاج القوم في التعدي اصيبوا بالعجز ورجعوا بالخيبة وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام وقضى حكمه العلي على جميع الاحكام ، اليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان أمي أعظم معجزة وادل برهان على انه ليس من صنع البشر وانما هو النور المنبعث عن شمس العلم الالهي والحكم الصادر عن المقام الرباني على لسان الرسول الامي صلوات الله وسلامه عليه .

ومما يثبت ان القرآن كلام الله ما جاء في تحدي العرب به واكتفائه في الرجوع عن دعواه بأن يأتوا بسورة من مثله مع سعة البلاد العربية ووفرة سكانها وتباعد اطرافها وانتشار دعوته على لسان الوافدين الى مكة

Marfat.com

من جميع ارجائها ومع انه لم يسبق له صلى الله عليه وسلم السياحة في نواحيها والتعرف برجالها وقصور العلم البشري عادة عن الاحاطة بما اودع في قوى امة عظيمة كالامة العربية فهذا القضاء الحاتم منه بأنهم لن يستطيعوا ان يأتوا بشيء من مثل ما تحداهم به ليس قضاء بشرياً ومن الصعب بل من المتعذر ان يصدر عن عاقل التزام كالذي التزمه وشرط كالذي شرطه على نفسه لغلبة الظن عند من له شيء من العقل ان الارض لا تخلو من صاحب قوة مثل قوته وانما ذلك هو الله المتكلم والعليم الخبير هو الناطق على لسانه وقد احاط علمه بقصور جميع القوى عن تناول ما استنهضهم له وبلوغ ما حثهم عليه .

فثبت بهذه المعجزة العظمى وقام الدليل بهذا الكتاب الباقي الذي لا يعرض عليه التغيير ولا يتناوله التبديل ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله الى خلقه فيجب التصديق برسالته والاعتقاد بجميع ما ورد في الكتاب المنزل عليه والاخذ بكل ما ثبت عنه من هدى وسنة متبعة وقد جاء في الكتاب انه خاتم الانبياء فوجب علينا الايمان بذلك كذلك.

محمد عبده

نسخة مجانية

Marfat.com

الاذاعة

تجتاح المملكة هذه السنوات نهضة عارمة عمت جميع الميادين وشملت كافة المجالات .

وانه لما يثلج القلب ويملأ النفس بهجة وسعادة ان تصل هذه البلاد الناشئة في ظرف سنوات قلائـــل من التطور ما لم يصل إليه غيرها في سنين عديدة ومن أبرز مظاهر هذا التطور الاذاعة التي تنقل للعالم من اجواء

وزارة الاعلام بجدة

البطحاء طيوب الايمان وعطور أدب الصحراء في همسات مخضلة الجرس بأنفاس قداسة البيت العتيق .

Marfat.com

وللإذاعة السعودية قصة كبيرة رغم فتوتها وضآلة عمرها السعيد فهي لا تعنى بالملايين السبعة التي تقيم في المملكة اكثر مما تعنى بملايين المسلمين المنتشرين في مشارق الارض ومغاربها والذين يدأبون على الانصات في صمت خاشع لمواقيت الاذان المنقول اليهم من المسجد الحرام .

وليس نقل الاذان الا بعض الشيء مما تقوم به الاداعة . فهي تنقل اليهم موائد الفكر الحي من ادب القرآن وشعر الصحراء وتصوف رجالات العلم واشياء قيمة من البحوث الصحيحة التي ينجاب عنها سر عظمة هذه المملكة الفتية التي كانت وليدة اسطورة من اساطير البطولة في القرن العشرين .

استطاعت الاذاعة ان تكشف النقاب عن حقائق دفينة لا يربطها بالمستمع البعيد الا خرافات وتكهنات عن هـــذا البلد الطيب المنصب وبرامجها غنية كأديمها سخية كأخلاق القيمين عليها وفيها من شائق الادب في شعره ونثره قلائد وغلائل . فيها القصة المترجمة والموضوعة والبحث العلمي والاجتماعي وفيهـــا الالوان المختلفة من آداب الغرب والتمثيليات والملح والطرائف والاخبار والتعليق عليها وفيها الخطب الدينية والارشادات الادبية وفيها الموسيقى الهادئـــة المتزنة التي ترتفع بالاحاسيس الى ذروة التأمل الرزين .

وقد بدأت الاذاعة حياتها السعيدة منذ عام ١٣٦٨ هـ وأرسلت صوتها مدوي الجرس من دارها الانيقة الرافلة بأبهى حلة هندسية فريدة التنظيم رائعة الرواء مجهزة بأحدث آلات تكييف الجو .

وهذه الدار الحالمة على ضفاف البحر الاحمر المفتوحة الاهداب على سراب الصحراء العريضة المناكب تقع على هضبة جنوب غربي جـــدة البلد المتحضر السائر قدماً الى المدنية الحديثة في العمران والاجتماع .

Marfat.com

وكان ذلك وليد ايماءة ملكية كريمة اهابت بالمسؤولين عن الاذاعة ان يكرسوا جهودهم للنهوض بها .

وكانت الاذاعة ، فكانت الخطوة التقدمية الكبرى ثم سارت القافلة في طريق النهوض بهذا المشروع فاختير لها ادباء عرفوا بالفهم والذوق والمعرفة اعطاها كل منهم ما وسعه من نفسه وإيمانه وجهده حتى اصبحت ذات رصيد ضخم من الاعجاب في صدور المستمعين اليها من كل حدب وصوب .

ويجب ان لا نقف بالقارىء العزيز عند هذا الحد من الايضاح فلعله يتساءل عن نجاح هذه الاذاعة في اداء رسالتها كقوله هل لهذه الاذاعة مستمعون ؟

حادثة جرت أمامي وتجري كل اسبوع في (غرف) الادارة فقد جاء اكثر من مرة المسؤول عن رسائل المستمع يطالب المدير بتعيين مساعد له لان لا يستطيع استيعاب الرسائل التي تفد عليه من مختلف الاقطار وفيها المشجع والمستفهم وطالب زيادة فترات الارسال والناقد .

وفي هذا اكبر دليل على تمشي الاذاعة مع رسالة الاداء التي وجدت لها . فلها مستمعون في كل قطر وهي تذيع باللغة العربية والباكستانية وغيرهما من لغات العالم وفي رمضان سنة ١٣٨٤ انشئت اذاعة جديدة في الرياض عاصمة المملكة لتحمل الاذاعتان من هذه البلاد رسالة الخير والمحبة والسلام . رسالة الاسلام وسيصبح لها رصيد ضخم في اوروبا كما ان لها أكبر رصيد في الدول العربية والآسيوية .

سعيد فياض

« باختصار وتعديل »

Marfat.com

النهضة الصناعية

تتجاوب في انحاء المملكة العربية السعودية اليوم اصداء نهضة صناعية واسعة النطاق تبشر بالخير العميم وبالمستقبل الصناعي المرموق الذي ينتظر المملكة وهي بالرغم من حداثتها فقد استطاعت ان تخطو في هذا السبيل خطوات موفقة ذلك لان الحكومة تولي الصناعة الكثير من عطفهـــا وتشجعها وتبذل في هذا السبيل الكثير من الجهد والتضحيات فمن اعفاء آلات ولوازم البناء من رسوم الجمارك الى منح الاراضي لاقامة المصانع بالمجان الى كثير من التسهيلات والمساعدات الاخرى وكثيراً ما يشرف جلالته حفلات افتتـــاح المصانع والمشروعات ذات الصبغة الصناعية تشجيعاً لاصحابها .

كما ان وزارة المعارف تقوم بدور كبير في تصنيع البلاد عن طريق نشر الوعي الصناعي بين الطلاب وافتتاح المدارس الصناعية في كبريات المدن بالمملكة حيث استقدمت لها نخبة ممتازة من المدرسين المتخصصين في مختلف فروع الصناعة وزودتها بأحدث المعدات والاجهزة اللازمة .

وبدأت المدارس الصناعية تؤتي أكلها وتخرج في كل عام افواجاً تبعت الحكومة بكثير منهم على نفقتهـــا لإكمال دراستهم في اوروبا وأمريكا ليعودوا بعد تخرجهم صناعاً مهرة يسهمون بدورهم في تصنيع البلاد .

وكان من الطبيعي ان تزدهر الصناعة في المملكة وتتجاوب مع كل هذه الظروف المشجعة فتأسست مصانع عديدة تنبيء عن امل كبير في مستقبل عظيم وأصبح اتجاه الوعي بين الشباب وذوي الثروات من الاغنياء

نسخة مجانية

Marfat.com

هو انشاء المصانع التي تسد حاجات البلاد وتحفظ ثرواتها ، وكما ان الحكومة من جانبها تقوم بأكبر قسط في حركة التصنيع فلديها الان عديد من المصانع ذات الاهمية الكبرى . وقد انشأت الحكومة عدداً وافراً من محطات القوى الكهربائية في مختلف جهات البلاد لتساعد الصناعة على السير بخطى حثيثة مضمونة وفي الوقت ذاته استقدمت خبراء من الخارج للبحث في

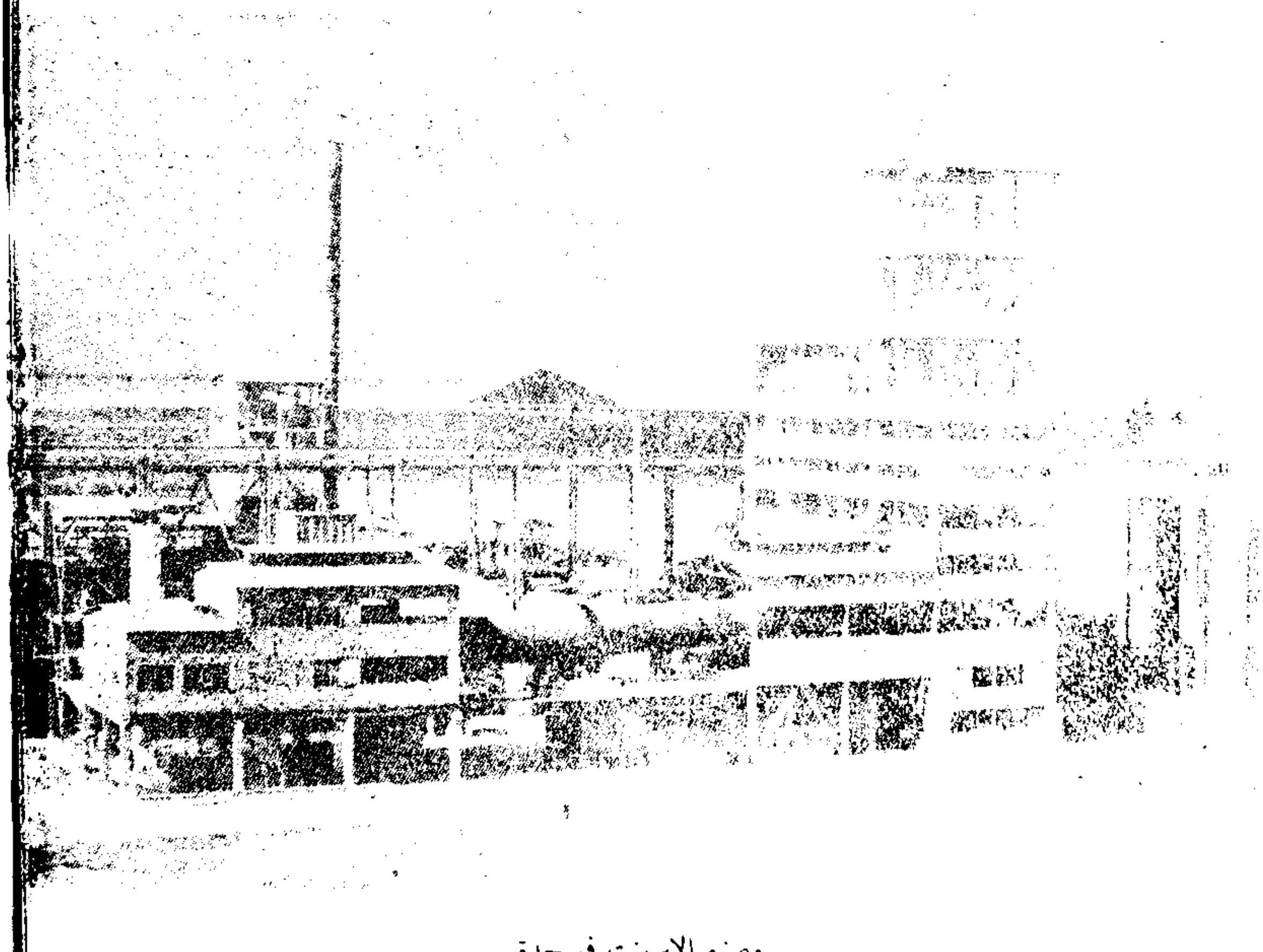

مصنع الاسمنت في جدة

مقدرات المملكة الصناعية ووضعت نتائج ابحاثهم تحت تصرف الشركات الخاصة وقد دارت بعض هذه الابحاث حول استخدام الغاز الطبيعي وتحضير الاسمدة وانتاج الاسمنت ومصايد الاسماك وغير ذلك واستعانت بعض

Marfat.com

الشركات بالتقارير المقدمة اليها فأسست على هديها بعض الصناعات الكبرى.

وفي المملكة الآن صناعة يدوية وصناعة حديثة (آلية) .

فمن الصناعات اليدوية صياغة الذهب وصناعة الفخار وقطع الاحجار والزخرفة والنقش وصناعة الاسلحة والتروس والسروج ومواد البناء والخوص (السعف) الذي ينسج منه الحصير والزكائب وصناعة الاوعية المعدنية وصناعة التطريز واستخراج الزيوت واستخراج اللؤلؤ وصناعته واستخراج اليسر والمرجان وصناعة المسابح منها ومن العظم وخشب الشجر وهي صناعة دقيقة جدا وتباع منها كميات كبيرة للحجاج الزائرين ذلك لما تمتاز به من فن جميل وروعة في الصنعة .

ولا زالت هذه الصناعات اليدوية تتطور بسرعة فائقة كتطور الحياة في المملكة وازدهارها على ان هناك صناعتين يدويتين لهما قيمتهما وأهميتهما بالنسبة للمملكة وهما النسيج وبناء السفن فالعرب يجيدون النسيج اجادة تامة فهم يحيكون من شعر الماشية (الصوف) ما يسد حاجتهم فهناك الانسجة الخشنة الثقيلة التي تصنع للخيام والزكائب التي توضع على الابل وصناعة البسط والمفارش والسجادات الصوفية وكذلك المعاطف التي تشبه (البطانيات) والتي تعرف عند العرب بالبيدي (اما المشالح) اللباس الرسمي فصناعتها بلغت من الدقة ما اذهل كل مشاهد لها لما فيها من دقة النسيج بحيث لا يمكن باي حال ان تقوم بها الآلات الحديثة وهي تصنع على انواع كثيرة في شتى انحاء المملكة والاحساء اكثرها انتاجاً .

اما بناء السفن وصناعتها فهي كذلك صناعة هامة في معظم موانيء البحر الاحمر ومواردها الاولية من الخشب المقطوع من الاشجار الموجودة في الجبال الداخلية بالمملكة وهي صناعة متقنة عرف بها العرب من قديم الزمن ولا زالوا الى اليوم . وفي المملكة ترسانة انشئت حديثاً

Marfat.com

لصناعة الطرادات الصغيرة وقد اخرجت الطراد المسمى (أحد) .

هذا وقد تم انشاء كثير من المصانع لمختلف المصنوعات التي تحتاج اليها البلاد في وثبتها الحديثة ونهضتها العظيمة في ظل حامي البلاد وراعيها جلالة المليك المحبوب . نذكر منها مصانع الاسلحة والذخيرة ومصانع الصابون ودباغة الجلود ومصانع مواد البناء وما تستلزمه النهضة العمرانية في مختلف نواحيهـــا وانا لننظر الى الغد القريب بعين اليمن والتفاؤل والاستبشار .

59996

Marfat.com

فلسطين والضمير الانساني

لفلسطين أهمية بالغة في نظر الفلسطينيين لانها وطنهم وفي نظر العرب لانها قلب البلاد العربية وفي نظر المسلمين لان فيها كثيراً من مقدساتهم كما انها موضع تقديس أهـــل الكتاب جميعاً من مسيحيين ويهود وفوق ذلك كله فان موقعها الجغرافي له خطورته فهي تطل على البحر المتوسط وتتاخم بلداناً كثيرة في آسيا وافريقية ، اذا سيطر عليها شعب من غير جنس ابناء البلاد هدد السلم في المنطقة كلها فما بالك اذا امتلكها شعب يعادي كل من حوله ، شعب أتى فاتحاً متحدياً وطرد اصحاب البلاد من أرضهم التي فيها مقدساتهم وأموالهم وبيوتهم وقبور آبائهم واجدادهم .

انها لوصمة تلطخ جبين الانسانية وتهز الشعور والضمير العـــالميين ، وفضيحة لا تليق بحضارة العصر ومدنية القرن العشرين ان تتواطأ بعض الحكومات على طرد شعب متجانس مـــن موطن آبائه واجداده ليحل محله اناس من شذاذ الارض مختلفو المذاهب والاجناس واللغات والثقافات والعادات والتقاليد والامزجة وسيسجل التاريخ هذا الجرم الفاحش الذي يرتد بالجنس البشري الى أحط تصرفات الهمج في ظل قانون الغاب وان افظع الجرائم التي يسجلها التاريخ ليست اعتداء فرد على فرد او استبداد قبيلة بقبيلة او اخضاع شعب لشعب وانما هي طرد أمة آمنة من موطنها دفعة واحدة ونهب مالها وتقتيل أفرادها رجالا ونساء وأطفالا وتشريد من بقي منهم وهو ما وقع في هذا العصر الذي يسمونه عصر النور.

قامت في هذا القرن وما قبله حروب استذل المنتصرون فيها الامم المهزومة فجردوها من اسلحتها وفرضوا عليها تعويضات باهظة او محتملة

نسخة مجانية

Marfat.com

ولكنهم لم يطردوا المهزومين من ديارهم ولم يفرضوا ، عليهم فقدان أوطانهم وانتهى امر المهزومين بأن قاسوا آلام الهزيمة زمناً ما ، وبقوا في اوطانهم يعملون ويكدون حتى التأمت جراحهم وعادوا كما كانوا أمماً لها طابعها وكرامتها وقوتها تعيش في أرضها حرة بعد ان عوقبت عقاب الهزيمة المؤقت ، ولم نسمع قط ان أمة ذات حضارة وتاريخ تعاقب بلا جريرة بالطرد والتشريد والفقر والحرمان والذل والمهانة والتعرض للامراض الفتاكة وتترك هائمة على وجهها تطلب الغوث ولا مغيث والعون ولا معين وقد فرض عليها الاضمحلال والفناء . هذا هو وضع فلسطين وهذا هو حظها في الحياة ونصيبها من مدنية القرن العشرين !!

Marfat.com

لبيك يا ارض الجزيرة

هذه الجزيرة العربية ، او شبه الجزيرة ، هذه الارض التي شع منها قبس الهدى والرشاد وانبعثت منها اشراقة السؤدد والفلاح ، هي التي نزل فيها الوحي الالهي ، فانبثق نوره المبين في هدى الكتاب ووضح التنزيل الحكيم ، وبزغت رسالة سيد البشر والكائنات فأضاءت العالم بضياء الهدى والرشاد وجاءت احاديثه الشريفة الكريمة الجامعة مشرق حكمة غالية رفيعة ، انتظمت حياة البشر في خصوصياتهم وعموميانهم ، لترعاها الى الطريق السوي وترشدها الى مدارج الفلاح والنجاح .

هذه الجزيرة العربية ، التي شع منها كل ذلك ، جديرة بان تكون موضع التقدير والاكرام والتبجيل ، وان من فيها من سدنة تلك الثقافات العالية ، ورعاة ذلك التراث التالد الخالد هم سلالة اولئك الذين نهضوا بحمل المشاعل الاولى للهداية والرشاد وهم ابنـــاء المجاهدين الذين هاجروا منها الى اقطار العالم في مختلف جهاته النائية وامصاره المترامية لاداء رسالة حبيبة الى النفوس هي رسالة الحق والهدى ، رسالة العلم والثقافة ، رسالة المعرفة ، بل رسالة الانسانية والاخاء والسلام .

فلنستمع الى شاعر عربي معاصر ، يذكر هذه الجزيرة بالخير والثناء ، ويذكر ما لها من تاريخ مجيد في حياة العروبة الخالدة ، انه شاعر الجزيرة ينهض من قلب الجزيرة للذود عنها والدعوة اليها ، وتمجيد بطولة ابنائها الاشاوس ، استمع اليه اذ يقول :

لمن المضارب في ظلال الوادي ... ريانـــة الجنبـــات بالـــوراد
الله اكبر تلك امـــة يعرب ... نفرت من الاغوار والانجـــاد

Marfat.com

طوت المراحـــل والاسنة شرع ... والبيض متلمة من الاغمـــاد
ومشت على الاسلات مشية واثق ... بالله ، والتاريخ ، والاجـــداد
لبلك يا ارض الجزيرة واسمعي ... ما شئت من شجوي ومن انشادي
لك في دمي حق الوفاء ، وانه ... باق عـــلى الحدثان والآباد
فنهضت مطلعاً بمـــا جشمتني ... وحملت فيك سخـــائم الاضداد
ووقفت بين يديك اطرق خاشعاً ... وكأنك المحراب ... للعبـــاد
ورميت دونك بالدليل مسدداً ... فسمعت صوت الحارث بن عباد
انا لا افرق بين اهلك ... انهم ... اهلي ، وانت بلادهم ، وبلادي
ولقد برئت اليك مـــن وطنية ... شلاء تؤثر موطن الميـــلاد
فلكل ربع من ربوعك حرمـــة ... وهوى تغلغل في صميم فؤادي
كم ضجعة بالقاع في غسق الدجى ... فوق الرمال العفر وهي وسادي
ادركت اذ ادركتها معنى الكرى ... وسكينة الارواح في الاجساد
ولشدما انطوت العصور وما انطوت ... للعيش فيك بشاشة الاعياد
فشمرت بالفجر المبين لمدلج ... وتفجر العرفان منك لصاد
آمنت بالهمم التي احييتهـــا ... فمضت تزلزل شامـــخ الأطواد
وتخطفت شم الحصون وانهـــا ... كانت تعـــد مرابض الآساد
ولقد شهدت بنيك يوم تشمروا ... متلببين لغـــارة وطراد
فعلمت كيف يثور من طلب العلا ... ورأيت كيف عزائم الامجاد
فجريحهم ... وأسيرهم ، كقتيلهم ... نهب يراوحه الردى ويغادي
وهم الاباة ، فما تلين قناتهم ... تحت السيوف ولا الحمام العادي
شهداء مجدك في ثراك يضمهم ... ولهان ضم حفيظة ووداد
متدفق من كل موقع طعنـــة ... فيهم لسان دم بذكرك شاد
سهرت عليك جراحهم كعيونهم ... بالأمس غير ملمة برقـــاد !!
ولقـــد تطوع كهلهم وغلامهم ... للموت غير مسخر بقيـــاد

Marfat.com

وثبت بهم في نقع كل كريهة　　همم الغزاة ، وعفة الزهـــاد
ومن اشترى استقلاله بدمـــائه　　لم يستنم لأذى ولا استعبـــاد
الملك فيك ، وفي بنيك ، وانـه　　حـــق من الآباء للاحفـــاد
وامانـــة التاريخ في اعناقهم　　من عهد بابل يوم نهضة عـــاد
فاذا انبروا للمجد فهو سبيلهم　　يمشون فيه على هدى ورشاد
تعس العداة فما يفرق شملهم　　متفرق الاسمـــاء والآحـــاد
ظلموا وما علموا بان وراءهم　　شعباً وان الله بالمـــرصاد

اجل هذه الصرخة المدوية للعرب ، من قلب جزيرة العرب بلسان شاعر الجزيرة وشاعر العرب انه الفقيد المرحوم الشيخ فؤاد الخطيب الذي كان سفيراً لهذه البلاد في افغانستان ، ولقد صدق شاعرنا كل الصدق فقد قال :

تعس العداة فما يفرق شملهم　　متفرق الاسمـــاء والآحـــاد

Marfat.com

ابن تيمية

ما رأيت عالماً حارب في كل ميدان وتلقى الضربات من كل معسكر وجمع أسباب السيطرة والتفوق في الفقه والكلام والتفسير كما وقع ذلك لابن تيمية وهو تلميذ احمد ابن حنبل بحق في الصبر على المحنة والاصرار على الرأي مهما كلفه ذلك من ثمن .

فقد اختلف ابن تيمية مع رجال عصره جميعاً الفقهـــاء والفلاسفة والصوفية وحاربهم جميعاً ورموه عن قوس واحدة بالزندقة والمروق وصمد ابن تيمية ولم يتزعزع ولم يرهبه السجن ولم يفت في عضده كان يدخل اليه ليخرج أشد صلابة وقوة ولا يلبث ان يعاود حملته من جديد ودعوته من جديد .

وفي خلال اربعة عشر عاماً مـــن سنة ٦٩٨ الى سنة ٧١٢ هز ابن تيمية ميادين العلم في مصر والشام ووقف للنصيرية والباطنية والروافض بالمرصاد .

ولد بعد سقوط بغداد فكأنما كان مولده نذيراً بهـــذه الحياة المليئة بالكفاح والصراع فقد عاش في ذلك الجو الذي اخذ التتار فيه يحطمون المقدرات الاسلامية بعد ان أطفأوا منار الخلافة في بغداد فأحس هو المعنى البعيد الذين توحي به هذه الاحداث ذلك هو ضعف المسلمين عن فهم دينهم وعجزهم عن التمسك به وتصدع جبهتهم الموحدة .

هذه الفترة العصيبة اخرجت مولوداً قوياً في الحق فكان ابن تيمية حـاداً قوي العارضة غاية في الجرأة .

دعا ابن تيمية الى العودة بالاسلام لبساطته الاولى بعد ان هاله ذلك

Marfat.com

التمزق في الجبهة الاسلامية .

زوايا الصوفية ورباطاتهم وخوانقهم منتشرة في كل مـــكان وآراؤهم المشوهة المضطربة تبلبل الافكار وقد اخرجت الاسلام من بساطته الى تعقيدات الحلول ووحدة الوجود .

وفرق الرفاعية في دمشق وحلب والجيلانية في العراق والشاذلية في مصر كلها تسيطر على الرأي العام وعلى الامراء .

وكانت هذه الفرق تتصارع فيما بينها ثم تتصارع مع الفقهاء والفقهاء يتصارعون فيما بينهم لصراع بين الحنابلة والأشاعرة وبين الفقهاء والمتكلمين وبين المتكلمين والصوفية .

ووقف ابن تيمية بين هذه الفرق جميعاً ليدعو الى السنة الصحيحة ولم يدخل الميدان الا وقد احاط بالثقافات المتعددة في مختلف هـــذه الميادين وألم بفنون الحديث وحفظ المتون وعرف الرجـــال جرحهم وتعديلهم واعانه على ذلك حافظة واعية وذاكرة قوية وذكاء مفرط صدق في وصفه ابن دقيق العيد حيث قال : رأيت رجلا جمع العلوم كلها بـــين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع منها ما يريد .

وكان ذا عقلية مرتبة يورد في جلسة واحدة او خطبة واحدة العديـــد من السير والاحاديث والحكم التي ينتظمها موضوع واحد .

وقد وصف ابن تيمية بأنه كان مهيباً ابيض اللون اسود شعر الرأس واللحية ربعة في الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت فصيحاً واسع العينين كأنها لسانان ناطقان .

ومضى ابن تيمية يناهض البدعة في العقائد والاحكام والعبادات ويكافح مبادىء الحلولية في التصوف واستنكر تقديس الموتى والاولياء وانكر على المعتزلة مسائل الصفات وانكر على الفقهاء غلق باب الاجتهاد والوقوف

Marfat.com

عند قيود المذاهب الاربعة لا يتخطونهـــا وانكر على الفلاسفة إغرابهم ومغالطتهم وبعدهم عن بساطة الاسلام .

ولم يقف عند هذا بل اتجه الى الناحية الايجابية فخرج على مذهب الاشعري في الاصول ومذاهب الائمة الاربعة في الفروع .

وحارب خرافات الاحمدية بدخول النار وغيرها وأفتى في الطلاق بأن الطلقات الثلاث من غير تخلل رجعة تقع طلقة واحدة .

وبهذا فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ويقول : ان نصوص الشريعة الاسلامية وافية بحاجات الناس ويقول قول الامام احمد لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي وتعلم كما تعلمنا . وبدأ حملاته على الصوفية بان وجه اليهم كتباً يطلب اليهم البعد عن مسايرة عقائد الحلول والاتحاد مبيناً لهم خطرها على الاسلام وأنها بدعة لم تأت في كتاب .

وقد ارسل الصوفية هذه الكتب الى شيخهم نصر المنبجي الذي كان محبباً الى ارباب الدولة في القاهرة فاستعانو بالولاة ان يقدم الشيخ الى القاهرة وادخلوا في روع الامير ركن الدين الجاشنكر ان ابن تيمية خطر على الدولة وقالوا له انه لو ارخى له العنان لأخرج المماليك من الحكم كما فعـــل ابن تومرت في المغرب فعقدت له مجالس المناظرة في دمشق ناظره فيها صفي الدين الهندمي والزملكاني وكانت الغلبة لابن تيمية .

ثم استدعي الى مصر وأثاروا عليه حملة واسعة قادها العلماء الذين جمعت بينهم الاهواء .

وقد حكم عليه بأن يلقى في الجب معلقاً بحبل ويبقى فيه عاماً ونصف عام ثم خرج منه وما ازداد الا اصراراً على رأيه وثباتاً على عقيدته ثم حكم عليه بالسجن مرة اخرى بحبس القضاة ثم اعتقل في برج الاسكندرية ثمانية شهور .

وعاد الى دمشق بعد غيبة سبع سنين عنها وسرعان ما دبرت له

Marfat.com

المؤامرات وانتهزت فرصة افتائه بـ لا يعجب السلطان فحكم عليه بالسجن في قلعة دمشق خمسة اشهر .

وكان طبيعياً ان يلقى ابن تيمية هذه الحملات وان يظل موضع الحقد من السلاطين والحكومات والعلماء ولكن ابن تيمية كان صلب العود . لقد واصل حملاته قوية جبارة يصدر فيها عن عمق اطلاع وسعة فهم واصالة في قيادة المساجلات .

وفي كل مرة من المرات التي عقدت له مجالس المحـــاكمة وكانت خمس مرات كان يخرج منتصراً وعوقب بالسجن مرات فكان يدأب فيه على تعليم العامة وتثقيفهم في اصول الدين ويعكف على كتاباته ومطالعاته حتى انه وضع تفسيره للقرآن في ثلاثة اجزاء وهو في قبو مظلم رطب تحت الارض .

وسجن مرة في برج قضى فيه شهر رمضان فلما جاءت ليلة العيـــد انزل الى الجب وكان يعاود عرض آرائه واعلانها للناس مرة فمرة حتى يغرسها في عقولهم فإذا لقي الاضطهاد والعنف انطوى حتى تسكن الفتنة ثم يعاود الكرة فيذيع آراءه مرة اخرى فتقوم عليه الثورة .

ولا شك كان للاحقاد التي يضمرها العلماء نحو ابن تيمية لبروز عبقريته وشهرته وعلمه ابعد الاثر في تأجج نار الفتنة والنقمة عليه .

ولم تكن آراؤه تنقل على حقيقتها بـــل كانت تحرف وتؤول وتفسر وتدس عليه اقوال ليست له .

وفي المرحلة الأخيرة من حياته امضى في سجنه أكثر من ثلاث سنوات وجرد من اوراقه وكتبه وظل في محبسه حتى توفي (٢ ذي القعدة ٧٢٨) هـ .

ولم تكن حيـــاة ابن تيمية صفواً بل كانت حافلة بالمتاعب ، ففي الفترات التي كان يخرج فيها من سجنه كانت العامـة تلاحقه بالأذى بـــل

Marfat.com

ان بعض العلماء تربصوا به مع بعض الغوغاء وانتهزوا فرصة مروره بأحد الأمكنة الخيالية من العمران وضربوه ضرباً مبرحاً وظل يحتمل ذلك صابراً محتسباً وظلت ابواب بيبرس مقفلة في وجهه وكان سلاطين المماليك يخشون نفوذه ويعملون على تحطيمه .

وبالرغم من هذا الاضطهاد فانه لم ينس واجبه عندما هاجم التتار حدود الشام فقد ركب فرسه ومضى يحث الناس على الجهاد وشهد موقعة شقحب وكان عاملا هاماً من عوامل انتصار المسلمين على التتار فيها .

ومضى ابن تيمية يحث الناس على الجهاد يحرضهم ويدعوهم الى الشهادة في سبيل الدفاع عن الوطن والحرية .

وقد عرف بالشجاعة البالغة وثبات الجنان والبراعة في ركوب الخيل والطعن وكان لسانه اللبق يدفع عن النفوس الهلع وينشر الشجاعة والحمية في صفوف المحاربين .

ووقف في هذه المعارك موقف الموت فكان قدوة للناس الذين كانوا يتدافعون تحت اللواء يقتلون ويُقتلون .

ولم يقف أمر ابن تيمية عند هذا الحد بل انه ذهب الى الامراء والسلاطين في مصر يشجعهم على الجهاد في سبيل الله ويحثهم على ارسال الكتائب لتقاوم الغارة .

وعاد ابن تيمية من حرب الى حرب . عاد ليحارب القرامطة والباطنية الذين كانوا عوناً لكل عدو وثغرة لمن أراد ان ينفذ الى ارض المسلمين.

كان ابن تيمية نسيج وحده في الخلق من ذلك الصنف الذي لا يؤمن بالمباقة ولا السياسة ولا المجاملة في سبيل الحق الذي يعتقده بل يقول كل ما عنده دون ان يبالي إن أغضب الناس او الحكام او العلماء . وقد ازعج خصومه وبدد أمنهم فكانوا يبحثون له عن لفظ او كلمة يتخذونها ذريعة لاتهامه .

Marfat.com

وقد عرف باعراضه عن طلب الرياسات ولم يقبل ان يكون ظلا لأمير او سلطان بل انه ظل طوال حياته يرفض اعطياتهم .

ولما جاءته القناطير المقنطرة من الذهب والفضة في اواخر عمره انفقها جميعها دون ان يبقي منها شيئاً .

وقد الف في سجنه صفوة كتبه وفتاواه واحكامه في تفسير القرآن وشهدت سجونه بحارة الديلم بالقاهرة وفي البرج المطبق في الاسكندرية وفي سجن القلعة في دمشق هذه الصفحات الخالدة من العلم .

ولا شك ان ابن تيمية كان رجلاً انساناً ممتازاً ، كان عاملاً قوي الحجة وفارساً يصول كأعظم المجاهدين لا يؤمن بأساليب السياسة في العلم ولا يتوانى عن قول الحق دون مواربة .

فلما مات شيعه الناس زمراً وحضر دفنه مائة الف رجل وخمس عشرة الف امرأة فيما ترويه الاثار وكسر العامة أعواد نعشه ودفن في مقابر الصوفية .

انور الجندي

Marfat.com

التسامح وعلو الهمة

روى صاحب[1] ثمرات الاوراق قال :

لما افضت[2] الخلافة الى بني العباس اختفت رجال بني امية ومنهم ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وكان ابراهيم رجلاً عالماً عاملاً ادبياً كاملاً ، وهو في سن الشبيبة فأخذوا له اماناً من السفاح فقال له يوماً حدثني عما مر بك في اختفائك ، قال ، كنت يا امير المؤمنين مختفياً بالحيرة[3] في منزل شارع على الصحراء فبينما انـــا على ظهر البيت اذ نظرت الى اعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيلت انها تريدني فخرجت من الدار متنكراً حتى اتيت الكوفة ولا اعرف احداً اختفي عنده فبقيت في حيرة فإذا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت فيها فإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه واتباعه فقال من انت ؟ وما حاجتك ؟ فقلت رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك فأدخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه ، وكنت عنده في ذلك على ما احبه من مطعم ومشرب وملبس ، لا يسألني عن شيء من حالي الا انـــه يركب في كل يوم ركبه فقلت له يوماً اراك تدمن الركوب ففيم ذلك ؟ قال ابراهيم بن سليمان قتل ابي صبرا[4] وقد بلغني انه ختف فأنا اطلبه لادرك منه ثاري فكثر والله تعجبي وقلت القدر ساقني الى حتفي في منزل من يطلب دمي

---

(١) تقي الدين ابو بكر بن حجة الحموي الشاعر الكاتب خـــدم في دواوين الانشاء بالشام ومصر وله عدة تصانيف وتوفي عام ٨٣٧ هـ . (٢) افضت : انتهت . (٣) الحيرة مدينة على الفرات كانت حاضرة دولة المناذرة حلفاء كسرى في الجاهلية على العرب وبنيت بقربها الكوفة في صدر الاسلام ثم خربت الحيرة بعـــد زمن . (٤) صبرا : قتله وهو محبوس مكتوف لا يستطيع أن يدفع عن نفسه .

Marfat.com

وكرهت الحياة ، فسألت الرجل عن اسمه واسم ابيه فاخبرني فعلمت ان الخبر صحيح وانا الذي قتلت اباه فقلت له ، يا هذا قد وجب علي حقك ، ومن حقك ان ادلك على خصمك واقرب اليك الخطوة قال وما ذاك ؟ قلت انا ابراهيم بن سليمان قاتل ابيك فخذ بثأرك فقال اني احسبك رجلاً قد مضه [١] الاختفاء ، فأحب الموت فقلت لا والله ولكن اقول لك الحق يوم كذا وكذا بسبب كذا ، فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق ملياً [٢] ثم قال ، اما انت فستلقى ابي عند حكم عدل فيأخذ بثأره ، وأما انا فغير مخفر [٣] ذمتي فاخرج عني فلست آمن عليك من نفسي ، وأعطاني الف دينار فلم آخذها وانصرفت عنه ، فهذا اكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين .

---

(١) مضه : أوجعه وأحزن قلبه.
(٢) ملياً : الملي الزمن الطويل اي اطرق رأسه وفكر طويلا .
(٣) مخفر : أي غير ناقض عهدي وتأميني لك .

نسخة مجانية

Marfat.com

الايمان بالقضاء والقدر

قال صاحب [١] كتاب عجائب الهند :

من طريف الاخبار ما حدث به بعض اصحابنا قال ، ركبت سفينة من الابلة [٢] اريد بينونة [٣] فأخذتنا الرياح والامواج وزاد الأمر علينا حتى نزعنا ثيابنا ولم يكن عندنا شك انا تالفون ، وكان في السفينة امرأة معها صبي وكانت ساكنة قبل ذلك ، فلما اشتد بنا الأمر اخذت ترقص الصبي وتضحك ولم يكن فينا فضل لمخاطبتها لأنا يئسنا من الحياة ، فلما صرنا في الشط وامنا الغرق قلت لها : يا هذه اما تتقين الله عز وجل ، انت ترين ما حل بنا من البلاء وانا قد يئسنا من الحياة وترقصين الصبي وتضحكين ، امـــا خفت الغرق كما خفنا ؟ فقالت ، لو سمعتم حديثي لتعجبتم وما أنكرتم علي صبري وتهاوني بالغرق ، قلنا لهـــا حدثينا فقالت : أنا أمرأة من اهل الابلة وكان لوالدي صديق مـــن بنانية [٤] المراكب المختلفة من عمان الى البصرة وكان اذا ورد المركب الذي هو فيه من عمان نزل الينا واقام عندنا اياماً وأهدى الينا . واذا اراد الخروج فعلنا مثل ذلك واهدينا اليه ما يمكننا ، وكان رجلاً مستوراً فزوجني ابي به ، ومـــا مضي غير ثلاث سنوات حتى توفي ابي فقال لي : قومي حتى احملك الى عمان فإن لي بها والدة واهلاً ، فخرجت معه الى عمان وكنت مع اهله بها مقدار أربـــع سنين وهو يختلف بين عمان والبصرة ،

---

(١) هو برزك بن شهريار الناخداه الرامهرمزي من أهالي القرن الرابع عشر الهجري .
(٢) الابلة : مرفأ بالبصرة (٣) بينونة : بلدة بالبحرين . (٤) بنانية : يظهر انهـــم ملاحون ينسبون الى بنانة محلة بالبصرة . (٥) المترددة بين البلدين .

Marfat.com

ثم توفي بعمان بعد ان ولدت هذا الصبي بخمسة أشهر ، فلما قضيت العدة لم يطب لي المقام بعمان لأن مقامي انما كان بسببه فقلت لوالدته وأهله اريد ان ارجع الى اهلي بالابلة فقالوا لي : ان اقمت في بلدنا قاسمناك حياتنا ، فليس لنا في هذه الدنيا غير هذا الصبي وسألوني الاقامة بينهم فابيت ، فلما عزمت على الخروج اشتريت للصبي سريراً وثيقاً من خيزران وجعلت فيه ثياباً كنت قد جمعتها لي وللصبي ، وذخيرة كنت ادخرتها وغطيت ذلك كله وأحكمته ، وجعلت الصبي فوقه وخرجت في مركب يريد البصرة ، فبينما نحن كذلك اذ اخذنا الخب [1] فانكسر المركب نصف الليل وتفرقت الركاب والبنانية في البحر ، فلم ير احد منا صاحبه ، وتعلقت بلوح من الألواح فضبطته ولم أزل عليه الى نصف النهـــار من الغد حتى رآنا صاحب مركب مجتاز ، فجمع الركاب نحو عشر أنفس كنت انا احدهم وحملنا الى مركبه ونكسوا رؤوسنا حتى قذفنا الماء الذي شربناه في البحر ، وسقونا أدوية وعالجونا الى الغداة من الغد ، حتى رجعت نفوسنا الينا وانا قد نسيت ابني لما انا فيه وزال الفكر فيه عن قلبي ، فلما كان من الغد قال صاحب المركب وانا اسمع : انظروا هذه المرأة ألها ابن ؟ فإن هذا الصبي الذي وجدناه يموت ؟ فقالوا لي : ألك لبن ؟ فتذكرت الصبي فقلت : قـــد كان لي لبن وما مر بي ما اعلم انه قد بقي منه شيء ، فقالوا ابصري هذا الصبي قبل ان يموت فجاءوني بالسرير وفيه الصبي بحاله ما فتحوه ولا أخذوا منه شيئاً فلما رأيته وقعت على وجهي وصرخت وغشي علي ، فرشوا علي الماء وقالوا : ما أنت ؟ فأفقت بعد ساعة وأقبلت أبكي وأضم الصبي فقالوا يا هذه ما لك ؟ فقلت : هذا الصبي ابني فقام صاحب المركب الي وقال : هذا ابنك ؟

---

(١) الخب : هياج البحر وتياره .

Marfat.com

فأي شيء الذي تحته ؟ فأقبلت أعد عليهم ما تحته وجعلوا يخرجون شيئاً بعد شيء كأنه انما وضع الساعة فما منهم احد الا بكى بكاء عظيماً وحمدوا الله وشكروا له .

فأنا التي غرقت في ذلك البحر وفرق بيني وبين ابني فجمع الله بيني وبينه على تلك الصورة أخاف من هذه الرحلة ؟ ان كتب الله علي الغرق لم ينفعني الحذر .

Marfat.com

نوادر اشعب

هو اشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير ولد سنة تسع من الهجرة ونشأ بالمدينة وكان من القراء حسن الصوت شديد الطمع حتى ضرب به المثل فقيل (اطمع من أشعب) وله في ذلك نوادر وملح نورد لك طرفاً منها .

قيل له ما بلغ من طمعك ؟ قال ما نظرت قط الى اثنين يتساران في جنازة الا قدرت ان الميت قد اوصى لي من ماله بشيء وما ادخل احد يده في كمه الا ظننت انه يعطيني شيئاً .

واجتمع عليه يوماً غلمان المدينة يعابثونه فقال لهم : ان في دار بني فلان عرساً فانطلقوا الى ثم فهو انفع لكم ، فانطلقوا وتركوه . فلما مضوا قال لعل الذي قلت من ذلك حق فمضى في اثرهم نحو الموضوع فلم يجد شيئاً .

وادب [1] رجل من أهل المدينة نفراً من خلانه الى مأدبة من حيتان فبينما هم يأكلون اذ استأذن اشعب فقال احدهم ، ان من شأن اشعب ان يعمد الى اجل الطعام فاجعلوا كبار هذه الحيتان في آنية بناحية ويأكل معنا الصغار ففعلوا واذن له ، فقال : ما رأيك في الحيتان ؟ قال والله ان لي عليها لحرداً شديداً وحنقاً [2] لان ابي مات في البحر وأكلته الحيتان فقالوا له : دونك فخذ بثأر ابيك فجلس ومد يده الى حوت منها صغير ووضعه عند اذنه وقد نظر الى الانية ذات الحيتان الكبيرة فقال اتدرون ما يقول لي هذا الحوت ؟ قالوا : لا ، قال : يقول انه لم يحضر موت ابي ولم يدركه لان سنه تصغر عن ذلك ولكن قال لي عليك بتلك الكبار في

---

(١) أدبه كضرب دعاه الى طعامه . (٢) الحرد : الغضب والغيظ والحنق شدة الغيض .

Marfat.com

زاوية البيت فهي التي أدركت اباك وأكلته .

ودعاه بعض اخوانه الى طعام فقال : اخاف ان يجيء ثقيل فقال له: ليس معنا ثالث ، فمضى معه وحضر الطعام فاذا بداق يدق الباب فقال : ترى ان قد صرنا الى ما نكره قال : انه صديق وفيه عشر خصال ان كرهت واحدة منهن لم آذن له ، قال : هات قال : اولاها انه لا يأكل ولا يشرب ، قال : التسع لك قل له يدخل .

Marfat.com

قصة العقاقير [1]

عرف الناس المرض والالم منذ عرفوا الحياة ومضت سنون واعوام وهم لا يعرفون لامراضهم دواء غير السحر والرقى [2] والتعاويذ [3] .

فلما تكشفت لهم الطبيعة عن الخواص الشافية في بعض النباتات والاعشاب اقبلوا عليها وصار العطار ملاذاً لكل من برح [4] به المرض وعذبه الداء يجد في أعشابه ونباتاته ناجع الدواء ويتذوق من أمزجته ومساحيقه وخلاصاته أكاسير [5] الصحة والشفاء .

وانقلبت الغابات والسهول والأودية صيدليات طبيعية يستمد الناس من اعشابها وشجيراتها وقشورها وجذورها وأوراقها وازهارها وثمارها وعصيرها وبذورها ادوية لمختلف الأمراض والأدواء .

وتضافرت [6] قوة الملاحظة مع الذكاء الفطري والتجربة المستمرة على اكساب العطارين الأوائل مقدرة التمييز بين الضار والنافع من النباتات مع الاحاطة بخواصها المسكنة او المسهلة او القابضة [7] او الطاردة للديدان .

---

١) العقاقير ما يتدواى به من النبات أو الدواء مطلقاً . (٢) الرقى، م . الرقية وهي في زعم بعضهم ما يستعان به للحصول على امر بقوى تفوق القوى الطبيعية . (٣) التعاويذ ، م. التعويذ وهي بمعنى الرقية تكتب وتعلق على الانسان لتقيه في زعمهم من الجنون والعين . ٤) برح به أتعبه وأجهده وآذاه أذى شديداً ، يقال برح الله عنك أي كشف البرح أو الشدة ونفس عنك.

٥) الاكاسير ، م . الاكسير وهو ما يلقى على الفضة ونحوها فيحوله ذهباً وهذا من الخرافات وهي أيضاً بمعنى الدواء المركب من مادة او مواد عدة مذابة في الكحول، والاكاسير هنا بمعنى الادوية.

٦) تضافرت تعاونت ؛ يقال تضافروا على الامر أي تعاونوا .

٧) القابضة التي تحدث امساكاً في المعدة .

نسخة مجانية

Marfat.com

وكان للمصريين القدماء نصيب كبير من هذه المعرفة ، منذ القرن الثلاثين قبل الميلاد وكذلك الاغارقة الذين ضربوا بسهم [١] وافر في هذا الميدان ، فكان منهم علماء أمثال (فيثاغورس) و (ابوقراط) خلدت ذكرهم العصور والازمان .

ولما رحل (ديسكوريدس) الى مصر وغيرها من بلاد حوض البحر الابيض المتوسط ابان الدولة الرومانية اكتسب معرفة واسعة بكثير من النباتات والاعشاب واستطاع ان يضع مؤلفاً كبيراً وصف فيه اكثر من خمسة آلاف نبات طبي الى جانب كثير من العقاقير الحيوانية والمعدنية .

واتى العرب فعرفوا مجموعة كبيرة اخرى من هذه النباتات واقاموا في بغداد اول صيدلية منظمة تمد الناس بالادوية والعقاقير .

وكان (ابن البيطار) اول عالم عربي ألم بخواص النباتات ووضع فيها كتابه (الجامع الكبير) الذي حوى وصفاً دقيقاً لألفين منها .

واعقبت المدرسة العربية مدرسة (ساليرنو) الايطالية ولكنها لم تضف كثيراً الى ما كان معروفاً حينذاك من خواص النباتات حتى اذا ما اكتشفت امريكا عرف الناس كثيراً من النباتات التي لم يكونوا يعرفونها كالكينا وعرق الذهب والكوكا وغيرها .

ولم تلبث خطوات العلم ان تقدمت رويداً رويداً وأخذ علم الكيمياء يستوي وينضج وبدأ علماؤه يبحثون في اسرار المادة وطبائع الاشياء وتفتحت ابواب المعامل والمختبرات لكل مجهول من المواد والنباتات تتلقاه في انابيب الاختبار والبواتق [٢] والمعوجات رقم [٣] بالبحث والتجريب . فتكشف النباتات والمواد التي كان يتدواى بها الاقدمون عن جوهرها الفعالة المختبئة في

---

١) السهم واحد النبل ، والسهم هنا بمعنى النصيب او الحظ ، وضربوا بسهم وافر في هذا الميدان ، اي كان لهم نصيب وافر في اكتشاف الادوية والعقاقير . ٢) البواتق ، م . البوتقة وهي الوعاء الذي تذاب فيه المعادن ؛ والبواتق هنا هي الدوارق الزجاجية التي تستعمل في المختبرات للتجارب الكيميائية . ٣) المعوجات . الانابيب الزجاجية المعوجة والمستعملة في المختبرات .

Marfat.com

بعض اجزائهـــا . وتتابعت غزوات الكيمياويين وتوالت انتصاراتهم واكتشافاتهم فاستخرجوا (المورفين) من الافيون و (الكوكايين) من اوراق الكوكا ، و (الاميتين) من عرق الذهب ، و (الديجيتالين) من اصبع العذراء ، (الكينين) من الكينا ، وغير ذلك من العقاقير التي تضافرت جهودهم على تنقيتها وتحسين طرق استخلاصها واستغلالها في القضاء على مسببات المرض وتسكين الآلام وتوفير الصحة والعافية لبني الانسان .

وتطور العلم تطوراً مكن الكيمياويين من النجاح في صنع كثير من تلك العقاقير في المعامل والمختبرات والاستغناء عن استخلاصها من النباتات فتيسر بذلك تحضيرها بكميات كبيرة ونفقات قليلة .

ومضى العلماء والاطباء يواصلون بحوثهم وتجاربهم فكانت تلك العقاقير والمستحضرات الطبية المتعددة التي تستغل اليوم في الوقاية والعلاج ، تسهم بنصيب وافر في تخفيف آلام البشر ومقاومة الامراض .

وما زالت معامل البحث تضيف كل يوم جديداً وتروي طرفاً من سيرة ابطالها اولئك العباقرة من علماء الطب والصيدلية والكيمياء الذين وهبوا الانسانية المعذبة أرواحهم وعقولهم وخاضوا معركة الالم والمرض مستبسلين فكان لهم الفوز والنصر المبين وللانسانية الامن والسلام والخلاص من ربقة (١) الالام .

الدكتور محمود سلامة
(قصة العقاقير)

---

(١) الربقة : العروة في الحبل جمعها ربق ورباق وارباق ؛ يقال حل ربقته أي فرج عن كربته ونقضوا الحبال واكلوا الرباق أن نقضوا العهود .

نسخة مجانية

Marfat.com

قصة يتيم

ان لهذا اليتيم قصة دامية دبجها من الدهر يراعة صناع ، وسطرتها بنانة مبينة ثم سواها للناس امثولة حية يرؤن فيها الامل كيف ينبل فيسمو بالنفس ، والألم كيف يثور فيتلفها ثم يهوي بها الى قرار سحيق ، والفرح كيف يفرج الغصون ويداعب القسمات ، والحزن كيف يعبسها ويزيل نضارتها ، والامن كيف يملأ القلوب رضا والفؤاد محبة وثقة ، والخوف كيف يشيع السخط فيها ويغرس اليأس والقنوط ، والاستقرار كيف يحبب الى المرء الحياة فتزهو في ناظريه كالعروس المجلوة ، والحيرة كيف تلون له الدنيا بلونها القاتم فيمقتها ويود لو يزايلها .

تلك قصة امتلأت عظات وحكماً وامثالاً تنطق بما في الزمان من مظاهر متقلبة ومشاهد متغيرة ينتفع بها كل لبيب اريب شعاره البدار قبل البوار والحذر قبل الخطر وكثيراً ما تكون في الحيطة النجاة وفي الكيس العواقب المرجاة .

ولد هذا الصبي فلقي من ابيه كنفاً رحباً وقلباً حدباً حانياً كان ميلاده امنية من اماني ابيه فلما وهب له خر لله ساجداً ورجا ان ينشئه تنشئة خلقية نافعة له وللوطن ودفع به الى ظئر ترعاه وتتعهد شؤونه وهيأ له من وسائل الحياة السعيدة ما تقر له العين فمن مطاعم شهية الى مشارب هنية الى رياضة بدنية الى غير ذلك من وسائل الترف .

حتى اذا شب واستعد للتعلم الحقه أبوه بدور العلم فبـــدا ذكاؤه والتمعت قريحته وأصبح بـــين اخوانه كالزهرة الفذة في الروضة العبقة وكالوردة الندية في مشارق الربيع .

نسخة مجانية

Marfat.com

وبينما كان في ينعم بحبوحة من الترف وبلهنية من النعيم اذ لوى له الدهر جيده وراش له سهماً من سهامه فقضى على ابيه بعد مرض لم يمهله وداء لم يرحمه فترك فلذة كبده ومناط أمله نهباً للدهر ينيخ عليه بكلكله ويطؤه بمنسمه وهو لا يزال صغير السن رطب العود غض الاهاب قليل التجربة ضيق الحيلة .

وآل أمره إلى احد أعمامه وكانت بينه وبين أبيه الفقيد حقود دفينة وخصومات اليمة قدمت عهودها لكنها ما تزال في قلب ذلك العم تومض تحت رماد وتنقد بغير زناد فقد كان ذا نفس خبيثة وضمير مدخول .

وما ان استولى على ثروة هذا الغلام المسكين حتى اهتز اهتزاز الفخور بالنصر ومنى نفسه بالأخذ بثأره القديم من هذا اليتيم ليشفيها من داء بثه فيها الحقد ومكن له الحسد والبغض ، وأخذ يحتال الأمر وينفذ الى غرضه رويداً رويداً لتكون إساءته الى الطفل كداء السلال اذا دب في الاوصال .

فضمه إلى داره وخلطه بصغاره تظاهراً منه بأنه اتخذه ابناً له مقرباً ليبصر شؤونه بعينه ويتفقد أموره بنفسه ويلمس كل ما يحتاج اليه فيهيئه له ، ولكنه في الواقع ضمه اليه ليسيطر عليه ويرغمه على طاعته واخذ يبغض اليه التعليم ويحبب اليه البطالة ويغريه بالكسل فاستجاب له الطفل وعاف العمل ومل المدرسة وطفق ينقطع عنها الفينة بعد الفينة ويهمل في اداء واجباته ويقصر في تحصيل دروسه واغراه بذلك اخوان سوء دسهم وصية اليه فراودوه على الاهمال والتقصير ، فانقاد لهم عن طواعية وهو لا يدري ما وراء الاكمة ولا يتنبه الى الشرك الذي نصب له .

وما هي الا فترة من الزمن حتى لفظته المدرسة وأصبح من رواد الحارات والأزقة فساءت اخلاقه وخبثت نفسه .

هنا اخذ الوصي يعنفه ويؤنبه ويلقي في روعه انه ليس كفؤاً لعمل

Marfat.com

مفيد ولا اهلاً لمستقبل مجيد ويرميه بالغباوة وبلادة الطبع ويحول بينه وبين أبنائه لئلا تنتقل إليهم عدواه فأصبح منبوذاً غريباً في دار هو صاحبها وطريداً في منزل هو مصدر خيره لا يجد من حوله من يحنو عليه أو يؤنس وحشته ، حتى أصبح يقضي ليله وحيداً ونهاره شريداً . واهملت شؤونه الخاصة فخشن طعامه وملح شرابه ورث ملبسه كلما عنت له حاجة وهم بطلبها من وصيه اقعده عن ذلك نفس مطبوعة على الاباء وقلب يعاف ذل الرجاء .

وهو بين هذا وذاك يقوى شبابه وينمو عقله فيتذكر أيامه ويتأمل حاضر آلامه ويسأل نفسه عما أصابه وكيف انحدر من العز والدعة الى الهوان والضيق فيتململ تململ السليم وينّ انين السقيم لضعف قدرته وعجز حيلته لا يعرف كيف يدفع عن نفسه سهام النوازل او يرد عنها عوادي الاحداث ، قد حلت الخطوب بساحته فملأتها اقسى ما تملأ به ساحة ، وغير الزمان له طعم كأسه فاحتساها علقماً بعد ان كانت عسلاً وشهداً واخذ يسقيه بها فاذا جرع شرق واذا تنفس اختنق .

ومما اذهب نفسه حسرات ان كان يرى وصيه وابناءه يزدادون ترفاً ونعمة فتمتلىء نفوسهم كبراً وزهواً فأغراهم ذلك باحتقاره فصعروا له خدودهم ، وثنوا اعطافهم والله يعلم انهم ينعمون بماله ويتمتعون بثرائـــه ويستأثرون بخيره لا يبالون رقيباً ولا يخشون حسيباً .

واذا حال الحول قدم الوصي الى ولاة الامر بياناً بحسابه كاذباً وزعم لهم انه عليه العين الساهرة واليد الرفيقة والصدر الحاني وانه انفق في سبيل رعايته ما انفق وهيأ له من السعادة ما هيأ .

وهكذا كان يزور امامهم كل شيء حسبما تمليه الذمة الخربة والقلب المتحجر الاصم والنفس التي استمرأت الحرام وارتكبت بذلك جملة آثام ويكفي واحد منها ان يعذبه الله به عذاباً شديداً .

Marfat.com

ثم دار الفلك دورته واذا الشاب يبلغ سن الرشد ويناضل مناضلة تتراوح بين اليأس والامل في سبيل الاستيلاء على الاثارة الباقية من تركته واستنقاذها من براثن هذا الوحش الادمي ثم اذا هو يظفر بنصيبه ويحظى بأمنيته واذا بتركته كالطلل الدارس والرسم الطامس فشمر عن ساعد الجد وأخذ يجمع فتاتها ويحيي مواتها حتى دبت فيها حياة جديدة ونما دخلها وكثر حرثها ونسلها وبارك الله فيها وعوضه عما فقده منها .

وبينما هو سعيد بحاضره يستعيد من ماضيه ذكرياته البائسة اذ تقدم اليه ذلك الذي كان وصيه بالامس يستلهمه العون ويستجديه الغوث اذ نفد ماله وفسد اطفاله وثقلت عليه وطأة مرض فاتك لم يستطع له علاجاً وتفرق عنه خلان السوء وقرناء الشر وعبيد المال حتى اصبح من كل شيء خاوي الوفاض بادي الانفاض وهنا تنبه في نفس الشاب كرم العنصر وطيب المحتد وأصالة المنبت فلم يقابـــل السوء بالسوء بل عفا واصلح وجزى بالسوء احساناً والتنكر خيراً وعرفاناً .

نسخة مجانية

Marfat.com

شجاعة وذكاء

روى صاحب كتاب « الفرج بعد الشدة » عن رجل كردي شجاع يعرف بأبي علي كان قـــد انحاز الى عمران بن شاهين الكردي – وهو فاتك يقود طائفة من اللصوص قد اشتهرت بقطع الطريق في جبال الكرد – قال: خرجنا مرة بالجبال في ايام موسم الحج ، وعددنا سبعون رجلاً من فارس وراجل ، فاعترضنا الحاج الخراسانية ، وكان لنا عين [1] من القافلة ، فعاد وعرفنا ان في القافلة رجلاً من أهل شاس [2] وفرغانة معه اثنا عشر جملاً وجارية في قبة [3] عليها حلي ثقيل ، فجعلنا أعيننا عليه ، حتى وثبنا وهو والجارية في عمارية [4] ، فقطعنا قطاره وكتفناه وادخلناه وما معه بين الجبال ، ووقفنا على ما معه وفرحنا بالغنيمة ، وكان للرجل برذون [5] اصفر يساوي مائتي درهم ، فلما رآنا نريد القفول [6] قال : يا فتيان ! هناكم الله بما أخذتم ، ولكنني رجل حاج بعيد الدار ، فلا تتعرضوا لسخط الله بمنعي من الحج ، فأما المال فيذهب ويجيء ، وتعلمون أنه لا نجاة لي الا على هذا البرذون ، فاتركوه لي ، فليس يبين ثمنه في الغنيمة التي أخذتموها ، فتشاورنا ، فقال شيخ مجرب : لا تردوه عليه ، واتركوه مكتوفاً هنا ، فـــان كان في اجله تاخير فسيقيض [7] الله له من يحل كتافه – فكنت فيمن عزم على هذا – وقال بعضنا ما مقدار دابة بمائتي درهم نمنعها رجلاً حاجاً ! وجعلوا يرققون قلوب الباقين ، حتى

---

(١) جاسوس . (٢) بلدة ببلاد ما وراء النهر ببلاد التركستان ، وفرغانة مدينة وكورة تسمى باسمها في هذه النواحي . (٣) الهودج . نوع من الهوادج . (٥) فرس تركي . (٦) الرجوع . (٧) يقدر .

Marfat.com

سمحنا بذلك فأطلقناه ، ولم ندع عليه الا ثوباً يستره ، فقال : يا فتيان انتم مننتم علي ورددتم دابتي وأخشى اذا انا سرت أن يأخذها غيركم ، فأعطوني قوسي ونشابي أذب بها عن نفسي وفرسي ، فقلنا : لا نرد سلاحاً على أحد ، فقال بعضنا لبعض : وما مقدار قوس ثمنها درهمان ؟ وما نخشى من مثل هذا ؟ فأعطيناه قوسه ونشابه ، وقلنا : انصرف ، فشكرنا ودعا لنا ، ومضى حتى غاب عن أعيننا ، فما كدنا نسير والجارية تبكي حتى كر الرجل راجعاً وقال : يا فتيان ! انا لكم ناصح ، فإنكم قد احسنتم الي ، ولا بد من مكافأتكم على احسانكم بنصيحتي لكم ، فقلنا : ما نصيحتك ؟ فقال : دعو مـــا في ايديكم ، وانصرفوا سالمين بانفسكم ولكم الفضل ، فانكم مننتم على رجل واحد ، وأنا امن على سبعين رجلاً منكم . واذا به قد انقلبت عيناه في ام رأسه ، وخرج الزبد من اشداقه كالجمل الهائج ، فهزئنا به ، وضحكنا ، فاعاد علينـا النصيحة فقال يا قوم ! قد مننت عليكم لا تجعلوا لي على أرواحكم سبيلاً ، فزاد غيظنا منه ، فقصدناه وحملنا عليه ، فانحاز عنا ورمى خمس نشابات كانت بيده فقتل بها خمسة رجال وأخذ خمس نشابات اخرى وقال ان جماعتكم تموت على هذا ان لم تخلوا ما في ايديكم ، فلم نزل ندافعه ويقتل منا حتى قتل خمسين رجلاً وبقي معه بعض النشاب في جعبته ، ثم قتل منا جماعة آخرين فاضطررنا الى ان ترجلنا فحاز دوابنا وحده وساقها قليلاً ، ثم رجع وقال : من رمى بسلاحه فهو آمن ، ومن تمسك به فهو أبصر بنفسه ، فرمينا سلاحنا ، فقال : اذهبوا آمنين ، وأخذ جميع السلاح والدواب ، وفاتتنا الغنيمة والخيل والسلاح ، وكان ذلك سبب توبتي عن قطع الطريق انفة لما لحقني منه وأنا على ذلك الحال اليوم .

(صاحب كتاب الفرج بعد الشدة ، هو القاضي المحدث الاديب الشاعر المحاضر ابو علي المحسن بن ابي القاسم علي التنوخي توفي عام ٣٨٤ هـ بغداد) .

Marfat.com

معن بن زائدة وأبو جعفر المنصور

قال مروان بن ابي حفصة :

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً وجعل فيه مالاً[1] فحدثني معن انه اضطر لشدة الطلب الى ان قام في الشمس حتى لوحت[2] وجهه وخفضت عارضيه ولحيته ولبس جبة صوف غليظة وركب جملاً ليمضي به الى البادية فيقيم فيها . وكان قد ابلى[3] في حرب يزيد بن هبيرة بلاءً حسناً غاظ المنصور وحمله على الجد في طلبه[4] .

قال : معن ، فلما خرجت من باب حرب تبعني انسان اسود متقلداً سيفاً حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملي فاناخه وقبض علي فقلت مالك ؟

قال : انت طلبة أمير المؤمنين . قلت : ومن أنا حتى يطلبني امير المؤمنين قال : معن بن زائدة قلت : يا هذا اتق الله وأين أنا من معن ؟ قال : دع هذا عنك فانا والله اعرف بك منك فقلت له : فان كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي يفي باضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي فخذه ولا تسفك دمي قال هاته :

فاخرجته اليه فنظر اليه ساعة وقال صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسالك عن شيء فان صدقتني اطلقتك فقلت . قل، قال : ان الناس قد وصفوك بالجود ؟ فاخبرني هل وهبت مالك كله ؟ قلت : لا ، قال : فثلثه قلت : لا حتى بلغ العشر فاستحيت فقلت اظن اني قد فعلت هذا فقال : ما اراك فعلته انا والله راجل ورزقي من ابي جعفر عشرون درهماً وهذا الجوهر

---

(١) جعل لمن يأتي به جائزة مالية . (٢) غيرته وشعفت وجهه أي جعلته أسمر اللون .
(٣) اظهر بأسه حتى بلاه الناس وخبروه . (٤) الشيء المطلوب .

Marfat.com

قيمته آلاف الدنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور [١] عنك بين الناس ولتعلم أن في الدنيا أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحتقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مكرمة .

ثم رمى بالعقد في حجري وخلى [٢] خطام البعير وانصرف فقلت : يا هذا قد — والله — فضحتني ولسفك دمي أهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته إليك فاني في غنى عنه . فضحك وقال أردت ان تكذبني في مقامي هذا والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمناً ابداً ومضى فوالله لقد طلبته بعد أن امنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً وكأن الارض قد ابتلعته .

وما زال معن مستتراً حتى كان يوم الهاشمية فلما وثب القوم على المنصور ، وكادوا يقتلونه وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل وذب القوم عنه .

ثم تقدم والمنصور راكب بغلة ولجامها بيد الربيع فقال له تنح [٣] فاني احق باللجام منك في هذا الوقت واعظم فيه غناء فقال له المنصور صدق ادفعه اليه فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت هذه الحال فقال له المنصور من انت لله ابوك ؟ قال طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة . قال : قد آمنك الله على نفسك ومالك ومثلك يصطنع [٤]

ثم اخذه معه وخلع عليه وحباه وزينه ثم دعا به يوماً فقال له : اني وقد املتك لامر فكيف تكون فيه ؟ قال كما يحب امير المؤمنين . قال : قد وليتك اليمن فابسط السيف فيهم حتى ينقض حلف [٥] ربيعة واليمن وابلغ من ذلك ما يحب امير المؤمنين . فولاه اليمن وتوجه اليها فبسط السيف فيهم حتى اسرف [٦] .

---

(١) المأثور الذي ينقله الخلف عن السلف . (٢) ترك واطلق .
(٣) تنح . ابتعد . (٤) يخص بالتربية والتخريج وعمل المعروف . (٥) المحالفة والمعاهدة . (٦) جاوز الحد .

نسخة مجانية

Marfat.com

قال مروان « وقدم معن بعد هذا فدخل على المنصور فقال بعد كلام طويل قد بلغ امير المؤمنين عنك شيء لولا مكانك عنده ورأيه فيك لغضب عليك . قال : وما ذاك يا امير المؤمنين ؟ قال إعطاؤك مروان بن ابي حفصة الف دينار لقوله فيك :

ممن بن زائدت الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان
ان عـــد ايام الفعال[١] فإنمـــا يوماه يوم ندى[٢] ويوم طعان[٣]

فقال والله يا امير المؤمنين ما اعطيته ما بلغك لهذا الشعر وانما اعطيته لقوله :

ما زلت يوم الهاشميـــة معلناً بالسيف دون خليفة الرحمـــن
فمنعت حوزته [٤] وكنت وقاءه من وقع كل مهند [٥] وسنان

فاستحيا المنصور وقال « أأعطيته ما اعطيته لهذا القول ؟ »

قال نعم يا أمير المؤمنين والله لولا مخافة الشنعة [٦] لأمكنته مـــن مفاتيح بيوت الأموال وأبحته إياها .

فقال له المنصور « لله درك من اعرابي ما أهون عليك ما يعز على الرجال وأهل الحرم » .

«١» الكرم والفعل الحسن او يكون في الخير والشر . «٢» الكرم . «٣» التطاعن والتقاتل . «٤» الناحية والمراد الحمى . «٥» للسيف المصنوع من حديد الهند .
«٦» الشناعة .

Marfat.com

نجـد

تلك الرياض وهذه نجـــد الشعر والتاريـــخ والمجـــد
ماضي العروبة في مفاخرهـــا وعـــلى رباهـــا رفرف الخلد
وأرومة الفصحى وقد درجت في حجرها وصفا لهـا الورد
شب البيان العبقري بهـا فرعته وهي لعبقر مهـــد
وعلى ثراهـــا من مشارعه هطل الحيـــا وتفجر الصلد
كم اطلعت من شاعر هتفت بقصيـــده الآرام والاسْد
عصم اذا نهلان رجعهـــا صفت الربا وتلفت الوهـــد
يا نجـــد أين صباك ملهمة للشعر وهي رقيقة رود
مسكية النفحات ضمخهـــا العنـــبر المصهور والرنـــد
والبرق حـــن لخفض وامضه قلب المشوق فـــكاد ينقد
كم شامه اللهفـــان مدكرا وتوهمته حليهـــا الخود
وشميم ذياك العـــرار وقـــد رق العشي وراق يا نجـــد
وعلى ومـــال البيد لاح لنا واد فسيح الأفـــق ممتد
مشت الحضارة في جوانبـــه فصبا اليها السهل والنهـــد
وبدت حواشيـــه مطرزة فكأنه مـــن وشيها برد
يحلو الرياض عـــلى ترائبه مصقولة فكأنها عقـــد
شمـــا بواذخ كلما نهضت عصماء منهـــا طالها نـــد
طلعت نجوم الكهرباء بهـــا وازدانت الشرفـــات والعمد

نسخة مجانية

Marfat.com

وترى الموارق في طرائقهـــا زمراً ينوء بحصرهـــا العدد
قف سائـل الطلل المحيل بهـــا ان كان فيه لسائل رد
اين المهلهل في ملاعبهـــا غزل الشباب يروح او يغـدو
وعـــلى عنيزة او بذي حسم كم شد وهـــو الفارس الجلد
يا نابغي الليل كيف ترى ليلاً ليوم الحشر يمتـــد
كم شاق قبلك ذو القروح به في انمـــد وامضه الوعد
نامـا بليل مـــا لأوله من آخر او يأتي الوعـــد
اغفى بـــه الأعشى وكان بها صناجة يسري الدجى تحـد
شدت أنامله عـــلى وتر يطويه في منفوحة لحـــد
ابك البيان الحر منذ نمـا في الجاهليـــة غصنه الملد
مـا زلت في الاسلام حلبته وبه تدفق نبعك العـــد
حتى أظلك بعـد منبهـة ليل الخمول واطبق الرقد
فالنبع شح وغاض دافقه والروض جف وصوّح الورد
والجهل اطفـا مـن خرافته نور العقول فأبهم القصد
ثم انتبهت عـــلى عجلجة للبعث يطلقها فتى نجـد
فسلي عيينة كيف رددهـا مثل الاذان امامهـا الفرد
والدارعية كيف رن بهـا صوت البشير ورفرف البنـد
درع حمتـه حين لاذ بهـا وجنودهـا للوائـه جنـد
والمشرفية للهدى سنـــد والدين نعم العون والأيد
تقوى السيوف الفاتحات به وبدعـــوة الاصلاح تشتد
والملك مـا لم يستقل عـلى اسس مـن الاخلاق ينهـد
قـد ينهض الشعب الجريـح اذا لم ينطفىء مـن روحه الوقـد
ويعود مرفوع اللواء ومـا لمضيع اخلاقـه عـود
والعبـد حـر مـن تخلقـه والحر من شهواتـه عبد

Marfat.com

قـد أذن الفجر المضيء فـلا يحجبك عن اضوائـه سد
صبح العروبة لاح بعد دجى مـن ليلهـا وتبين الرشد
فخذي مكانك في انتفاضته نهض الاسير وحطم القيد
قومي انهضي وابني ولا تهني كيما يعود لأرضك المجد
حيا صباح علاك مطلعه وله الثناء الجم والحمـد
وسقى ديارك غير مفسدها غدق عميم السح يا نجد

حسن جاد

نسخة مجانية

Marfat.com

الادخار عند الحيوان

الادخار [١] غريزة شائعة عند كثير من الحيوانات فالثعلب يصطاد الاوز والدجاج وغيرهما ويخبىء ما لا يأكله في مكان امين يعود اليه عندما يشعر بالجوع . والكلب الأليف الذي يعيش داخل المنازل ليس في حاجة إلى توفير الطعام ولكن غريزته الموروثة من اجداده تدفعه احياناً إلى أن يحمل قطعة من العظم ويدفنها في ارض الحديقة او في مكان آخر .

والسنجاب وهو نوع من الحيوانات القراضة [٢] يجمع طول الخريف ثمار البلوط وانواع النوى [٣] ويدخرها في وكره ليتغذى بها اثناء الشتاء .

وفي البلاد الواقعة بين المجر وآسيا يعيش نوع من الفيران له حاسة غريبة يعد بها نفسه إلى وقت الحاجة فهو يذهب الى الحقول ويقطع عيدان القمح بأسنانه القوية وينظف الحبوب من القشور ثم يحملها الى سراديب [٤] محفورة تحت الارض . ويستطيع الفأر الواحد ان يخزن نحو كيلتين من الحبوب ، وفي الشتاء يبحث الفلاحون عن مخازن هذه الفيران ويحملون ما ادخرته فيها إلى بيوتهم للانتفاع به .

ويوجد نوع آخر من الفيران يميل بطبيعته إلى أكل الجذور [٥] التي تتوافر فيها عناصر التغذية فيترقب نضجها ثم يذهب الى الحقول وينبش الأرض حول الجذر ويقتلعه من النبات وينظفه مما يعلق به من الشوائب [٦]

---

(١) ادخر الشيء خبأه لوقت الحاجة ؛ يدخر الفلاح في فصل الصيف مؤونة الشتاء .

(٢) القراضة . فصيلة من الحيوانات تقرض الاشياء منها الارنب والفأر ، والحيوانات القراضة لها ثنايا حادة قاطعه . (٣) النوى أو النوي ، م . النواة وهي بزرة التمر ونحوه .

(٤) سراديب، م . سرداب وهو البناء تحت الارض يعيش الخلد في سراديب تنتهي إلى غرفة متوسطة . (٥) الجذور . أصول النبات : تقرض دودة الخنفساء جـــذور النباتات وتتلفها .

(٦) الشوائب : العيوب والادناس .

Marfat.com

ثم يحمله الى جحره ، وهو يمكنه ان يدخر نحو ٣٠ رطلاً من هذه الجذور .

وتشاهد غريزة الادخار عند النحل والنمل . وهناك نوع من النمل يتبع في ادخاره طريقة يقف امامها العقل البشري حائراً مبهوتاً ، فهو يحمل الحبوب الى مسكنه تحت الارض ، واذا تركت هناك في الرطوبة والدفء مدة من الزمن فانها لا تلبث ان تنبت ولكنه يمنع استنباتها بوسيلة خفية غير معروفة ويعوق نموها بدون ان تموت او يصيبها تلف [١] وبعد مضي بضعة اسابيع يسمح لها بالانبات فتنمو ويظهر لها جذر وساق صغيران ، وهذا النمو يستلزم تحول جزء من النشاء والزلال في الحبوب الى مادة حلوة سكرية وبعد ان يستمر النمو مدة من الزمن يقطع النمل الساق والجذور ليمنع النمو ويحمل البذور خارج مسكنه ويعرضها للشمس لتجف ثم يعود بها الى مخزنه وقد أصبحت مادة حلوة الطعم يتمتع بها وقت الشتاء .

ويوجد نوع آخر من النمل يقطع أوراق النبات الى اجزاء صغيرة مستديرة ، ويحملها الى بيته ويعالجها بطريقة لم يكشف سرها الى الآن ، ويتركها في مكان رطب فتصبح مزرعة صالحة لنمو الفطريات [٢] التي يستعين بها النمل في غذائه .

ولعل في هذه الامثلة الرائعة التي تضربها الحيوانات والحشرات للانسان ما يكفي لغرس فضيلة الادخار فيه فيوفر في يوم رخائه [٣] ما ينفعه في وقت عصيب [٤] .

محمد فياض

(غرائز الحيوان)

«١» التلف الهلاك ؛ هبت لوافح الريح على المزروعات فجفت واصابها التلف .

«٢» الفطريات. النباتات من نوع الفطر الكمأة التي تعيش على سطوح الخل هي من الفطريات

«٣» الرخاء . سعة العيش . «٤» الوقت العصيب وقت الشدة والضيق ؛ الصديق الحقيقي هو الذي يبقى قرب صديقه في الوقت العصيب .

نسخة مجانية

Marfat.com

بين الفصحى والعامية

هناك حملة مدبرة ضد اللغة العربية يقودها بعض الكتاب ويتخذون من صعوبة قواعدها وطرق تعليمها وسائل لمحاربتها ومحاربة المشايعين لها والقائمين على تعليمها ، ويزعمون انها في حاجة الى الاصلاح والتيسير حتى لقد بالغ بعضهم واجترأ الى الدعوة الى نبذها واستبدال العامية بها .

ومن واجبنا ان ندافع عن الفصحى وآدابها وندفع عنها ما ترمى به ظلماً وان نعمل جاهدين في تبسيط قواعدهـــا وتيسيرها للناشئين وان نحارب العامية وندعو الى نبذها وعدم اصطناعها اداة للتعبير ولا سيما في ميدان العلم والادب والفن وما الى ذلك .

والفصحى هي لغة القرآن الكريم وحديث الرسول وآداب العرب من لدن الجاهلية الى يومنا هذا ، وهي لغة معربة تجري في بناء مفرداتها وتركيب جملها وفق قواعد جهد علماؤها في ضبطها والاستشهاد لها ونفي الزائف عنها ووضعوا لمتنها معجمات ضمت آلافاً مؤلفة من كلماتها مع ضبطها وبيان معانيها .

ومدرسو هذه اللغة في شتى دور التعليم يقومون باداء رسالة مقدسة وهي تعليم القراءة والكتابة ومحو الامية وتبصير الناشئة بلغة وطنهم ولغة قرآنهم ودينهم ولغة الأدب العربي في شتى عصوره ومن ثم فهم خدمة الوطن والدين والادب . وما من اديب متعلم في هذه البلاد الا ويدين لمدرسي العربية بفضل تعليمه وتوجيهه واخراجه من ظلام الامية الى نور العلم والعرفان .

واللغة العامية هي اللغة التي لعبت بها الألسنة فحرفتها وافسدت اعرابها

Marfat.com

وشوهت النطق بمفرداتها وادخلت فيها مـا ليس منها وراج استعمالها في التخاطب بين الجماهير في شؤونهم اليومية .

وقد عاون على ذلك التحريف : فعل الزمن وسنة التحول وطبائع الشعوب التي تجري على سنن من التغير وشدة اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الى غير ذلك .

وكل لغة - باعتبارها ظاهرة اجتماعية - لا بد لها من هذا التحول والتغير والتفرغ طبقاً لناموس الكائنات الحية . ولا ريب ان العامية ضرب من هذا التحول اصاب اللغة الفصحى .

ولكن الشعوب العربية بعامة وعلماؤها بخاصة عنوا باستبقاء الفصحى لغة للعلوم والآداب وما اليها ، وبذلك كتبت لها الحياة وظلت لغة دولية بين شتى امم العرب في حين تركوا العامية لغة للتخاطب اذ لا مجال الى كفاحها .

وحقاً كافح العلماء والحريصون على الفصحى لدرء خطر العامية لكن فعل الزمن وطبيعة الشعوب كانا أقوى من هذا الكفاح .

ولم يكن هذا الحرص منهم الا خوفاً من استغلاق فهم الدين وآداب العرب وهما من أهم مقومات الشعوب العربية والاسلامية .

وبعد فنحن نسأل دعاة العامية عن مواطن الصعوبة في الفصحى أهي في المفردات ام في القواعد والاعراب ؟

ان كل لغة من اللغات الحية تعاني هذه الصعوبات نفسها ، واللغة العربية ذات آلاف مؤلفة من المفردات ومن بينها الألفاظ المشتركة ، هذا الى ان طرق الأداء فيها متعددة . فمن اليسير على الكاتب اذا اراد ان يبسط اللغة للناشئة ان يستخدم أعذب المفردات واوضح التراكيب مما ييسر له ايضاح المعاني في غير جهد ولا مشقة ، اما القواعد والاعراب فمن المستطاع الاقتصار عند التعليم على تلقين الناشئة أهم هذه القواعد والضروري

Marfat.com

من الوان الاعراب مما يعد لازماً لسلامة التعبير ، كما ان من المستطاع ان نتجنب المشكلات والقواعد القليلة الاستعمال ونترك هذا للمتخصصين .

ونحب ان يفطن دعاة العامية الى ان كراهية الفصحى من الرواسب الاستعمارية التي كانت تهدف الى تقويض دعائم العالم الاسلامي والعربي .

كما نحب ان نتساءل بعد هذا عن المصير اذا نبذنا الفصحى وأحللنا مكانها العامية هل سنعمل على دراستها وتدريسها في المدارس وتلقينها لناشئة المتعلمين ؟ ام سنكتفي بأنهم يتلقونها في منازلهم بين اهليهم وفي الشوارع والأزقة ومن المذياع ودور الخيالة وفي المعاملات ونحو ذلك ؟ .

فإذا نحن عنينا بتعليمها فلا بد من دراسة معجمها وقواعدها وطرق ادائها وتبصير الناشئة بكل اولئك في شيء من الدقة والاستيعاب لتصير لهم بذلك في مستقبلهم لغة قراءة وكتابة ولغة علم وأدب وفن وصناعة ولغة ثقافة وحينئذ نقع من جديـــد في المحظور الذي نبذنا الفصحى من اجله وهو نحوها وصرفها .. الخ وسنضيف عبئاً جديداً الى اعبائنا وهو الاضطلاع بدراسة لغة تعتبر الى الآن مجهولة القواعد والتصريف فضلاً عن انها لغة متقلبة لن تثبت على حال بينما الفصحى واضحة المعالم ثابتة القواعد .

واذا كنا سندع امر العامية وهي حينذاك اللغة القومية بدون دراسات مدرسية وبدون تلقين للناشئة وبدون توقيف على طرق قراءتها وكتابتها ، حينئذ تكون الطامة الكبرى اذ يخيم الجهل بظله الثقيل على ناشئة الجيل وتصبح غير قادرة على قراءة ما يكتبه ويؤلفه جهابذة العامية ودعاتها من قصص وحكايات ونصبح في النهاية أمة بلا لغة .

وبعد فهل لنا ان نرجو في رفق هؤلاء الدعاة ان يتركوا العربية الفصحى تتعلمها ناشئة البلاد العربية ولو على اعتبار انها لغة أجنبية كالفرنسية والانجليزية ذات آداب قديمة وحديثة يجدر بهم تعلمها ؟ ؟ ؟ انا لنرجو ...

Marfat.com

واجبنا تجاه المواهب والكفاءات

علينا كمجتمع بدأ يشعر بكيانه في الحياة ان نعرف واجباتنا نحو نشئنا الجديد ، فاذا تمنينا عليه ان يجاري لداته من شباب الأمم الناهضة فعلينا ان نعرف نوع الالتزامات التي تفرضها تلك الأمم على مجتمعاتها لتدعم بها شبابها والوان التشجيع الذي تشحذ به عزائمه .

هناك بيوت تجارية ترصد في موازنتها ارقاماً عالية لتشجيع العاملين في حقول تعينها وشركات قوية تأخذ على عاتقها مساعدة من خاض ميادينها وتكلف صندوقها بما يتطلبه ذلك من نفقات ، وهناك من كبار الاغنياء من يعلن وقف جزء من أمواله على فكرة يدعو الى المسابقة فيها فلا عجب اذا تدافع الشباب في الميادين النافعة وتسابقوا .

فكر عامل في أحد مصانع الاقفال بفرنسا في طريقة تحبس المفتاح في قفله فلا يخرج الا بعد ان يقفله فعرض الامر على وكيل الشركة ومنحه اجازة لمدة اسبوع كامل يبحث فيه الفكرة في داره او في ورشة الشركة ووعده اذا نجح بمكافاة تقدر بنصف ارباح الصنف لعام كامل . وقد نجح العامل وقرر مجلس ادارة الشركة منحه المكافأة التي وعده بها وكيل الشركة ، فلما تسلمها استطاع ان يؤسس بها محلاً صغيراً للاقفال وهو اليوم يربح من بضاعته اضعاف مرتبه الذي كان يتقاضاه من الشركة .

وتقدم شاب الى بعض المؤسسات الزراعية باقتراح يطلب فيه انتدابه الى أمريكا الجنوبية لدراسة بعض أعمال التلقيح فاصدرت المؤسسة موافقتها على انتدابه وظلت تنفق عليه عن سعة نحو سنتين ، وتكفلت بمن يعوله من أهله ، ولما عاد مما انتدب له كان قد اعد مذكرات مطولة عن مشاهداته

نسخة مجانية

Marfat.com

في الجهة النائية التي سافر اليها ، واشترت الشركة منه مذكراته بثمن غال اغراه على استئناف رحلته وبيع ما يسجلها عنها للموسسات الزراعية التي تهتم بأبحاثه باثمان مرتفعة جعلته في عداد الاغنياء بعد ان كان لا يملك ثمن تذكرة الطائرة التي نقلته في رحلته الاولى .

وتكفلت كثير من المؤسسات الغنية بكثير من الرواد الذين غامروا في اعماق افريقيا وعلى شواطئها البعيدة وفي صقيع سيبريا ورمال بلاد العرب الملتهبة ومجاهل استراليا ، فقضوا السنوات يجادلون الأهوال ويعانون من قسوة الحياة وقلة الماء ومهاجمة الوحوش ما يعانون في سبيل اكتشافاتهم ودراساتهم ما عنوا بدراسته من طبائع الارض والحيوان والجبال ومواطن المعادن والزيوت والثروة المائية التي تخفيها الاعماق .

ساعد المتمولون على كل هـــذه المعاناة ببذلهم السخي وأموالهم التي كانوا ينثرونها من غير حساب تشجيعاً للأيدي العاملة والشباب المغامر واصحاب الافكار الجريئة .

وما كان السخاء للسخاء وحده بقدر ما كان وسيلة الى العمل المنتج الذي يعوض اضعاف الاموال المبذولة ويعود عـــلى المشجعين بالارباح الجزيلة الوافرة

واذا اردنا ان ننصف المشجعين فعلينا الا ننسى ان اعمالهم في التشجيع لا تقتصر على ما يدر عليهم من الارباح فقط ، بل ان كثيراً منها كان يخدم العلم للعلم نفسه فهنالك حفريات أثرية وجهود ادبية بحتة واعمـــال انسانية صرفة تجد من يشجع على خدمتها بلا مقابل يعوض خسارتها . ومن هذا القبيل جائزة نوبل التي أوصى بها نوبل قبل وفاته لتقدم الى اقدر رجـــل انتج في علمه مبرزاً انتاجاً له شروطه الخاصة وهو لون من التشجيع له نظائر كثيرة في العالم ولا غرض له الا خدمة الانسانية .

فاذا ألفت المجتمعات هذا البذل السخي الذي يساعد على نماء الافكار

Marfat.com

وصقل المواهب ويغري بشحذ العزائم والمغامرة الى ابعد آفاق المجهول فانها ستظفر بملكات لا تدري كيف نضج استواؤها وكيف تهيأت للعمل المجدي الدفع .

حدثني رجل من السودان قال كنت اعمل سنين طويلة كرئيس للخدم في بيت احد الانجليز في اسمرة ، وكنت الاحظ انه ينفق عن سعة ولا يعرف قيمة للمال الذي ينفقه فكان يتبادر الى ذهني انه من ورثة احد اللوردات الاغنياء وان ميراثه الضخم يغدق عليه هذا النعيم حتى علمت من طريق الصدفة انه نشأ أول ما نشأ فقيراً لا يملك ما يقيم اوده وقد اغرم بالتنقلات في الصحارى فشد رحاله الى الشرق وساح في بعض اطرافه ثم كتب الى بعض الجرائد في بلاده يصف مشاهداته فرحبت بما كتب وأرسلت اليه بعض المال الذي يساعده في مشاهداته .

ثم تسامعت به بعض المؤسسات العلمية فكلفته بالسفر الى الصحراء الغربية الكبرى ليدرس في آفاقها ما عن له دراسته فلم يتقاعس لحظة ، وشد رحاله الى حيث كلف وخاطر باجتيازها منفرداً لا يصحبه الا سلاحه الخفيف وصندوق جمع اليه ما استطاع من الزاد وراحلة اشتراها واستأجر بائعها ليساعده على الرحلة المحفوفة بالأخطار .

وما ان انتهت تقاريره الاولى الى المؤسسة التي انتدبته حتى وافاه تفويض الى احد البنوك يخوله سحب المبالغ التي تلزم لنفقاته دون تحديد . فنشطت عزيمته وواصل خطواته وانفق عن سعة على حركاته ومع هذا فقد أبى أن يكلف التفويض المفتوح له الا ما اقتضته ضرورة العمل مما جعل المؤسسة ترضى عن تصرفاته وتبذل له المكافآت السخية .

وتسامعت مؤسسات غيرها بخبرته في امريكا وبعض بلاد اوروبا فانهالت عليه التكاليف في شروط سخية وبذل فائض شجعه على مواصلة الحركة ، فهو اليوم لا يقيم في اسمرة الا ليعد نفسه لرحلة جديدة في

Marfat.com

بلاد العرب او في افريقيا او يعبر المحيط الهندي الى أقاصي الشرق ، ليجوس خلال الافاق المترامية في رحلة تطول أكثر من عام ولا تقل بحال عن ثلاثة أشهر .

واقسم اني ما رأيت في حياتي جلداً يكابد الاهوال التي يكابدها هذا الابيض ، فهو يشارك البدو طعامهم الجاف ويصبر على مثل ما يثابرون عليه من مواصلة المشي في مفاوز معطشة ، ثم هو لا يبالي بالقيظ مهما قسا لهيبه ولا بالبرد مهما اشتد اواره ، وتراه عندما تضج احدى المفازات بأصوات الحيوان المفترس يخف في نشاط الى مسدسه ثم يتعقب الاصوات حتى يسقط على مصادرها ولا يعود الى خيمته الا بعد ان يصيح برفاقه من البدو المختبئين ان يساعدوه على نقل ما صاده من الحيوان .

قلت انها شجاعة هيأت التقدير السخي الذي يبذله مواطنوه .

فقال ولهذا فقد أثرى ثراء فاحشاً منقطع النظير وهو اليوم يملك في بلاده مصانع للفضة تدر عليه ارباحاً طائلة ولكنه يأبى ان يستخذي لهذا الغني . ولا تزال الى اليوم تراه بعد ان اكتهل يواصله اسفاره في عزم الشباب إلى آفاق متفرقة من الشرق لا ندري حقيقة أغراضه منها .

قلت انهم رجال فهموا من حقائق الحياة ما لم نعرف من ايجدياتها الى اليوم .

والواقع اننا في حاجة الى من يفتح عيوننا على هذه الاسرار ، ويدفع شبابنا الى العمل الدائم ويعلم اغنياءنا وأصحاب الاعمال الكبيرة فينا كيف يستغلون نشاط الاقوياء منا ويغرونهم بالتشجيع الذي يحملهم على مزاولة الصعاب ويدفعهم الى اقتحامها .

دعونا ننظم في خطوتنا الاولى فرقاً للكشافة من فتياننا ترود جبالنا ومسالك وديانا وتتعرض فيها للحر والقر ومجالدة الصعاب لتألف الحياة الخشنة وتنشأ على حب المخاطرة .

Marfat.com

ان في هذا مـــا يعدهم في المستقبل للمغامرة في جميع ميادين الحياة ويؤهلهم للعمل الدائب في مختلف شؤونها . واذا استطعنا ان نغري بعضهم بالتنقل بـــين أمصار العالم المتمدن ليتصلوا هناك بألوان الحياة المختلفة ويختلطوا بالعاملين في شتى حقولهم واستطعنا ان نزودهم بما يشجعهم على طول الاغتراب ، فإننا سنربح غير الجامعيين من رجال العلم شباباً له لونه الخاص وملكاته الخاصة في حقول عملية جديدة فاحزموا امركم ايها الاغنياء .

ودعونا نمشي .

من كتاب « دعونا نمشي »

لأحمد السباعي

Marfat.com

الحياة في قاع البحار

ربط البحر الممالك بعضها ببعض وقرب بينها وتوثقت العلاقات عبر الاسلاك البرقية تحت سطح الماء . وحدث يوماً أن قطع أحد هذه الاسلاك وهوى الى قاع [1] البحر وكان لهذا الحادث وقعه [2] الاليم لما ترتب على هذا من خسارة فادحة مادية ومعنوية ، ولكن العلم أفاد من هذا كثيراً . فعندما رفع هذا السلك الذي وصل أحد طرفيه الى عمق ثلاثة آلاف وستمائة متر بعد ثلاث سنوات من الحادث وجد عليه سبعة عشر نوعاً من حيوانات القاع عالقة به . ولا بد ان هذا العدد الصغير كان يعيش على حيوانات اخرى . وهكذا فاز العلم بحقائق ثابتة وعرف الناس ان الاغوار [3] السحيقة تزخر [4] بالاحياء ولم تعد مقر الفناء كما كانوا يزعمون فشجع ذلك الحكومات والافراد على ارسال البعوث العلمية للبحث . وقد تساءل عامة الناس عن الفائدة التي يمكن ان يجنيها المرء من كل هذه الابحاث ، فهؤلاء العامة يهمهم اولاً ان يعثروا على ما يملأ جيوبهم ويشبع بطونهم وقلما يهتمون بغير ذلك ، ولكنهم عرفوا ما اسدته هذه الابحاث للانسانية من خير كثير لما راحوا يتساءلون في جهل عن كل هذا . ويكفي ان نشير هنا الى كشف تاريخ (الانكليس) او ثعبان السمك ، فقد كان هذا الحيوان الى وقت قصير لغزاً [5] من الالغاز ولم يكن يعرف عنه انه يقطع آلاف الاميال في البحار ليتوالد حتى كشف

«١» القاع . قعر البحر ؛ جمعها قيعان . «٢» وقعه . أثره . «٣» الاغوار ، م. الغور . وهو القعر من كل شيء يقال فلان بعيد الغور أي عميق الفكر متعمق النظر. «٤» زخر البحر. طمى وعلا ؛ وزخرت القدر جاشت . «٥» اللغز . السر الغامض الذي يصعب حله .

Marfat.com

الغطاء عن هذا السر .

وقد كان أهم هذه الابحاث دراسة البيئات المختلفة في البحار وموازنتها بدورة الحياة على الارض . والواقع ان اوجه الشبه في هاتين الدورتين واحدة فدورة الحياة في البحار وغيرها هي نفسها دورة الحياة على اليابسة . فالكائنات الحية تتنفس الاوكسجين من الماء وتخرج ثاني اكسيد الكربون الذي تأخذه النباتات بدورها . وتحت تأثير ضوء الشمس المنتشر في الماء الى ابعاد لا تتعدى بضع مئات من الامتار وكلوروفيل النبات وعوامل اخرى يستحيل هذا الغاز الى مواد كاربوهدراتية ، وينطلق الاكسجين ودورة الازوت في الماء كدورتها على الارض فالنباتات بعد موتها والفضلات والجثث تحلل كلها بواسطة البكتريا [١] وتتحول الى املاح أزوتية يأخذها النبات . ومن ثم يتغذى الحيوان بها .

والبحر يعج [٢] بأدق الكائنات التي لا ترى الا بالمجهر [٣] كما يعج بذوات الاجسام الضخمة التي قد يبلغ طولها ثلاثين متراً ، وفيه نباتات وحيوانات طافية [٤] رابضة في القاع وهذه تكون الغذاء للاسماك والحيوانات الاخرى .

الدكتور حسين فرج زين الدين — الدكتور موسى باسيليوس

(مع الاسماك)

«١» البكتريا . جراثيم تحلل المواد العضوية . «٢» عج بالشيء . امتلأ به وزخر .

«٣» المجهر نظارة تكبر الاشياء الصغيرة ، وتعرف بالمكرسكوب .

«٤» طافية : عائمة من سطح الماء .

نسخة مجانية

Marfat.com

الرفق بالخدم

ان الخدم هم المساعدون على الاعمال والمذللون لطرقها والمعاونون على انجازها ولولاهم لأرتج دون الناس باب من الرحمة كبير وانسد عنهم طريق من النعمة فسيح واضطروا الى مواصلة القيام والقعود ومداومة الاقبال والادبار والى القيام بأعمال كثيرة تشغلهم عن واجباتهم الهامة الاساسية . ومثل الخدم من الانسان مثل الجوارح من الجسد فهم اليد التي تنفع والساعد الذي يعين ونفعهم جزيل عظيم ، فينبغي للمرء ان يمجد الله عز وجل على ما سخر له منهم وان يحوطهم ويتفقدهم ويرفق بهم ولا يملهم فانهم بشر يمسهم من النصب واللغوب ومن السآمة والفتور مـــا يمس سائر البشر .

والخدم لا ينصحون مخدوميهم ولا يخلصون لهم الا اذا تحققوا من انهم شركاء لهم في النعمة وانهم في مأمن من العزل والصرف .

ومن اجل هذا وجب ان تكون معاملتهم مبنية على أساس من العطف والرحمة بأن يكون العمل الذي يكلف به الخدم محدوداً وفي طاقتهم القيام به مع ارشادهم الى طريقة العمل المرضية وشكرهم عند الاحسان ونقدم الاجر كاملاً في زمنه المحدود ، واعطائهم من حين الى آخر ما يتيسر زائداً على اجورهم تشجيعاً لهم على الاخلاص في العمل .

وتجب مؤاساتهم في الشدة وعيادتهم عند المرض ودعاء الطبيب لهم اذا ساءت حالهم ، وعلى المخدوم ان يرشد خدمه الى مواقع الصواب وما ينبغي ان يتصفوا به وان يربيهم باللطف والحزم ولا يهينهم ببذىء الكلام وجافي اللفظ مما يجرح قلوبهم ويذل نفوسهم ، اذ ليس للسيد ان يتسلط على خادمه

Marfat.com

بذلك لا شرعاً ولا عرفاً وعليه كذلك ان يسمح للخادم بساعة من النهار يتروح فيها ويتمتع بشؤونه وأن يجري عليه رزقاً يكفه عن التشوق لما قد يسرقه ويختلسه ، فان ما ينقصه السيد من مرتبه ربما اختلس من ماله وأن يزيد في أجره كلما رآه يزيد في صدق الخدمة وحسن المعاملة .

ومظاهر الرحمة بالضعفاء تختلف باختلاف هؤلاء الضعفاء وتنوع اسباب ضعفهم وحاجتهم ، فمنهم الخدم وقد شرحنا ما يجب لهم قبل مخدومهم ، ومنهم الأجراء في البيوت والعملة المستأجرون لأغراض أخر وهـــولاء خصهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ » .

ومن الضعفاء : الاطفال الصغار سواء أكانوا أبناء المرء ام اجانب عنه وتجب عليه الرحمة بهم . ومن اجمل ما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ » .

ومن الضعفاء اليتيم والمسكين والبائس والفقير ويجب العطف عليهم والاشفاق بحالهم والرحمة بهم قال تعالى : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ » .

وصفوة القول انـــه يجب على الانسان ان يقوم للعجزة والضعفاء والمستضعفين من الرجال والنساء والوالدان بأوفر نصيب من المساعدة والرحمة والرأفة والا يكون فظاً غليظ القلب قاسياً عليهم بل يكون رؤوفاً عطوفاً لين الجانب متواضعاً محباً الخير لهم قال صلى الله عليه وسلم : « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ رَحِيمٌ » وقال : « خَابَ عَبْدٌ وَخَسِرَ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِي قَلْبِهِ رَحْمَةَ الْبَشَرِ » وقال : اللَّهُمَّ أَمِتْنِي مِسْكِيناً وَأَحْيِنِي مِسْكِيناً وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ » تطييباً لقلوبهم وصيانة لهم من صولة الظالمين .

Marfat.com

وقد نبه الشارع الى الرحمة بالخدم فقال صلى الله عليه وسلم : « مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ فِي عَمَلِهِ فَهُوَ أَجْرٌ لَكَ فِي مَوَازِينِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال : « إِتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا يُطِيقُونَ فَمَا أَحْبَبْتُمْ فَأَمْسِكُوا وَمَا كَرِهْتُمْ فَبِيعُوا وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ مَلَّكَكُمْ إِيَّاهُمْ وَلَوْ شَاءَ لَمَلَّكَهُمْ إِيَّاكُمْ » .

واغتاظت عائشة رضي الله عنها من خادم لها ثم رجعت الى نفسها فقالت : « لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء » تريد ان التقوى وخافة الله وطاعته تحول بين المغتاظ وشفاء غيظه ممن غاظه .

وقيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ » قال : « من قيس بن عاصم » قيل : فما بلغ من حلمه ؟ » قال : بينما هو جالس في داره اذا اتته خادم له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات ، فدهشت الجارية وكادت تموت فرقاً وخوفاً فقال : « ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق » فقال لها : انت حرة لا بأس عليك .

وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته العشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت واراقتها على رأس سيدها ميمون فقال : يا جارية احرقتني قالت : يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما قال الله تعالى . قال : « وما قال الله تعالى ؟ » قالت قال : « وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ » قال : قد كظمت غيظي قالت : وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ قال : قد عفوت عنك قالت : زد فان الله تعالى يقول : وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ قال : انت حرة لوجه الله .

وعن المعرور بن سويد قال : رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه

Marfat.com

وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال : اني سابيت غلاماً فشكاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ . ثم قال : إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ .

وهذه وصية قيمة رفعت من شأن الخدم الى درجة المخدومين والسادة . فالخدم ومن في حكمهم اخوان في الدين والانسانية فيجب الرفق بهم والاخذ بايديهم ومعاملتهم بالعدل والحسنى .

نسخة مجانية

Marfat.com

الذئب

العراك بين الانسان والذئب قديم جداً ، ولكن النصر لم يكتب فيه للانسان وقد انقرضت الحيوانات المفترسة من معظم البيئات المتمدينة ما عدا الذئب ، فقد تحدى الوسائل التي حاربه بها الانسان ونجا من شرها ، وهو ما زال موجوداً الآن حيث كان منذ آلاف السنين . ويرجع الفضل في ذلك الى قسط من الذكاء وشجاعة فائقة وقدرة على ملاءمة معيشته وفقاً للبيئة التي يعيش فيها وهو يحتمل البرد القارس والحر القائظ ، ولذا نراه في الأصقاع الباردة كما نراه في الأقاليم الحارة .

والذئب في حالته العادية يخشى الانسان ويفر منه ، ولكنه اذا كان جائعاً وحال الانسان بينه وبين فريسته هجم عليه وفتك به ، واذا لم يجد الذئب فنيصة سوى الانسان لم يتورع عن افتراسه . وقد يسهل ان يتسلل الى القرى والبيوت ويختطف منها الاطفال .

وفي الصيف حيث يتوافر الغذاء يعيش الذئب منفرداً او مع أليفته وصغاره متنقلاً بين الغابات والمزارع متخذاً بيته في الكهوف او فجوات الصخور او تحت جذور الاشجار القديمة ، وفي هذا الفصل يحاول الانسان اصطياده ولكنه قادر على اخفاء أثره بحيث يتعذر تتبعه والوصول الى مكنه ، وإذا حفرت له مصيدة نظر إلى مكانها باحتقار وابتعد عنها ، وإذا وضع في طريقه طعم مسموم تجنبه ولم يمسه .

وفي الشتاء حيث يندر الغذاء وتأوي بعض انواع الحيوان إلى بيته الشتوي ويقضي شهور البرد في سبات عميق لا يجد الذئب شيئاً يقتات به ، فيضطر للحصول على غذائه بأي وسيلة ممكنة ، وهو يدرك ان في

Marfat.com

الاتحاد قوة ، فيصرخ صرخة مدوية يجمع بها حوله فريقاً من بني جنسه ، ويخرج في قطيع جائع شره والويل اذ ذاك للبيوت التي لم تتحصن منه ، وللانسان الذي يدفعه القدر في طريقه ، وللماشية والدواجن التي لم تهيأ لها الحراسة الكافية .

ولقطيع الذئاب تقاليد موروثة من اجلها يضحي الفرد بنفسه في مصلحة المجموع ، فالذئب عندما يكون وحيداً يغلب عليه الحرص ، ويتحاشى مهاجمة حيوان اكبر منه ، ولكنه وسط القطيع يخرج عن حرصه ، ويعرض نفسه للهلاك ، ولا يحجم عن افتراس حيوان أقوى منه وأكبر منه جسماً ، وقد تصيبه من جراء ذلك ضربة مميتة من قرن الحيوان او حافره ، ولكن هذا لا يؤثر في القطيع اذ يتصدى للعراك بعده فرد آخر ، وهكذا حتى تغلب الفريسة على أمرها ، وتصبح طعاماً سائغاً لسائر القطيع ، وليس للذئب مخالب أو انياب بارزة يفتك بها ، وهو لا يفترس إلا بأسنانه القوية يغرسها في جسم فريسته بجرأة وخفة ، وقد تقذف به بعيداً عنها مرة بعد اخرى ، ولكنه يعود كالقضاء المحتوم حتى يتغلب عليها .

وكثيراً ما تشاهد هذه القطعان في شمالي روسيا عندما يقبل الشتاء وتكسى الارض بالجليد ، ويكون لكل قطيع قائد وكشافة يسترشدون بحاسة الشم الى مواقع الفريسة ، ويوجهون القطيع نحوها وقد يلجأون الى مناورة حربية طريفة فيضعون انفسهم في مواقع ملائم بحيث تحمل الريح رائحتهم الى الفريسة ، فتنزعج وتفر بسرعة مبتعدة عن المكان الذي هبت منه الرائحة ، ولكنها لا تدري ان افراداً من القطيع قد كمنوا من قبل في طريقها ، واختبأوا فيه انتظاراً لمرورها والفتك بها .

ولقطيع الذئاب قدرة لا مثيل لها على العدو البعيد المدى ، حقاً ان الكلاب المدربة تستطيع اللحاق بالذئب في الاشواط القصيرة ، اما في

Marfat.com

المسافات الطويلة فليس للذئب نظير في المثابرة على الجري وتحمل متاعبه ، وتقرب شبيه في هذه الصفة كلاب الاسكيمو التي تجر الزحافات على الجليد ، وربما كان السبب في ذلك مشابهتها للذئب . ولا يستطيع اقوى الخيول ان يفر من قطيع الذئاب لانها إذا ارادت تتبعه فهي لاحقة به لا محالة ، وقد يجري القطيع في اثر قافلة تجرها جياد قوية فيدب الذعر في رجالها ، ويمسكون احد الخيول ويتركونه في طريق الذئاب لتفترسه وتتلهى به ، وتتعطل عن الجري مدة من الزمن حتى تفلت القافلة وتنجو من مطاردة القطيع لها ، ولكن هذا لا يجدي نفعاً لأنها تلتهم الضحية في مدة قصيرة وتعود سيرتها الاولى في المطاردة فيضحون بجواد ثان وثالث ، وهكذا حتى تصل القافلة الى مكان امين ، والا ادركها الموت بخيلها ورجلها .

للاستاذ محمد محمد فياض

من كتابه « غرائز الحيوان »

Marfat.com

المعنى السياسي في العيد

ما أشد حاجتنا نحن المسلمين الى ان نفهم اعيادنا فهماً جديداً ونتلقاها به ونأخذها من ناحيته فتجيء اياماً سعيدة عاملة تنبه فينا اوصافها القوية وتجدد نفوسنا بمعانيها ، لا كما تجيء الآن كالحة عاطلة ممسوحة من المعنى ، اكبر عملها تجديد الثياب وتحديد الفراغ وزيادة ابتسامة على النفاق .

فالعيد انما هو المعنى الذي يكون في اليوم لا اليوم نفسه وكما يفهم الناس هذا المعنى يتلقون هذا اليوم .

وكان العيد في الاسلام هو عيد الفكرة العابدة فأصبح عيد الفكرة العابثة . وكانت عبادة الفكر جمعها الامة في ارادة واحدة على حقيقة عملية فأصبح عبث الفكر جمعها الامة على تقليد بغير حقيقة له مظهر المنفعة وليس له معناها .

كان العيد اثبات الامة وجودها الروحاني في اجمل معانيه فأصبح اثبات الامة وجودها الحيواني في اكثر معانيه ، وكان يوم استرواح القوة من جدها فعاد يوم استراحة الضعف من ذله وكان يوم المبدأ فرجع يوم المادة .

ليس العيد الا شعار هذه الامة بأن فيها قوة تغيير الايام لا اشعارها بأن الايام تتغير وليس العيد للامة الا يوماً تعرض فيه جمال نظامها الاجتماعي فيكون يوم الشعور الواحد في نفوس الجميع والكلمة الواحدة في ألسنة الجميع ، يوم الشعور بالقدرة على تغيير الايام لا القدرة على تغيير الثياب كأنما العيد استراحة الاسلحة يوماً في شعبها الحربي .

وليس العيد الا تعليم الامة كيف تتسع روح الجوار وتمتد حتى يرجع

Marfat.com

البلد العظيم وكأنه لأهله دار واحدة يتحقق فيها الاخاء بمعناه العملي . وتظهر فضيلة الاخلاص مستعلنة للجميع ، ويهدي الناس بعضهم الى بعض هدايا القلوب المخلصة المحبة وكأنما العيد هو اطلاق روح الاسرة الواحدة في الامة كلها .

وليس العيد الا اظهار الذاتية الجميلة للشعب مهزوزة من نشاط الحياة ولا ذاتية للأمم الضعيفة ولا نشاط للأمم المستعبدة ، فالعيد صوت القوة يهتف بالامة : (اخرجي يوم افراحك يوماً كأيام النصر) .

وليس العيد الا ابراز الكتلة الاجتماعية للأمة متميزة بطابعها الشعبي منفصولة من الاجانب لابسة من عمل ايديها معلنة بعيدها استقلالين في وجودها وصناعتها ، ظاهرة بقوتين في ايمانها وطبيعتها مبتهجة بفرحين في دورها واسواقها فكأن العيد يوم يفرح فيه الشعب كله بخصائصه .

وليس العيد الا التقاء الكبار والصغار في معنى الفرح بالحياة الناجحة المتقدمة في طريقها وترك الصغار يلقون درسهم الطبيعي في حماسة الفرح والبهجة . ويعلمون كبارهم كيف توضع المعـــاني في بعض الالفاظ التي فرغت عندهم من معانيها ويبصرونهم كيف ينبغي ان تعمل الصفـــات الانسانية في الجموع عمل الحليف لحليفه لا عمل المنابـذ لمنابذه . فالعيد يوم تسلط العنصر الحي على نفسية الشعب .

وليس العيد الا تعليم الامة كيف توجه بقوتها حركة الزمن الى معنى واحد كلما شاءت فقد وضع لها الدين هذه القواعد لتخرج عليها الأمثلة فتجعل للوطن عيداً مالياً اقتصادياً تبتسم فيه الدراهم بعضها الى بعض ، وتخترع للصناعة عيدها وتوجد للعلم عيده ، وتبتدع للفن مجالي زينته . وبالجملة تنشىء لنفسها اياماً تعمل عمل القواد العسكريين في قيادة الشعب يقوده كل يوم منها الى معنى من معاني النصر .

هذه المعاني السياسية القوية هي التي مـــن اجلها فرض العيد ميراثاً

Marfat.com

دهرياً في الاسلام ليستخرج اهل كل زمن معاني زمنهم فيضيفوا الى المثال امثلة مما يبدعه نشاط الامة ويحققه خيالها وتقتضيه مصالحها .

وما احسب الجمعة قد فرضت على المسلمين عيداً اسبوعياً يشترط فيه الخطيب والمنبر والمسجد والجامع الا تهيئة لذلك المعنى واعداداً له . ففي كل سبعة ايام مسلمة يوم يجيء فيشعر الناس معنى القائـــد الحربي للشعب كله .

الا ليت المنابر الاسلامية لا يخطب عليها الا رجال فيهم أرواح المدافع لا رجال في ايديهم سيوف من خشب .

مصطفى صادق الرافعي

نسخة مجانية

Marfat.com

اول لقاء

كان أول لقائي اياها في رحاب الصحراء .

لم أكن قد تعرفت بها بعد وان كنت قد شاهدتها من قبل وعلمت من اخبارها كل رائع طريف .

من ذا الذي لم يقع بصره عليها ؟

من ذا الذي لا يعجب بها ولا يشعر نحوها بفيض من الروعة والسحر؟ انها ملء الأعين ، ملء المسامع .

كلنا لها عاشق خاطب ود ولكننا على الرغم من ذلك نحاذر ونتحرز ، لما نحس لها من تهيب ورهبة .

ليست هي بالمطيعة الذلول فمصاحبتها محفوفه بالمخاطر ، ولكنها مخاطر شائقة تثير في النفس الجسارة والاقدام وتلهب بين الجوانح نزعة الغلبة والظفر .

وان صداقتها لتكشف للمرء عوالم جديدة تزخر بألوان من الروائع .

وكان مني ان جرؤت فرغبت الى بعض ذويها في ان يهيء لي موعداً احظي فيه منها بأول لقاء .

وكرت الايام لا تنيلني طلبتي حتى سلوت عنها ، او تصنعت اني سلوت ...

واسفر صبح يوم يحمل إلي بشرى اللقاء المنشود فانتظمني شعور هو مزاج من خشية واغتباط .

وتأهبت لهذا اللقاء ما وسعني التأهب .

Marfat.com

وكان الموعد رائعاً في مكانه وزمانه .
ساحة الصحراء الرحبة قبيل مطلع الفجر ...
يا له من لقاء عاطفي خلاب !
امضيت نهاري جياش الخاطر تلعب بي الهواجس كل ملعب .
فسخرت من نفسي :
فيم هذا كله ؟

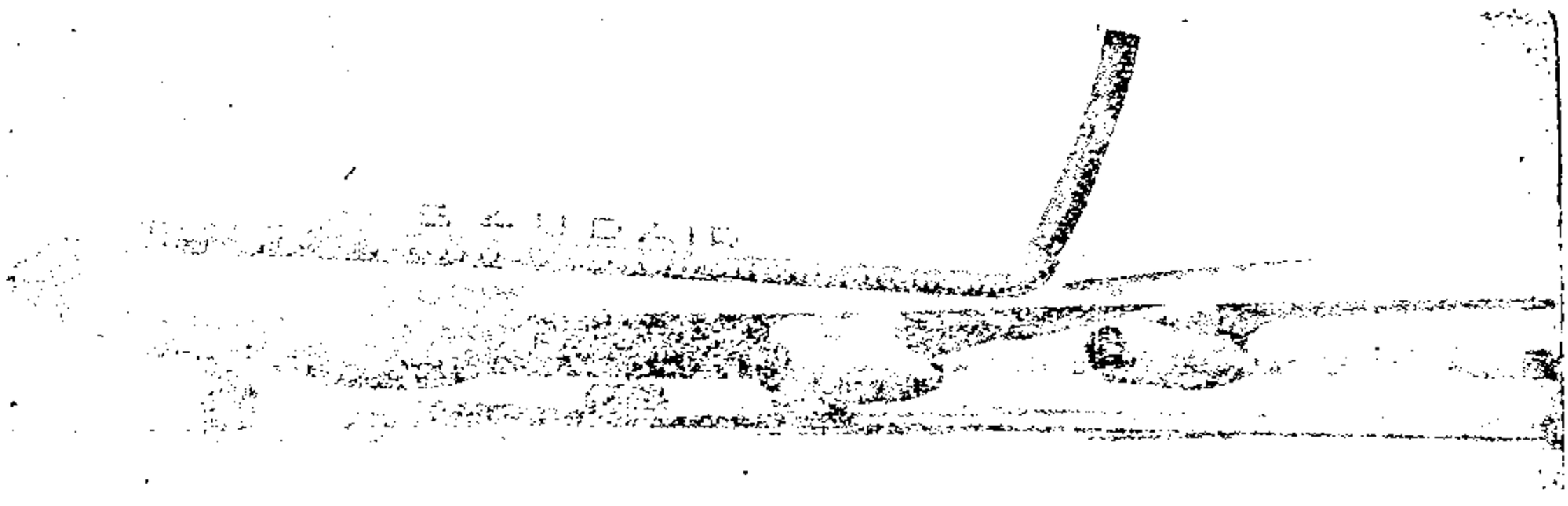

طائرة نفاثة

حقاً ان صداقتي بها لمغامرة اية مغامرة ، ولكن يجب على ان اقبل على هذه المغامرة في جسارة وتشجع !

بلغت المكان في الموعد المضروب فالفيتها في الانتظار ، وما ان اخذها بصري حتى عرتني رعشة تزايل امامها عتادي من قوة العزيمة ورباط الجأش .

ومثلت على مقربة منها اواجهها وبي من الحيرة والرهبة ما لم استطع له دفعاً .

لقد كانت قبالتي تتألق في الفضاء الطلق كانها الكوكب الوهاج في ظلمة الليل
كانت في ردائها الفضي تتوهج كأنما هي آلهة من آلهة الاساطير .

Marfat.com

وقفت اتوسمها خاشعاً تتنازعني مشاعر الشغف والاستحياء .

لا انا بقانع منها بتلك النظرة المجردة ولا انا بقادر على ان اخطو اليها ابثها الشوق والحنين .

وقفت أتأملها ملياً احاول ان استشف من مرآها ما تنطوي عليه نفسها من اسرار وما تكنه من اقدار .

كلما امعنت النظر فيها احسست قوة تجتذبني اليها ، قوة مغنطيسية تشع من كيانها محيطة بي لا استطيع منها الفكاك .

ها هي ذي المغامرة قد بدأت واستبانت بوادرها .

خيل إلي ان ابتسامة وضاحة تتخايل على ثغرها .

أهي ابتسامة انتصار ام هي ابتسامة اشفاق ام هي ابتسامة ازدراء ؟

وقع في روعي اني اسمع همهمة منها .

أشرعت تتكلم ؟..

ارهفت السمع مهتاج الفؤاد وتجلى لي ان ثمة صوتاً ما اقربه شبهاً بوسوسة الزهر يتضح الطل .

كأنما سمعتها تقول :

حتى متى وقوفك ؟

واختلجت شفتاي اقول :

لست ادري !

— ألم ترغب في صداقتي ؟

- اني في هذه اللحظة أشد رغبة !

— اذن تقدم وكن جسوراً . ما فتىء الناس يذيعون عني ما ينفث الرعب في القلوب وما زالوا يزعمون اني ارمي بهم في مهالك .

ما احلاها من مهالك !

— اني مصطحبتك الى مجهول قصي ، قد لا تطيب به نفساً .

Marfat.com

— حسبي انك رائدتي اليه .. شد ما انا شيق الى اكتناه هذا المجهول في صحبتك !

— اسرع اذن الي قبل ان يبدد الفجر متعة هذا اللقاء وتذيع أشعة الشمس سر تلك المناجاة !

وبسطت ذراعيها الوضاءتين لي فألفيتني مقبلا عليها مرتمياً في حضنها كما يقبل الفرخ على حضن امه يلتمس الدفء والحنان !

فطوقتني بذراعيها الفضيتين في ترفق وحنو ، وما هي الا ان أحسست بها تعلو بي عن أديم الارض ، واذا بهـــا تمضي بي صعداً تشق اجواز الفضاء وهي تطلق في السماء دوي الظفر والانتصار .

ذلك كان اول لقاء بيني وبـــين صديقتي ... (الطائرة) في رحلتي الاولى الى العالم الجديد .

محمود تيمور

Marfat.com

الحضارة والشرق

الحضارة الاوروبية هي احياناً كرداء المساخر يجمع من الالوان كل متنافر .

ففي الوقت الذي تمنح فيه النساء حق الانتخاب تحرمهن حق التصرف في أموالهن وتجعلهن في حكم القاصر وتجعل الازواج عليهن في اموالهن الأوصياء

فكأن المرأة في نظر الغرب تصلح لتدبير شؤون الدولة ولا تصلح لتدبير شؤون مالها ، وعلى هذا الاساس المتناقض منحت بعض الدول نساءها الحقوق السياسية مفتخرة مزهوة ، فدخلت نساؤها مجالس النواب وفي اقدامهن اغلال الحرمان من حقوقهن المالية والشخصية .

ثم رفعت هذه الدول الصوت مجلجلاً في هيئة الأمم المتحدة وطالبت بمنح هذا الحق السياسي لكل النساء في بقية الشعوب .

يا للهزلة ! لكأن صوت المدفع هو الذي يتيح اليوم للغرب المسلح ان يطلق صوتاً سخيفاً في شؤون المجتمع يسميه صوت الحكمة والتقـــدم ؟ ولست أدري كيف استطاعت اوروبا « المتقدمة » ان تلبث القرون متخلفة عن الحضارة الاسلامية ؟

لو كان لدينا ممثل قوي الشخصية دمغ الحجة في هذه الهيئات الدولية لصاح بؤلاء القوم « الا ايها النوام ويحكم هبوا » الا تعرفون ان نساءنا المسلمات يملكن من حق التصرف في اموالهن ما تطمعون اليوم في الوصول اليه ؟

لكن مركب النقص في الشرق يخيـل اليه دائماً ان الغرب لا يتأخر ولا يمكن ان يتأخر وما الغرب في حقيقة الامر الا متأخر جداً في كل

Marfat.com

شؤون الروح والحكمة العليا .

وان من آيات تاخره ذلك الذي يسميه « الحق السياسي » ولقد نكب به شعوباً ويريد ان ينكب به البيوت والاسر . هذا الغرب الهازل المتناقض يمنح هذا الحق للفرد ولا يمنحه للامة ، ما من امة لها حق سياسي في تقرير مصيرها الا اذا كان في يدها مدفع ، وما من فرد انتفع بحقه السياسي في تقرير مصيره ولكنه قرر به مصائر من اشتروا او اختلسوا منه هذا الحق . ما كلمة (الحق السياسي) الا لعبة حمقاء من لعب الغرب شغلت بهـــا الاذهان دون ان يثبت لها نفع ، واذا رجع الغرب الى حكمة الشرق ورأى كيف فهم الاسلام الديمقراطية جنى من ذلك دروساً قد تصلح من فساده وتقيل من عثاره ...

نشرت ذلك منذ سنوات في كتابي (عصفور من الشرق) وقد ترجم الى لغات اجنبية ولكني ما جنيت من ذلك الا تهمة ألصقها بي كاتب نشر بالانجليزية في لندن كتاباً عن مصر قال فيه عني « اني رجل رجعي » واستشهد بفقرات من كتابي المذكور . ادركت عندئذ ان الغرب غير راغب في ان يستلهم من نور الشرق شيئاً وانه لا يزال يمن في الاعتقاد بان كل ما خرج عـن حضارة الشرق توحش وان كل ما اتصل بجوهر الشرق رجعية .

لست ادري انسمي هذا الموقف من الغرب عمى ؟ ام نسميه تعصباً ؟ لطالما رمانا الغرب بالتعصب زوراً وبهتاناً وما من امة في الارض ابدت من التسامح والتساهل والحرية ونبذت من الجمود والقيود مثلما فعلت امم الشرق ازاء الحضارة الغربية .

فلقد فتحنا أعيننا عليها بضمائر نقية ، ونقبنا فيها بحسن نية ، واخترنا ما اعتقدنا انه ينفعنا في حياتنا الحاضرة ومـــا ينفي عنا شبهة التمسك بالبالي من المظاهر ، وذهبنا في ذلك احياناً أبعد مما ينبغي فما وجدنا باساً

Marfat.com

في ان ننقل عـــن الغرب كثيراً من الانظمة والقوالب والطرائق فهي اعراض مما يلحق المدنيات القائمـــة واثواب مما يغلف العصور المتجددة ولكن الذي ما كنا لنتهاون فيه قط هو الروح والجوهر ... هنا ونقول للغرب قف وحذار ان تمس هذا الجانب من الشرق ومهما يكن من امر اتهامه لنا بالرجعية فنحن اقدم منه عهداً واكبر سناً . ونحن نعرف انه الآن في شبابه المضطرب ونشاطه المتقد لا يمكن ان يتريث ليبحث عندنا عن معونة ولكن غداً عندما يعقده الكبر وتذله الهزيمة ويذهب عنه الغرور ربما وقف لحظة وتلفت حوله يلتمس الهداية فلن يجد له عندئذ من هادٍ غير الشرق مهبط الحكمة ومنبع النور .

توفيق الحكيم

Marfat.com

التعاون

بعض الحيوان اقوى من بعض ومطالب الحياة في امة منه اربى [1] من امة . غير ان فطرة الله التي فطره عليها تقتضي ان تتضام ذوات الضعف منه لتستجمع من قواها قوة موحدة تدرأ عنها بطش القوي وان تتحاض [2] ذوات المطالب الكثيرة منه ضروب العمل الذي يكفل حياتها . ولا جرم ان تشارك نوع من الحيوان في دفع الأذى ، وتقاسم آخر جلب الجدا [3] هو تعاون فطري لا يقوم لهما عيش بدونه .

والانسان حيوان يجمع تينك الخصلتين الضعف والحاجة ولكنه بتعاونه يبلغ الحسنيين القدرة والكفاية ، فإذا جانب فريق منه التعاون وآثر التواكل والتخاذل ، فقد ظلم نفسه وعادى جنسه وباء من الله بالخذلان ومن الناس بالحرمان والامتهان وتسفل عن رذال الحيوان ومن اظلم ممن يستفضل [4] من الضعف اسراً [5] ومن القل وفراً ويتجاهل قوله تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » اذ ليس لتعارفنا ازواجاً وشعوباً وقبائل من ثمرة إلا تعاوننا وتناصرنا صوناً لذوات انفسنا وبقيا على كيان جنسنا . فبالتعاون تنشأ الالفة والمودة والرحمة . ومن هذه الخلال الشريفة ينبعث روح التعاون والتناصر على تحصيل المودود وتنحية المكروه . وكلما اشتدت اواصر التعارف بين طائفة كان التعاون لهم ألزم وعليهم اوجب .

اذا فهمنا هذا علمنا وجوب تعاون الزوجين على اصلاح ذات بينهما ،

---

(١) انمى وازيد . (٢) أي يأخذ كل منها حصة من العمل . (٣) الخير . (٤) يستبقي ويستزيد . (٥) قوة .

نسخة مجانية

Marfat.com

ووجوب تعاون كل شعب وقبيل على تمكينه في الارض وتثبيت اقدامه في ميدان التنازع الحيوي العظيم . فمن الزوجين تنبت الأسرة ومن الأسر يتشعب الشعب والقبيـــل فاذا أردنا أن نعيش مستمكنين في الارض مستوفرين حاجاتنا من متاع الحياة الدنيا فلا يقوم لنا بذلك الا التعاون اسرة وقبيلاً .

فليتعاون افراد الأسرة أصلاً وفرعاً على العمل من أجل هدوء بالها ورخاء عيشها وتأمين سربها[1] وتهوين صعاب الحياة عليها .

وليقم رب الاسرة بما يجب عليه لاسعاد زوجه وولده ومن بلغ عنده الكبر والعجز من والديه ورهطه فلا اكفل بعد العبادة لرضا الله تعالى ولا ادل على كرم النجار ونبالة الهمة وشرف النفس وطهارة العرق من العطف على قرينة الحياة وصونها عن الذلة والعوز ومن الشفقة على فلذات الاكباد وتنشئتهم على ادب وعلم وعافية ومن البر بالوالدين وتخفيف آلام الشيخوخة عليهما ومن المودة في القربى وتوثيق اواصرها بالحسنى .

ولا يكونن رب الأسرة كذلك الغافل الذي لا يعنية من شأن اهله وولده ما يعنيه من شأن نفسه وخلصائه فيكون علة شقاء الاسرة وفساد اخلاقها وتشتت شملها ثم تنصب على رأسه معرتها ومخازيها ويأخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى .

ولتقم ربة البيت باسعاد كاسبها في نفسه وولده واهله فمن أولى من السيدة الكريمة بصيانة شرف بعلها واطاعة أمره وإدخال السرور على قلبه بحسن القيام على اولاده وتنسيق اثاث بيته وأداته وتهيئة ما تدعو اليه معيشة قطانه من مطعم ومشرب وملبس ومرقد . تلك هي الحرة التي تستأهل ان تدعى ريحانة المنزل وربة البيت اي المربية والقائمة بشؤون أهله ، اما تلك السليطة الرعناء التي لا تألو زوجها صخباً وحواراً وتعنته سؤالاً ولجاجاً وتبهظه

---

(١) متقلبها ومتصرفها .

Marfat.com

نفقة وتكليفاً وتحرجه صلفاً وبذخاً وتحشد عليه البيت زائرات وصواحبات وتنفق اثمن الساعات في رد الزيارات وتكل تدبير منزلها الى المراضع والخادمات ثم هي بعد أعجز من أن تستقل بطهي لون أو خيط ثوب فهي بأن تدعى شيطاناً مريداً وداءً وبيلاً أولى من أن تدعى ريحانة البيت وقرة أعين الأهل وبأن تدعى ضيفاً ثقيلاً وكلا بغيضاً من ان تدعى ربة المنزل .

وليقم الاولاد بمعونة ابويهم على تربيتهم بحسن طاعتهما والدأب على تحصيل العلوم والفنون والبر بهما والنهوض بأمرهما عند عجزهما .

ثم ليقم اولو القربى بواجب المودة التي وصاهم الله بها غير مرة في كتابه العزيز ولا أجلى مظهراً لتلك المودة ولا ابين اثراً لفضلها من تعاون اولي القربى في سرائهم وضرائهم ومن تناصرهم عند حـــلول الازمات ونزول الملمات .

إذا قام اعضاء كل اسرة بما يجب عليهم من التعاون والتناصر وقطعوا اسباب الخلاف بينهم مما نراه مستحكماً مستعزراً [1] بين كثير من البيوت والاسر في القرى والاقاليم فوهنت به قواهم وتفككت عرى عصبيتهم ودبت عقارب السعاية والنميمة بينهم وتبددت ثروتهم وأصبح عقارهم رهناً للمصارف ونهباً بين المحامين وخبراء الدعاوى فأخربوا بيوتهم بأيديهم وغرسوا في اعقابهم الفاقة والتباغض والتحاقد والتحاسد وحب الانتقام باهلاك الحرث والنسل فلا عجب اذا حل محل كل اولئك التواد والتراحم وامتدت أروقة السعادة فوق روؤسهم وخفقت اعلام الوئام على ربوعهم.

ثم اذا استشعر كل أهل بيت في بلدة فضيلة التعاون على البر والتقوى وتناهوا عن الاثم والعدوان فقد اهتبلوا العافية في الأهل والولد والمال وسلوا أيدي الدخلاء الذين يتصيدون أرزاقهم الخبيثة بحبائل المكر والفتنة

«١» قوياً مشتداً مستمسكاً .

Marfat.com

ويتربصون بكرام العشائر دوائر السوء واصبحوا وكأنهم اسرة واحدة .

وليست المملكة الفاضلة والشعب العزيز الجانب الا طائفة من المدائن والقرى متماثلة في فضليات الصفات متوحدة المبادىء والغايات رعية وسلطاناً فإذا بذلت الدولة جهدها في معونة الرعية واجمعت الرعية على معونة الدولة ومعونة بعضها لبعض فليس لاعدائها عليها من سبيل .

اما معونة الدولة للرعية فهي تأدية الامانة التي ائتمنتها عليها والقيام بالوكالة التي وكلتها اليها ووضع حقوق الوكالة في نصابها .

وذلك بتربيتها واعدادها لمكافحة الزمان ومنافسة الجيران بنشر العلم في عامتها وخاصتها وتثقيف عقولها وتهذيب اخلاقها وعادتها وتوفير الصحة عليها وتأمينها على أرواحها وأعراضها وأموالها من الاشرار العائثين بالفساد خلال ديارها والغزاة المغيرين عليها وتنمية ثروتها باخصاب ارضها واحداث الصناعات النافعة بينها وترويج تجارتها وانصاف مظلوميها من ظالميهم وبتنفيذ الشرائع والقوانين بالقسطاس المستقيم سالكة في كل اولئك سبيل الاقتصاد في النلفة مدخرة من المال ما تعوزها اليه نوائب الدهر من الاوبئة والحروب والقحط .

واما معونة الرعية للدولة فهي تسهيل عملها عليها وملازمة الطاعة في تنفيذ ما وكلته اليها .

وذلك بأن يبـذل الاباء والامهات منها غاية جهدهم في حسن القيام على تربية أبنائهم في المنزل وخـــارج المدرسة وصونهم عن السقوط في حمأة الرذيلة من الكذب والمهاترة والعناد ومشاحة غيرهم والتمادي في اللعب والسخرية بالناس وبأن يقوم مياسيرها بنصيبهم في تهذيب محاويجها وترقية عقولهم واخلاقهم بنشر معاهد التعليم بينهم او مد الدولة بالمال والارضين لانشائها وحبس الريع والعقار على تشجيع النبغاء والاذكياء والمؤلفـــين والمخترعين وانشاء ملاجىء للايتام والزمنى ودوراً للمرضى وبأن يقوم

Marfat.com

أرباب الزعامة والعصبية والنجدة والاقوال المسموعة بالضرب على ايدي المفسدين من السراق والخراب ومطاردة الجناة وسوقهم إلى حراس العدالة ومقت المذنبين وانشاء جماعات الحسبة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

سأل أحدهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لم اختلف عليك الناس ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر ؟ فقال : لأنهما حكما مثلي وحكمت مثلك . وقال عبد الملك بن مروان من خطبة له في أهل الكوفة : « ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين وأنتم لا تعملون أعمالهم » .

واما معونة الامة بعضها لبعض فباشتراك النابهين منها في إسعادها وكلاءة مادة رزقها عليها من الزراعة والصناعة والتجارة .

وذلك بأن يقوم نبهاء الزراع بالتجارب المفيدة في استجادة الزرع والدواب وإنشاء النقابات الزراعية لانتقاء البذر واستحضار السماد واقتراض الأموال ونشر أفضل طرق الزراعة واستعمال أفضل آلات الحرث والحصد والري .

وبأن يقوم أرباب رؤوس الاموال القليلة بتأليف الشركات الصناعية والتجارية لتكوين رؤوس أموال عظيمة تقوم بجلائل الاعمال ولا يزعزعها طفيف الخسارة .

اذا استمسكت كل امة حاكمها ومحكومها بعرى التعاون ثم تعاونت هي وغيرها على تذليل صعاب الحياة الدنيا وتبادلوا المنافع والغلات كانت عاقبة ذلك سعادة الانسان ورفع الخصام واستتباب السلام وما ذلك على الله بعزيز .

نسخة مجانية

Marfat.com

الخضر

الك الله يا موسى حين تفني جهودك فلا تدري اتوجهها الى فرعون أم توجهها الى قومك بني اسرائيل أم توجهها الى قارون وأمثاله من هؤلاء المفترين ام تجمع نفسك لتتجه الى ربك تستعينه وتستهديه في تأدية رسالتك ونشر دينك ؟ أم تتجه الى ربك تحمده على ان اكرمك حين نصرك على عدوك .

ولكن أترى يا موسى أخذتك نشوة الانتصار وشعشعك اكرام الله يوم وقفت تخطب وتعظ وتبين للناس معالم الدين وتفسر التوراة .

ويوم ان غمرت السامعين بروعة علمك وفصاحة بيانك حتى سألوك : هل في الناس يا موسى من هو أعلم منك ؟ وسرى في نفسك ما يسري في طبيعة البشر وحسبت انك شيخ الانبياء وكليم الله وانك صهر شعيب وانك ربيب القصور وانك مغرق فرعون وانك غالب السحرة وانك مفجر الماء من الصخرة وانك فالق البحر وانك صاحب التوراة وانك تغترف من بحر علم الله .

ولكن الله سبحانه أوحى اليك ان بحر علمك يا موسى قطرة من بحر علم المقربين وان من عبادي عبداً صالحاً تلقاه عند مجمع بحر الروم وبحر فارس فيما يلي الشرق وقد آتيناه من لدنا علماً .

وموسى الذي يرى انه الحظي عند ربه الاثير لديه دون انبيائه لا بد ان يلقى هذا العبد الصالح ويرحل في طلبه ويسعى لصحبته ويلتمس من علمه حتى لو أمضى حقبة أو حقباً من الزمان .

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ

Marfat.com

أوْ أمْضِيَ حُقُبًا) . وأوصى الفتى ان يأخذ غداءهما حوتاً من حيتان البحر في مقطف او مكتل وسار الى الشرق ودائماً يرحل الى الشرق ويقتبس النور من الشرق . فالشرق منزل الوحي ومنبع الاديان ومسقط الرسالات وحقل الروحانيات .

وسارا حتى كدهما السير وأضناهما الارتحال فناما على صخرة في ظل شجرة على شاطىء البحر ونزل المطر فبلل الحوت فصحا وقفز إلى البحر وهما لا يشعران

(فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) .

وتابعا السير حتى وقفا على البحرين وماذا هناك الا ان يرى قدرة ربنا سبحانه ويسرح في تأملاته ويسبح في صلواتها ويتيه في ملكوت رب العالمين .

(وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .)

ولعل لله حكمة في أن جعل موعد لقائهما عند مجمع البحرين حتى يشبع نفسه من تمجيد الله في جلاله وحتى يغسل ما علق في نفسه من زهو في نسماتة وحتى يعود الى العبد الصالح وقد خلص من كل مظاهر الحياة الا من الماء وهو أصل الحياة .

(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ .

(فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا .)

(قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا

نسخة مجانية

Marfat.com

أنْسَانِيهُ إلاّ الشّيْطَانُ أنْ أذْكُرَهُ وَاتّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا .

وأنصت موسى الى نفسه وعجب من أمر الفتى والحوت وكيف يحيا الحوت وهو في المكتمل ثم يقفز الى البحر فيعود الى الماء وكيف ينسى الفتى هذا الحوت الكبير ولا يحس بالمكتل وهو يحس ثقله وفيه حوت، وخفة وزنه حين خلا من الحوت .

ويا ترى أيكون الشيطان ابليس في أثري حتى وأنا في هذه الرحلة ؟ لعل سراً من اسرار الله في ذلك المكان الذي نمنا فيه على صخرة تحت الشجرة ولعل موعدنا مع العبد الصالح هناك ولا ندري .

عد بنا يا فتى الى حيث كنا واياك ان نتيه في عودتنا فهاهي ذي آثار اقدامنا فلنقصصها حتى تهدينا الى الصخرة المباركة .

« فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلّمْنَاهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً » .

وما كان العبد الصالح الا شيخاً نحيلاً طوى جسمه الناحل في ردائه فجعل بعضه تحت رأسه وغطى جسمه ببعضه في هذا العراء الذي لا نهاية له وفي هذه النومة الهادئة على شاطىء ماء لا حد له وفي هذه الوحدة الموحشة التي لا مؤنس فيها الا الاغراق في بحر علم الله .

ومال عليه موسى فصحى الشيخ من هدأته وسلم موسى فسلم وعرفه بنفسه فعرفه وعرض عليه ان يتتلمذ عليه فتأبى عليه واستوسع علمه على موسى وبين له ان بحر علم الظاهر لا يساوي قطرة من بحر علم الباطن .

وشرح له ان علمك يا موسى الذي زهت به نفسك تبتدىء به عند مرحلة أعلى من احاطتك وطاقة اقوى من طاقتك واصبر اصبر مما تحسه في نفسك .

قَالَ لَهُ مُوسَى : « هَلْ أتّبِعُكَ عَلَى أنْ تُعَلّمَنِي مِمّا

Marfat.com

عُلِّمْتَ رُشْداً »

« قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً » .

وموسى في سبيل الله والوصول الى الله لا يغضب من الشيخ ولا ينفر من تهوينه ولا ييأس من تصعيبه ويبدي استعداده وتلهفه على علم جديد فوق ما كان يظن انه قد علم وأتم العلم .

ويقول : (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً) .

ولأمر ما اشترط العبد الصالح على موسى ان يصبر ولا يتعجل .

أكان ذلك لما في طبيعة الانسان من اللهفة على استيضاح المبهم وتفسير المستغلق وحذر النفس وقلقها مما تكنه أستار الغيب تدفعها الى ذلك غريزة حب الاستطلاع .

فقد يرى الانسان ظاهرة من ظواهر الكون فلا يفهم فيسارع الى السؤال والاستفسار فان لم يجد من يسبقه بالتوضيح وضح لنفسه . ثم يحكم بما يحكم وهو لا يدري ان كان على هدى او كان في ضلال مبين .

قال العبد الصالح : « فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً .

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا » العبد الصالح .

فتلفت موسى الى اصحاب السفينة والى استاذه الشيخ وعجب من فعله وركاب البحر يخافون الغرق ويرمون كل خرق في سفينتهم فما بال هذا الشيخ يعكس الآية ويخرق السفينة .

لا بد انه يود ان يغرق اهلها ويغرقنا معهم . وهذه الحياة لا يغامر بها انسان فماذا بعد ان يغرقنا هذا الشيخ الذي عاهدني على ألا أتعجل وألا أسأل .

Marfat.com

فمال موسي يهمس في اذن استاذه وقد تخطى حدود المعاهدة التي عقدها عند الصخرة وقال له : « أَخرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْراً » .

فاستدار الشيخ اليه في هدأة العالم يحنو على تلميذه يذكره بمعاهدته ويزجره على نقض عهده وقال له : « ألم أقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً » .

وخجل موسى واعتذر من فعله واعتل بنسيانه واستغفر من ذنبه وتوقع ان يحيق به شر من مخالفة هذا الشيخ الخطير . و « قال : لاَ تُؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أمْرِي عُسْراً .

فَانْطَلَقَا حَتّى إذَا لَقِيَا غُلاَماً فَقَتَلَهُ » العبد الصالح .

فانزعج موسى لهذه الجناية ؛ جناية قتل غلام جميل ناضر بريء لم يجرم ولم يسيء الى احد . وماذا يكون جزاؤنا من أهله ان أدركونا .

واين هذه الجناية من دين موسي الذي يحرمها ويتوعد القاتلين بالقتل وبغضب الله .

ولم يستطع موسى صبراً على استاذه مهما كان يجله ويجامله . واستفهم استفهاماً إنكارياً : أقتلتَ نَفساً زَكِيّةً بِغَيْرِ نَفسٍ ؟ لقدْ جِئْت شَيئاً نُكراً » .

فاستدار الشيخ اليه في هدأة الحلماء والحكماء حين لا يضيقون بتلاميذ متسرعين ، وذكره بمعاهدته وقال :

« أَلَمْ أقُلْ لكَ إنّكَ لنْ تَستطِيعَ مَعِي صَبراً » .

وثاب موسى الى رشده وارتد الى عهده وحاسب نفسه وتذكر انّ هذه هي الثانية وان الاولى لك والثانية محسوبة عليك .

وما هذا بالمنهج المرضي ولا الاسلوب المقبول ان تنقض العهود وان تنسى المواثيق . وما هذا بادب التلقي ولا هو بسلوك المريدين .

Marfat.com

فلم يرضَ عن نفسه وتضاءل بين يدي استاذه وطيب خاطره وفرض فرضاً جديداً وبنداً شديداً في بنود معاهدته و قال : « إنْ سَألتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعدَها فَلاَ تُصاحِبْنِي قَدْ بَلغتَ مِنْ لدُنّي عُذْراً .

فَانْطلقا حَتّى إذَا أَتيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتطعما اهْلها فَابوْا أنْ يُضيّفُوهُما » .

فاشمأزت نفس موسى من هذا الشح البادي على اهلها وهم ان يندد بهم وينتقصهم ويخدش كرامتهم .

ولكنه لم نفسه وكم فمه وكظم غيظه فهو منذ قريب قد أحرج نفسه فضاقت دائرة الاعتذار عليه .

ثم سارا فوجدا في هذه القرية جداراً مائلاً يريد ان ينقض فيقع متهدماً . فاخذ العبد الصالح يقيمه ويدعمه ويسنده وقضى في ذلك وقتاً وبذل جهداً واستحق على ذلك شكراً وأجراً ولم يتقدم احد بأجر ولا بشكر .

ويمضي الشيخ مطمئن النفس مرتاح الضمير ويعجب موسى وينفـــد صبره ولم تبق فيه طاقة ان يسكت على ما يرى من امر الشيخ وفعله المعروف في قرية لايستحق أهلها سلاماً ولا كلاماً ولا اهتماماً .

قال في أدب وتواضع ليس فيه عتاب ولا ملام لو شئت لاتخذت عليه اجراً ولطالبت هؤلاء الناس بجزاء ما اسلفت من معروف .

فاستدار اليه الشيخ في حزم وعزم كمن ياخذ المخالف بمخالفته والمعاهد بمعاهدته والفاعـــل باعترافه و قال : « هذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنبِئُكَ بِتأوِيلِ مَا لَمْ تَستطعْ عَليهِ صَبراً » .

اسمع يا موسى : « امّا السّفينةُ فَكانَتْ لِمساكِينَ يَعملُونَ فِي البحرِ فَارَدْتُ أن أعِيبها وَكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يأخذُ كلّ سَفينةٍ غصباً .

وَأمّا الغُلامُ فَكانَ أبَوَاهُ مُؤمنينِ فَخشينا أنْ يُرْهِقهُما

Marfat.com

طُغْيَاناً وكُفْراً فَأَرَدْنَا انْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً .

« وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكَانَ أَبُوهُما صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَستخرِجا كَنزَهُما رَحْمةً مِنْ رَبِّكَ .

« وَمَا فَعلتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَم تَسطِعْ عَليهِ صَبراً ».

فأين علمك الظاهر يا موسى من علم استاذك الباطن .

خذ من الخضر وابدأ من جديد تتعلم من المهد الى اللحد .

قال تعالى : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلمِ إلاَّ قَلِيلاً » .

محمود زهران

Marfat.com

العنكبوت

حشرة صغيرة كشف العلم الحديث عن اهميتها بالنسبة للناس . وبيّن ان نفعها عظيم . فعلى وجودها يتوقف حياة « الملايين » من الناس .

ولكي تدرك أهمية هذه الحشرة فعليك ان تعرف ان العناكب تعيش على الحشرات التي تقضي على محصولاتنا الزراعية . ولو قدر الله واختفت العناكب عن وجه الارض لمات معظم الناس من الجوع اذ ان الحشرات المبيدة للزروع ستأكل جميع محصولاتنا الزراعية .

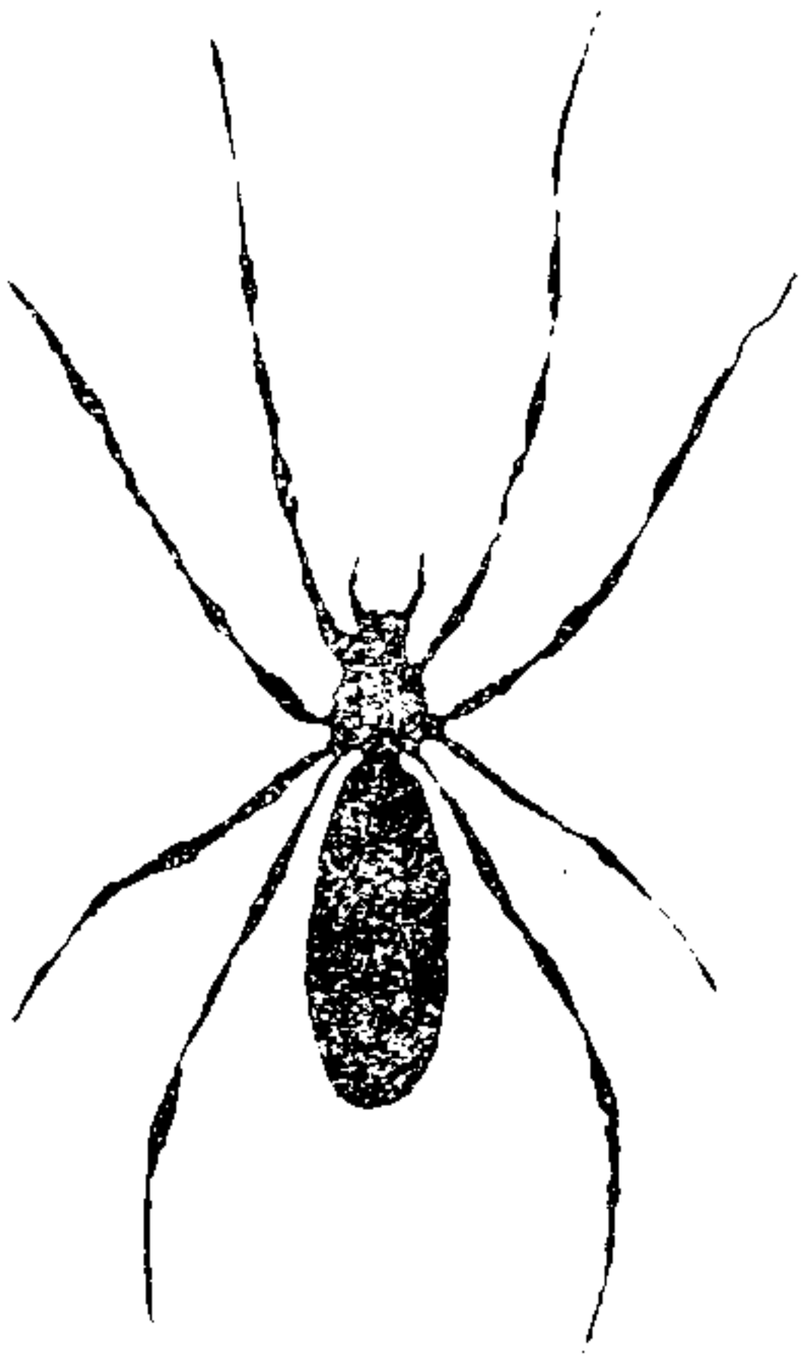

العنكبوت

ويقول علماء الحشرات ان العناكب تأكل كل سنة ما يساوي وزن ثلاثة ملايين رجل ومن الصعب تصديق هذا لعدم معرفتنا بعدد العناكب الموجودة على سطح الارض . غير ان العلماء يقدرون عدد العناكب الموجودة في الفدان الواحد من الارض المعشوشبة بعدد يتراوح بين مليون وربع الى مليونين وربع من العناكب وقد قام بهذا الاحصاء عالم بريطاني وذلك بأخذ عينات من الارض في المناطق المختلفة .

والعناكب انواع متعددة قد تصل الى خمسين الف نوع ، منها بضعة

Marfat.com

عشر نوعاً فقط من الانواع السامة وتعتبر مؤذية ، ومنها العقرب المعروف غير ان جميع العناكب لا تهاجم الانسان وثمة حقيقة اخرى عن العناكب وهي انهـا توجد في كل مكان ، فهي تعيش على ارتفاع الوف الاقدام على قمة جبل « افرست » ووجدت ايضاً داخل المناجم على عمق الفي قدم . وتعيش وسط الثلوج القطبية . وفي الجزائر الصخرية النائية ، وفي المناطق المجهولة ، وفي اعشاش الطيور بل وفي بيوت النحل أيضاً .

ومع ان العناكب حشرة برية الا ان بعضها يعيش تحت سطح الماء على سيقان النباتات المائية ، وذلك في فقاعة هواء . والعناكب تملأ البيوت وجدران المعامل وسطوح المنازل وبعضها يعيش في الصخور البحرية التي تغمرها مياه المد . وتسكن في بيوت تبنيها من نسيجها .

وتتخذ العناكب لون المكان الذي تعيش فيه اذ تلونها بالبيئة التي تعيش فيها يساعدها على التخفي عن اعدائها . اما العناكب التي تعيش في المناطق الحارة ، فيكون لونها لامعاً .

وتتغذى العناكب على الحشرات فقط وهي لا تأكل النباتات أبداً . ولهذا فهي ليست ضارة بالنباتات مطلقاً .

وتختلف مصائد العنكبوت وتتنوع وهذه المصائد تقوم بنسجها العناكب لاصطياد فرائسها من الذباب والحشرات الاخرى فعندما تتعلق ذبابة بنسيج المصيدة تسرع العنكبوت الى التهام فريستها .

وتبتكر العناكب اساليب جديدة للصيد فمنها ما تبني قلعة تخفيها تحت نسيجها وتنتظر مثل قاطع الطريق حتى تمر بها حشرة سيئة الحظ فتنقض عليها العنكبوت وتفترسها وبعض العناكب تتعلق بحبل من نسيجها وترسل طرفه على الاعشاب حتى تعلق به حشرة فيلتف الخيط على الحشرة وتقوم العنكبوت بالهجوم على الفريسة . وبعض العناكب تتخذ من ميزة التخفي

Marfat.com

اسلوباً للصيد فتقبع في كأس زهرة وتبدو كجزء من تلك الزهرة فإذا ما جاءت فراشة إلى الزهرة برزت العنكبوت وهاجمت الفراشة وأكلتها وبعضها تحمل شبكتهـــا بأطرافها الامامية وحينما ترى فريستها تقذف الشبكة عليها وتططادها .

ومعظم العناكب تأكل فريستها في مكان الصيد إلا أن بعضها يحمل فريسته على كتفيه عائداً إلى بيته .

وحجم العنكبوت صغير ، وأكبر نوع منه هو الموجود في المناطق الاستوائية اذ يبلغ طول العنكبوت ثلاث بوصات ونصف وطول اذرعها ثماني بوصات .

وخيوط العنكبوت واهية جداً ولكن إذا فتلت هذه الخيوط فليس هنا ما يضاهيها متانة وخفة . فان قوة خيوط العنكبوت تبلغ ثلاثة اضعاف قوة سلك من الحديد او بتعبير آخر لو صنعنا حبلاً من خيوط العنكبوت قطره بوصة واحدة لأمكن ان نرفع به ثقلاً يبلغ وزنه أربعة وسبعين طناً .

ولا تقتصر خيوط العناكب عـــلى صنع المصائد بل هي ايضاً لبناء أعشاشها ووضع الشرانق فيها كما تبني منها بيوتها في الارض . او تطير في السماء . وتفرز العنكبوت هذه الخيوط من غدد تقع في مؤخرة جسمها .

والعناكب لا ترى الاشياء البعيدة . وبعضها لا يرى مسافة تزيد عن البوصة غير انها ذات حساسية قوية جداً لدرجة انها تستطيع معرفة أي شيء تريد معرفته . فالأهداب التي تنتشر على اقدام العنكبوت تستطيع بواسطتها معرفة أي شيء يلمس خيوطها البعيدة المتطايرة في الهواء وتعرف فيما إذا كان هذا الشيء فريسة لذيذة أو عدواً كالزنبار مثلاً .

والزواج في دنيا العناكب غريب أيضاً فالأنثى منهـــا تتزوج ذكراً يصغرها حجماً بمئات المرات . ومن المعروف ان الزوجة تأكل زوجها بعد الزواج وان كان هـــذا لا يحدث دائماً . وتضع العنكبوت ملايين

Marfat.com

من البيض وتخرج منه ملايين من العناكب ولولا هلاك كثير منها لأتت على الغذاء الموجود .

تنسج العنكبوت خيطاً تطلقه في الهواء متعلقة به فيرتفع مع تيارات الهواء الساخنة إلى طبقات الجو العليا . وقد تصل في ارتفاعها الى خمسة عشر ألف قدم كما شهد ذلك احد الطيارين .

هذه هي العناكب التي لا نعيرها أهمية تذكر والتي تغطي مساحات شاسعة من الارض وتوجد في كل مكان . ونستطيع ان نعطيها صفات كثيرة فهي مبيدة للحشرات . وهي مهندس قدير وجندي يتقن عمليات التخفي وغواص البحر ومكتشف للاجواء العليا وصياد ماهر . ومتسلق للجبال وحائك ماهر ونساج فنان . أوليست هذه اعجوبة في عالم الحشرات ؟

عبد الحليم منتصر

Marfat.com

ام عربية

مكة أرض الله المقدسة في حصار . الكعبة بيت الله الحرام يروح فيها الجند ويجيئون . ألوية هنا ورماح هناك أسلحة وآلات وجنود داخل المدينة قائدهم رجل في السبعين هو عبد الله بن الزبير خليفة الحجاز ، وجنود حول المدينة قائدهم شاب في الثلاثين هـــو الحجاج بن يوسف الثقفي . جو مكة كله هلع والتياع وكأنما كل شيء يوحي الى اهلها ان استسلموا فالحرب ضروس والموت على الابواب .

ماجت مكة بكثرة الوافدين عليها ليؤدوا فريضة الحج ، ولكن جند الشام لم يترك مكانه ، وجند مكة لم يبرح محاصراً لا يستطيع خروجاً. لم يستطع الحجاج ولا جنده الطواف في البيت بل ظلوا محرمين مكانهم لا بسين الدروع فوق الاحرام . ولم يستطع ابن الزبير الخروج الى عرفة فنحر هديه في مكة .

هدأت الحركة في مكة بعض الشيء منذ رجع الحاجون الى اوطانهم ولكن نفوس اهلها في حركة ، واي حركة هلع وخوف وقلق . لقد طال بها الحصار وضاقت نفوس أهلها فلا يستطيعون احتمال المزيد .

وبينما اليأس يحرق قلب الشيخ حرقاً اذ بعروة بن الزبير يناديه . ماذا يريد منه عروة ؟ عروة يناصر عبد الملك وهو في أمان من هذا الحصار وهذا الجند ماذا يبغي عروة منه في ساعة اليأس هذه . عروة رسول أمل جديد جاء يعرض عليه الامان بشروط مرضية ، هم يعطونه كل ماله املاكه سلامته حريته التامة ، كل شيء الا الخلافة . وفي ساعة اليأس يرى اليائس بصيص النور ضياء ساطعاً وهاجاً ولكن السن أملت

Marfat.com

عليه التدبر فليترو قليلا وليستشر ولكن من يستشير ؟

في ركن من أركان بيت عبد الله بن الزبير قبعت عجوز في المائة من سنها ، عجوز لها من تجارب الحياة ذخر ثمين ولها من الصحة ورجاحة العقل رغم هرمها ما شهرت به ، ولكن لهـــا فوق هذا كله منزلة في نفس عبد الله لم يبلغها أحد ، هي امه هي اسماء بنت ابي بكر الصديق فليستشرها هي .

واقترب الابن من أمه الوالهة التي جثم الحزن الى قلبها طويلا لقـد فجعت حديثاً في ابنها مصعب بعد ان ملأ ذكره الآفاق بعد ان استولى على قطر من أهم الاقطار العربية وهو العراق بعد ان قاتـــل فقتل في ميدان الجهاد كريماً شريفاً شهماً شهيداً ولكن حزنها لم يشفع لها لدى الدهر فما زال الدهر يلوح لها بين حين وآخر بسلب ابنها عبد الله أعز أولادها واطيرهم ذكراً وأكثرهم جهاداً ، دنا ابنها منها وسألها :

— كيف تجدينك يا أماه ؟

— اني لشاكية .

فقال لها وكأنه يحدث نفسه اليائسة .

— ان في الموت راحة ، فأجابته :

— لعلك تتمنينه لي وما احب ان اموت حتى يأتي على أحد طرفيك اما قتلت فاحتسبك واما ظفرت فقرت عيني بك .

صدمهُ جواب امه وكانما كان جوابا عما اتى يستشيرها فيه كيف يسألها ؟ ولكنها لا تعرف عمـــا عرضوه عليه شيئا وفي صوت متهدج قال لها :

— أماه لقد خذلني الناس حتى ولدي واهلي ولم يبق معي الا اليسير ومن ليس عنده اكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما اردت من الدنيا فما رأيك ؟

Marfat.com

وجاشت في صدر الام عواطف ونوازع شتى كلها تتزاحم فلا يتاح لاحدها فرصة التغلب او الظهور حنان شفقة خوف شجاعة حب لولدها حب لوطنها حب اربها وللحق ولرسول الحق ولتعاليم الحق ظلت كل هذه تتصارع في صدر العجوز صراعاً عنيفاً وظلت الام تعاني آلام هذا الصراع حيناً وآلام الهزيمة لكل عاطفة تهزم منها كل عاطفة جزء منها فصراعها يؤلمها وهزيمتها تكاد تقتلها .

ولكن حميتها العربية انتصرت أخيراً وتغلبت من كل هذه العواطف الخليقة باسماء بنت ابي بكر الصديق .

وفي صوت ملؤه اليقين قالت لوالدها :

انت أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه اصحابك ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد انت اهلكت نفسك ومن قتل معك كم خلودك في الدنيا ؟ القتل احسن .

القتل احسن ولكن ماذا بعد القتل ؟ لن يتورع الجبار من ارتكاب شيء لن يردعه دين ولن يردعـــه خلق فقال وكأنما الحقيقة تمثلت له قبل وقوعها .

ـ اماه اني اخاف ان قتلني أهل الشام ان يمثلوا بي فقالت له :

ـ الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله .

سرت روح الام الى ابنها فقشعت من صدره كل يأس وكل خوف وظلت كلماتها تتردد في نفسه كوجيب قلبه القتل احسن القتل حلت الشجاعة محل اليأس وحل جلال الحق محل الخوف من الموت والمثلة لم يعد يألم لشيء الا لتلك الثكلى التي ستفقده بعد فقد اخيه بالامس .

اماه اني مقتول يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الامر لله ان ابنك لم يتعهد ايثار كفر ولا عمل بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر

نسخة مجانية

Marfat.com

في امان ولم يتعهد ظلم مسلم او معاهد ولم يبلغني ظلم من عمالي فرضيت به بل انكرته ولم يكن شيء عندي آثر من رضى ربي ثم رفع رأسه الى السماء قائلاً :

— اللهم لا اقول هذا تزكية لنفسي ولكن اقوله تعزية لأمي حتى تسلو عني .

خيم الصمت على الام وولدها وقد أحسّت انها ستراه لآخر مرة كما أحس هو بذلك وترقرق الدمع حاراً ملتهباً في عين العجوز ، الدمع الذي ظل محتبساً من اهوال الايام الاخيرة انفجر في هذا الموقع الذي يجـــل عن كل دمع .

بدا ابنها يحس شيئاً من الاحجام بعد ان صمم على القتال والاستشهاد وخاف ان يستولي عليه هذا الشعور ان لم يسرع بتنفيذ ما صمم عليه ، وكأن الام ما زالت بروحها تدفعه الى الاستشهاد كما حضته بقولها منذ قليل ، فأسرع نحو الباب بعد ان قبلها قائلاً :

— اماه لا تدعي الدعاء لي .

— لا أدعه لك أبداً ، وكأنها تريد ان تذكره فقالت :

— فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق .

خرج ابن الزبير من عند امـــه فاذا الفجر لاح والمؤذن يدعو الى الصلاة فليذهب الى المسجد اذن عسى ان يبعث الله الى القلب طمأنينة يجتاز بها قلاقل اليوم .

صلى ابن الزبير صلاة حارة ارسل بها الى ربه ما وسعه من الشكوى وما استطاع من الرجاء ، وأحس بأن نفحة من العالم الاعلى حلت في نفسه من جديد فلم يعد شيخاً ضعيفاً بل أصبح شاباً مندفعاً في ميدان الاستشهاد.

ظل ابن الزبير بعد الصلاة في المسجد طويلاً ترن كلمات امه في اذنه حيناً ويصلي الى ربه حيناً آخر فيقول :

Marfat.com

يا رب ان جنود الشام قد كثروا وهتكوا من حجاب البيت أستاراً
يا رب إني ضعيف الركن مضطهد فابعث إلي جنوداً منك أنصاراً

ثم حمل هو وأصحابه على الحجاج وجنوده حتى لقي مصرعه ، ثم صلبه الحجاج .

وبعد ، فهذا موقف من مواقف اسماء بنت أبي بكر الصديق . وقفته وقد قارب عمرها المائة . وقفته وقلبها مملوء حمية وشجاعة وعزة وكرامة .

لقد علّم الاسلام المرأة العربية وصقل مواهبها ، رحمها الله ورحم ابنها رحمة واسعة .

سهير القلماوي
باختصار

نسخة مجانية

Marfat.com

الامام ابو حنيفة النعمان

هذا بطل اسلامي ادى خدماته للعالم الاسلامي ، من غير ان يكون في منصب من مناصب الدولة . ذلك هو الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان ، امام المشرعين وقدوة [١] المجتهدين ، ومؤسس مدرسة الرأي في الفقه الاسلامي ، الشجاع الذي لم يخش اعلان رأيه ، والقانع الذي دانت [٢] له الحياة فلم يأخذ منها الا بمقدار ما يحقق قول الله تعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا [٣] وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا [٤] » .

هو بطل الفكر والرأي الذي وصفه تلميذه العظيم ابو يوسف فقال [٥] « عليم به انه شديد الذود [٦] عن المحارم [٧] ، شديد الورع ان ينطق في دين الله تعالى بلا علم ، يحب ان يطاع الله تعالى ، ولا ينافس أهل الدنيا فيما في ايديهم ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، على علم واسع ، لم يكن مهذارا [٨] ولا ثرثاراً . ان سئل عن مسألة كان له علم بها اجاب : « والا قاس [٩] ، مستغنياً عن الناس ، ولا يميل الى طمع ولا يذكر الناس الا بخير » .

هذا وصف رجل لازم استاذه طول حياته ، فلخص في كل كلمة منه ناحية من نواحي العظمة .

كان ابو حنيفة تاجر ثياب يكسب من عمل يده ، يذهب الى دكانه

---

(١) امام ومثال . (٢) اطاعت وخضعت . (٣) يبخلوا (٤) وسطاً واعتدالا .
(٥) باختصار . (٦) الدفاع (٧) الاشياء التي تحت حمايته كالاهل والدين (المفرد : محرمة) . (٨) كثير الخلط والكلام بما لا ينبغي (٩) اي استخدام القياس ، بان يجري عليها حكم نظائرها التي تشترك معها في علة الحكم من التحريم او التحليل .

Marfat.com

ليزاول التجارة . ويذهب الى المسجد ليعلم الفقة ، فما عرف الناس تاجراً أنزه ولا اعف ولا اسخى من ابي حنيفة ، وما سمعوا عن استاذ كان اعلم او ادق او اكثر تواضعا منه .

لم يقبل ابو حنيفة عطية أمـــير ، ولا رفد [١] وال ، وانما ضرب أروع [٢] الامثلة في الكفاح ، واغدق [٣] الله عليه الرزق كسباً حلالاً ، فأنفقه في سبيل الله كما فعل ابو بكر الصديق بثروته .

نزلت برجل ضائقة فتجلد لها حتى عضه الجوع هو وزوجته وابنته ، فاضطر الى السؤال ، وكان يعرف عن أبي حنيفة السماحة ، فتوجه الى حلقة درسه ولكن الحياء عقد لسانه فلم يستطع ان يبوح لأبي حنيفة بما في نفسه ، ورجع عائداً الى بيته ، فتبعه ابو حنيفة وقد ادرك بذكائه ما يدور بنفس الرجل ، وعرف بيته ثم عاد في الليل ومعه صرة فيها خمسة آلاف درهم ، وطرق الباب وقال له : وضعت عند بابك شيئاً هو لك ، ورجع مسرعاً قبل ان يراه الرجل ابقاء على ماء وجهه ، فلما اخذ الرجل الصرة وجد فيها مع النقود العبارة التالية : « هذا المال جاء به ابو حنيفة اليك من وجه الحلال ، فليفرغ بالك » .

وجاءت مرة عجوز تريد شراء ثوب ، ورجته ان يترفق في الثمن ، فعرضه عليها وقال لهـــا انه بأربعة دراهم ، فظنت المرأة انه يهزأ ، فقالت له : لا تسخر مني وانا عجوز لا حيلة لي . فقال لها ان هـــذا هو الثمن الحق ، فقد اشتريت ثوبين بعت احدهما بالثمن كله الا اربعة دراهم ، وهذه الدراهم الباقية هي ما اطلبه منك ثمناً للثوب الآخر .

هذا مثل من امثلة قناعة التاجر الفقيه الذي فهم خير ما يفهم من الحكمة الاسلامية القائلة « الصدقة الخفية في البيع والشراء » .

وكان هذا الامام المنقلب في نعمة الله يزيد نفسه متعة واستزادة من

---

(١) عطاء . (٢) اجمل . (٣) افاض .

Marfat.com

نعم الله بقاسمتها غيره ، ينظر الى نعمة المال في يده كما ينظر الى نعمة العلم في عقله ، لا يرى نفسه سعيداً باحداهما الا اذا اشرك فيها غيره ، فكما يفيض بعلمه على تلاميذه كان يغدق عليهم وعلى غيرهم من ماله واذا كسا نفسه حلة جديـــدة كسا احد العلماء مثلها . ولقد سبق تولستوي [١] — وغيره — بألف سنة في الخروج عن ماله ، ولكن بطريقة احكم واحصف [٢] ، فقد كان الامام — رضي الله عنه — يخرج عن كل ماله للموزين ، بعد ان يستبقي لاهله ما يكفي نفقتهم ، اخذاً بالاصول الاسلامية التي تقول : ان خير الصدقة ما ابقت غنى . وما كان الامام ليجود بكل ما يملك تاركاً نفسه واهله عالة [٣] يسألون الناس . ولذلك كان يقول : « ما ملكت أكثر من اربعة آلاف درهم منذ اكثر من اربعين سنة الا اخرجته ، وانما امسكها لقول علي رضي الله عنه : أربعة آلاف فما دونها نفقة . ولولا اني اخاف ان الجأ الى هؤلاء[٤] ما تركت منها درهما واحداً

وهذا الزهد الحصيف كان مبدأ راسخاً عند ابي حنيفة في جميـــع تصرفاته المالية والعلمية ، ترجم على نفسه حلما ورعا ونزاهة .

حدث احد أصحابه قال : كنت عند ابي حنيفة ، وهو في مجلسه وعنده اصحابه ؛ فجاء شاب فألقى عليه مسألة فأجاب فيها ، فقال له : اخطأت يا ابا حنيفة . فسكت ، ثم القى عليه مسألة اخرى فأجابه ، فقال له : اخطأت يا ابا حنيفة . فقلت لمن حوله من اصحابه ، سبحان الله لا تعظمون هـــذا الشيخ وتبجلونـــه[٥]؟ يجيء شاب فيخطئه وانتم سكوت ؟ فالتفت الي ابو حنيفة وقال : دعهم فاني قد عودتهم هذا من نفسي .

«١» فيلسوف روسي «١٨٢٨ - ١٩١٠» وكان ثرياً فنزل عن ثروته لفلاحي مزارعه .
«٢» أصوب رأياً . «٣» فقراء «المفرد : عائل» . «٤» يشير الى الناس في سؤالهـــم ذل وامتهان وما اكثر ما يمنعون المساعدة . «٥» تعظمونه .

Marfat.com

بل حدث مرة ما هو اعجب ، فقد كان ابو حنيفة في المسجد ، فقام رجل في ناحية منه يسبه ، فما قطع الامام الدرس حتى انتهى وقام الى داره فتبعه الرجل يشتمه في صياح وجلبة ، والامام لا يرد ، حتى بلغ داره فوقف عند الباب واستقبل الرجل بوجهه قائلاً : هذه داري اريد الدخول فان كنت لم تتمم كلامك فأتمه حتى لا تخاف الفوت [١] فخجل الرجل وقال : اجعلني حل [٢] فقال له : انت في حل .

واجتمع الفقهاء يوما لدى الامير يستفتيهم ، فادلى كل منهم برايـــه ، وادلى ابو حنيفة برأيه ؛ وادلى الحسن بن عمارة برأيه ، فقال ابو حنيفة اخطأنا واصاب الحسن . هذه هي شجاعة العالم النزيه الذي يسعى وراء الحق ، ولو خالف رأيه . ولقد اعظمه ذلك في عين الحسن — وغيره — فكان يأخذ بركابه ويقول : والله ما ادركنا احداً تكلم في الفقة ابلغ ولا اصبر ولا احضر جوابا منك ، وانك لسيد من تكلم في الفقة في وقتك .

بهذا التواضع والتورع اخذ تلاميذه كما اخذ ابنه حماداً . تقدم حماد ابنه يوما ليصلي بالناس اماما ، فاخذ ابوه بثوبه واخره [٣] عن موقف الامام وقدم غيره عليه . فقـال له حمـاد : يا ابت لفضحني ؟ فقال له ؟ بل اردت ان تفضح نفسك فمنعتك ، اذ لو صليت فقال قائل ؛ اعيدوا صلاتكم خلف هذا ، فسطر في الكتب لبقي عاره الى يوم القيامة .

غير ان هذا التواضع الذي اخذ به نفسه وابنه وتلاميذه لم يكن لينزل باحـــد منهم المذلة والخنوع . فهذا تلميذه محمد بن الحسن ، احـــد الصاحبين [٤] كان جالسا في جماعة فأقبل الرشيد فقاموا الا محمدا . ومضى

---

(١) ان يفوتك شيء تريد ان تقوله . (٢) اصفح عما قلته .

(٣) لاعتقاد الامام ان بعض الحاضرين أحق بالامامة لانه افضل من حماد . (٤) يطلق « الصاحبان » على عالمين جليلين من تلاميذ الامام لازماه اكثر من غيرهما وهما ابو يوسف ومحمد ابن الحسن .

Marfat.com

الرشيد لشأنه ثم جاء حاجب الخليفة ينادي : محمد بن الحسن ، فارتجفت القلوب لما سيصيب تلميذ ابي حنيفة من غضب الرشيد. فلما كان بين يديه سأله الرشيد لماذا انفرد بالجلوس عندما قدم عليهم ؟ فقال له محمد : كرهت إن اخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها ، انت اهلتني للعلم فكرهت ان اخرج منه الى طبقة الخدمة التي هي خارجة منه وان ابن عمك ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : من احب ان يمثل [١] له الرجـــال قياما فليتبوأ [٢] مقعده من النار . وانمـــا اراد بذلك العلماء ، فقال الرشيد : صدقت يا محمد .

كان ابو حنيفة فقيها اماما ، وتاجراً كسوبا ، وابا بارا ، وصديقا مخلصا ، وفردا في أمته وفيا لها ولكل ما يعلي شأنها ، وهو الى ذلك حريص على دينه اشد من حرصه على حياته ، وكثير التلاوة للقرآن ، تلاوة الفهم والتدبر ، حتى رووا عنه انه قرأه في حياته سبعة آلاف مرة على انه لم ينس نصيبه من الدنيا ولكن بالقدر المحمود الذي يرضي دينه ويبصره بها ويشؤونهـــا فيجيء فقهه وتشريعه لاهلها عمليا ناجعا . وكان مع ذلك خارجا عن سطوتها فـــلم تملك عليه نفسه ، ولم تستنفد وقته ، فتوافر له من الزمن والجهد ما بذله لعلمه ولتلاميذه فرغ ذات ليلة من صلاة العشاء في المسجد فكلمه تلميذه زفر في مسألة فقهية، فبقيا يتناقشان عند الباب حتى نودي لصلاة الفجر وهما قائمان فرجعا الى داخل المسجد ، فصليا ثم عاد للمناقشة بعـــد الصلاة ، وما زالا حتى استقرت المسألة على قول ابي حنيفة .

وقد كان مع ذكائه وسعة علمه متحرجا [٣] لا يحب العجلة في الاجابة والفتوى ، بل كان يسخو بزمنه وبعلمه وبجهده ، ويحتشد للامر احتشادا [٤]

«١» ينهض قائماً . «٢» يسكن يحتل . «٣» مبتعداً عن الوقوع في الحرج اي الذنب .
«٤» يجتمع عليه بكل فكره وقوته .

Marfat.com

ليعمل فيه رأيه ، لذلك كان لا يفتي اذا سئل وهو في الطريق ، ويقول : لا تسألني عن أمر الدين وانا ماش او نائم او متكىء او احدث الناس، فان هذه الحالات لا يجتمع فيها عقل الرجل ، وقد قال عنه جعفر بن ربيع أقمت عند أبي حنيفة خمس سنين ، فما رأيت أطول منه صمتاً ، فاذا سئل عن الفقة تفتح وسال كالوادي ، وسمعت له دويا وجهارة [١] في الكلام .

وقد عرفنا انـــه ينظر الى ماله نظرته الى علمه ، ويشارك في كل منها من حوله . فكما انه لم يكن ينتظر سائلاً ليبذل من ماله ، لم يكن كذلك ينتظر توصية أو وساطة لتعليم متعلم . جاءه مرة رجل بكتاب توصية لكي يحدثه في العلم ، فقرعه [٢] قائلاً : ما هكذا يطلب العلم ، قد اخذ الله الميثاق [٣] على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، وقال له : ان العالم لا يكون له خواص يختص بعلمه ، فهو انما يعلم الناس ويريد بتعليمه وجه الله .

لقد كان هذا الامام الجليل اشجع مفكر في الاسلام بعـــد صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، لقد تقدم للاجتهاد في ثقة مستمدة من روح الله ، وايمـــان قائم على فهم نصوص القرآن والحديث ، وذهن متوقد متحرر الا من البحث عن الحقيقة ، فاجتهد فأصدر فتاواه : مطمئنا الى انه ان اصاب فله أجران ، أجر اجتهاده واجر اصابته ، وان اخطأ فله اجر اجتهاده .

ولم يستطع حاكم او خليفة ان يسخره لاهوائه او يغريه بعرض من اعراض الحياة وقد دعي لولاية القضاء فرفض ، دعاه ابن هبيرة والي العراق من قبل مروان بن محمد [٤] فرفض ، وحبسه وعذبه ليحمله على القبول فلم يزده ذلك الا اباء . ودالت دولة بني امية وقامت دولة بني

(١) صوتاً عالياً . (٢) لامه وعنفه . (٣) العهد القوي (٤) آخر خلفاء بني أمية

Marfat.com

العباس فدعاه ابو جعفر المنصور لولاية قضائية فلم يقبل ، وسجنه وعذبه فلم ينل من ارادته [١] .

ولقد نتساءل : ايجوز للانسان ان يرفض ما يدعى اليه من اعمال الدولة ؟ ونحن نجيب عن ذلك بأنه ينبغي ان يكون للفرد الحرية الكاملة في ان يقبل او يرفض ما يعرض عليه منها . غير انه ينبغي الا يكون القبول او الرفض منبعثا عن نزوات [٢] شخصية ، او هوى جامح ، او كسل وقعود عن الخدمة العامة . فمن كان رفضه راجعا الى شيء من هذا فهو ملوم وعليه ان يبرأ مما يلام عليه بالاستجابة الى العمل .

اما من كان في قبوله او رفضه ملبيا ضميره ودينه ، خاضعا لسلطان عقيدته التي وصل اليها بعد تمحيص صادق نزيه ، فذلك حقه لا ينازع فيه . وكذلك كان رفض ابي حنيفة ، فقـــد خشي ان يسخر قضاؤه لخدمة السلطان ، او يطلب منه ما لا يرتضيه فأبى .

ومهما يكن الامر فأن ابا حنيفة الذي فر من منصب القضاء هو ابو حنيفة الذي قدم للعالم الاسلامي التشريع الذي يأخذ به كل من جلس على كرسي القضاء .

علي الجندي

---

(١) لم يستطع ان يثنيه عن عزمه ، او يخضعه لامره .
(٢) ميل وتسرع الى الشر .

Marfat.com

يقولون

يقولون في الاسلام ظلماً بأنه ... يصد ذويه عن طريق التقدم
فان كان ذا حقاً فكيف تقدمت ... أوائله في عهدها المتقدم
وان كان ذنب المسلم اليوم جهله ... فماذا على الاسلام من جهل مسلم
هل العلم في الاسلام الا فريضة ... وهل أمة سادت بغير التعلم [1]
لقد أيقظ الاسلام للمجد والعلى ... بصائر أقوام عن المجد نوم
وحلت له الايام عند قيامه ... حباها وابدت منظر المتبسم [2]
فأشرق نور العلم من حجراته ... على وجه عصر بالجهالة مظلم [3]
ودك حصون الجاهلية بالهدى ... وقوض اطناب الضلال الخيم
وانشط بالعلم العزائم وابتنى ... لأهليه مجداً ليس بالمتهدم
واطلق اذهان الورى من قيودها ... فطارت بأفكار على المجد حوم [4]
وفك اسار القوم حتى تحفزوا ... نهوضاً الى العلياء من كل مجثم

«١» يقول ان ذنب المسلم اليوم هو الجهل فالذنب ذنبه لا ذنب الاسلام لأن تعلم العلم في الاسلام فرض والامم لا تسود الا بتعلم العلم وحاصل المعنى تأكيد تبرئة الاسلام مما عليه المسلمون اليوم من الجهل . «٢» قوله حباها جمع حبوة وهي ما يحتبي به الرجل من عمامة او ثوب وكانت العرب اذا قعدت مجالسها تحتبي بثيابها وذلك بأن يجمع الواحد منهم بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ليستند اذا لم يكن للعرب في البوادي جدران تستند اليها في مجالسها وحل الحبا كناية عن القيام يقال حل الرجل حبوته اذا قام كما يقال عقد حبوته اذا قعد . فمعنى البيت هنا ان الاسلام لما قام حلت له الايام حباها اي قامت له تعظيماً . «٣» قوله من حجراته بفتحتين اي من نواحيه جمع حجرة وهي الناحية . «٤» قوله حوم أي دائرات وهو جمع حائم على حام الطائر على الماء اذا دار به . «٥» قوله تحفزوا أي استوفزوا وتهيأوا للقيام والمجثم محل الجثوم أي اللصوق بالارض عند الجلوس .

Marfat.com

دخلوا طريقاً للبداوة مجهلاً ... وساروا بنهج للحضارة معلم[١]
فدوت بمـــتن العلى نهضاتهـــم ... كزعزع ريح او كتيار عيلم[٢]
وعما قليل طبق الارض حكمهم ... بأسرع من رفع اليدين الى الفم[٣]
وقد حاكت الافكار عند اصطدامها ... تلألؤ برق العـــارض المتهزم
ولاحت تباشير الحقائق فانجلت ... بها عن بني الدنيا شكوك التوهم[٤]
وما ترك الاسلام للمرء مـــيزة ... على مثـــله ممن لآدم ينتمي
فليس لمثر نقصه حق معـــدم ... ولا عربي بخسه فضل اعجم[٥]
ولا فخر للانسان الا بسعيه ... ولا فضل الا بالتقى والتكرم
وليس التقى في الدين مقصورة على ... صلاة مصل او على صوم صيم[٦]
ولكنها ترك القبيح وفعل مـــا ... يؤدي من الحسنى الى نيل مغنم
فتقوى الفتى مسعاه في طلب العلى ... وما خصت التقوى بترك المحرم
فهل مثل هذا الأمر يا لأولي النهى ... يكون عثاراً في طريق التقدم[٧]
وان لم يكن هذا الى المجد سلماً ... فأي ارتقاء بعدُ أم أيُّ سلم ؟

«١» طريق مجهل بفتح الميم لا يهتدى فيه ونهج معلم فيه علامة يستدل بها .

«٢» دوت سمع لها دوي أي صوت ومتن العلى طريقها الواضح . وقوله كزعزع ريح أي كريح شديد الهبوب تزعزع الاشياء ، والتيار الموج ، والعيلم البحر. «٣» طبـــق الارض أي غشاها وعمها بتطبيق أسرع من رفع اليد الى الفم اي في مدة يسيرة . «٤» التباشير أوائل الصبح التي تبشر به ، وقد استعارها هنا للحقائق ففي الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الحقائق بالصبح ، بحذف المشبه به وذكر المشبه وأثبت له ما يلائم المشبه به على طريق الاستعارة التخيلية، «٥» لمثر خبر ليس مقدم ونقصها اسمها مؤخر وهو مصدر مضاف الى الضمير من اضافه المصدر الى فاعله وحق معدم مفعوله ، وكذا القول في قوله عربي بخسه فضل اعجم . «٦» التقى جمع تقاة بمعنى التقوى ، اراد بهذا البيت والبيتين اللذين بعده ان يبين ان التقوى لا تنحصر بمثل الصلاة والصوم من الافعال التعبدية كما انها لا تنحصر بترك المحرمات في الدين فيكون معناها سلبياً بل هي تعم فعل كل حسن وترك كل قبيح . «٧» اللام في قوله لاولي النهى مفتوحة وهي لام الاستغاثة داخلة على المستغاث به والمستغاث لاجله محذوف أي لهذا الامر .

Marfat.com

ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم رويداً فقد قارفتمُ كل مأثم
فلا تنكروا شمس الحقيقة انها لأظهر من هذا الحديث المرجم
علونا وكنتم سافلين فـــلم نكن لنبدي اليكم جفوة المتهكم
ولم نترك الحسنى او ان جدالكم وتلك لعمري شيمة المتحـــلم
فلما استدار الدهر بالأمر نحوكم كشفتم لنا عن منظر متجهم
فـلا تأمنوا الايام ان صروفهـا كما هي إذ أودت بعـــاد وجرهم

نسخة مجانية

Marfat.com

الجراثيم والانسان

تلعب الميكروبات دوراً كبيراً في حياتنا اليومية بحيث لا يستطيع الانسان أبداً ان يعيش بدونها مع ما يحيط به من عناصر فاذا أبعدنا الميكروبات تلاشى الانسان .

ويعيش كثير من الناس كل حياتهم دون أن يروا أي ميكروبات ولكني لا اعتقد انه فاتهم الكثير لعدم رؤيتهم له فاذا نظرت الى الميكروبات في المجهر فانك لا ترى الا خليطاً غريباً مما يبدو ككرات المطاط الصغيرة والمسجائر الدقيقة ومضارب التنس وشجيرات متفرعة صغيرة فحولنا في كل مكان اعداد لا حصر لهـــا من الانواع المختلفة من الميكروبات في التربة تحت أقدامنا وفي البحيرات والانهار والبحار وحتى في الهواء الذي نتنفسه .

وتستطيع ان تفحص بالمجهر أي شيء وسترى نوعاً ما من الميكروبات ولكنك طبعاً لن ترى نفس الميكروبات في كل مكان فهي تتفاوت كثيراً في مزاجها من حيث الطعام والمأوى وتختلف كثيراً في طرق تأثيرها فينا فمثلاً يلوث بعضها موارد مياهنا أو يتلف طعامنا او ملابسنا او مبانينا كما ان بعضها مسؤول عن الاوبئة التي اكتسحت البشرية طوال القرون .

ولكنك من الناحية الأخرى لا يمكن ان تأكل خبزاً لذيذاً مستساغاً دون ان يتخمر بفعل الميكروبات وأمثال هذا كثير مما نسلم به دون ان نعرف اسراره .

ويمكنك في الواقع ان تقسم الكائنات المجهرية الى مجموعتين المجموعة النافعة والمجموعة الضارة .

Marfat.com

ولقد تقدم العلم خطوات واسعة كما نعلم جميعاً نحو افناء الجراثيم المسببة الأمراض بالتطعيم والعلاج والمطهرات بينما استفادت الصناعة من الميكروبات النافعة وسخرتها في انتاج كثير من المواد المفيدة كما اننـــا نطبق معلوماتنا في (البكتريولوجيا) على الزراعة .

فنحن نعلم من البداية ان الجراثيم تعمل فعلاً في كل حقل وحديقة سواء اردنا ام لم نرد ولكن لو عرفنا كيف تعمل وانواع الاعمال المختلفة التي تؤديها وطريقة ادائها لكل منها لأمكننا ان نشجع نو الانواع التي تؤدي الاعمال المعينة التي نريدها فمثلاً لو خزنت كومة من جذاذات الحشيش ومخلفات المطبخ في حديقتك فانها تتحول في النهاية الى سماد عضوية نافعة فتقوم الميكروبات بالعمل لخدمتك فالميكروبات هي التي تكمل حلقة الحياة في الطبيعة فلو ساعدت الميكروبات المسؤولة عن هذا بتر طيب الكومة وتقليبها بين الحين والحين بتهويتها جيداً وباضافة بعض المواد الضرورية كلما لزم لاسرع حصولك على سماد عضوي جيد .

وهنالك مثال آخر انتاج العلف الدائم الخضرة يمكن للفلاح انتاج هذا العلف من الحشيش ولكن انتاجه من البرسيم او الحشيش الحجازي لا يتم بنفس الجودة والسهولة اما اذا اضيف اليها العسل الاسود اثناء عمل العلف كنصيحة الاخصائيين فان السكر الموجود في العسل ينشط نمو بكتريا حمض اللبن وحمض اللبن مادة حافظة جيدة تساعد على الابقاء على خضرة العلف وطعمه الطازج وقيمته الغذائية .

وقد اكتشف حديثاً مبدأ جديد في حرب الميكروبات ينطبق على علاج بعض أمراض الانسان والحيوان على السواء فقد وجد ان بعض ميكروبات التربة تنتج مواد معنية بعضها سام للأنسان وللحيوانات ولكن بعضها الآخر ليس ساماً على الاطلاق ويمكن استخدامه في علاج انواع من الامراض بنتائج مدهشة حقاً .

Marfat.com

وبدراسة الميكروبات المختلفة التي تعيش في التربة اكتشفت ان الميكروبات التي تسبب الكثير من الامراض الإنسان وللحيوان لا يمكنها ان تعيش هناك طويلاً ذلك لان الميكروبات النافعة تفنيها دائماً وبمعنى آخر ترفض التربة اخفاء المجرمين فلا تمنحهم حق الالتجاء .

وأوجد العلماء بيئات مناسبة لنمو الميكروبات النافعة وتمكينها من هذا الدور بالتغذية على الميكروبات المسببة للأمراض .

كما اكتشف العلماء مواد نافعة جـــداً في علاج بعض الامراض مثل التيروتربسين والبنسلين والاستربتوميسين وهذه المواد سميت تبعاً لاسماء الميكروبات التي تنتجها وهي بكتريا تيروتريكس وعفن أخضر يسمى بنيسيليوم ومكروب يشبه العفن يسمى ستربتومايس وتزرع هذه الميكروبات في مزارع مناسبة ثم تنفصل المواد القاتلة للجراثيم التي تنتجها بطرق كيميوية مناسبة .

فالميكروبات عوامل المرض والعدوى ومسببات الأوبئة بين الشعوب التي تكون تغذيتها سيئة ولكن هناك ميكروبات اخرى في صفنا وهي تعمل من اجلنا في السلم كما كانت تعمل ضدنا في الحرب وبعض الميكروبات من أعظم أصدقاء الانسان .

من كتاب « العلم يزحف »
بتصرف

Marfat.com

عاشقة السلام

نظرت الزهراء بيت اوس الى امها نظرة حائرة ثم سألتها في أسف الى متى تستمر هذه الحروب الطاحنة بين عبس وذبيان ؟ لقد قضيت من حياتي عشرين عاماً يا اماه وانا اسمع كل يوم عن فظائعها الرهيبة مما يعصر القلب ويشوي الضلوع .

فأطرقت الأم ساهمة ثم رفعت رأسها واتجهت الى ابنتها تقول :

ـ عشرون عاماً يا زهراء تسمعين عنها افجع الانباء ، لي الله من بائسة حزينة ، فقد مر علي اربعون من السنين وانا اسمع كل يوم خبراً كارثاً ، فقد اخ او ابن عم او قريب او حبيب ، ثم لا اجد غير الدموع أبثها شكواي . أنسيت يا زهراء اني امرأة من عبس احس ما يحسون من ارزاء ، ولكن الله لطف بي فتزوجت في طيء بعيدة عن مسرح الحوادث ومسبح الدماء .

ثم ترقرقت دمعتان ساخنتان على خد الام فاضطربت الزهراء قليلاً لما اثارته في نفس والدتها من شجون . واستمسكت بهدوئها الحازم ، فابتسمت في لطف مهذب ودنت من امها تقول في حنان : « هوني عليك يا اماه فلكل شيء نهاية وان طال » .

ولكن الام لم تنطق بشيء فاندفعت تسألها في رفق : ألا يوجد بين سادات العرب من له همة عالية من الرجال فيتقدم الى سراة عبس وذبيان فيحسم الخلاف بما له من سيطرة وجاه ، واذ ذاك تعود السيوف الى الاغماد وتلتئم الجراح .

فتأوهت ان يستمع هؤلاء واولئك الى عقل حصيف ؛ انهم اثاروا

Marfat.com

هذه الحرب الطاحنة في شيء تافه لا يقام له حساب ، ولو كان لديهم اثارة من تفكير متزن ما اشتعلت هذه النار الجاحمة اربعين عاماً بسبب فرسين يتسابقان .

فضربت الزهراء بيدها على صدرها وقالت في تعجب : واحر قلباه أتشتعل الحرب اربعين عاماً بين عبس وذبيان بسبب فرسين يتسابقان ؟ وضحي الامر قليلاً يا اماه .

فعضت الام على شفتيها كالمتألمة وقالت في اكتئاب :

— تسابق فرسان هما داحس والغبراء في مضمار ، فجاء احدهما سابقاً فادعى القوم انه سبق عن مكيدة مدبرة . وتعصب له ذووه فاشتد الخلاف البدلي حتى افضى الى معركة دموية ، فسقطت جسوم وهوت رقاب ، وانتصر كل موتور ثاره ، فامتد القتال هكذا سنوات وراء سنوات .

فقلبت الزهراء كفيها كالمتعجبة ثم قالت :

— ولماذا لا يذهب والدي اوس بن حارثة الى اصهاره في عبس ثم يلتقي بأصدقائه في ذبيان او يدعو رؤوس الفريقين الى دياره ، فيعيد الامن ويحسم الخلاف ، اما يعرف العرب جميعاً ان اوساً سيد العرب وصديق النعمان ؟

— لقد جال بخاطري كثيراً ان اشير على ابيك بالسفارة بين القبيلتين ولكني خشيت ان يظن بي الظنون ، فيعتقد اني جازعة حزينة لما اصاب قومي في عبس ، واني ادفع بطيء جميعها الى حرب تعود عليها بالنكبات

فصاحت الزهراء :

— ابعدي عنك هذا الوهم يا اماه ، وسأصارح ابي الليلة بالأمر ولن اعلمه شيئاً مما دار بيننا الآن ، وسأدفعه الى السفارة بين القوم دفعاً لا هوادة فيه ، فيعود الأمن ويرفرف السلام .

رجع اوس بن حارثة الطائي مع المساء الى منزله فتصدر الملأ من

Marfat.com

طيء وجلس بين معشره يفض الخصومات ويشير بالرأي ، ثم ذبح الذبائح وقدم الطعام لمن نزل بساحته من المتخاصمين والأضياف وجعل الحديث يتنقل بين القوم من شجن الى شجن حتى انتصف الليل وتفرق الجمع عن اوس شاكرين له كرمه الغامر ورأيه الحصيف ، فأوى الى خيمته حيث اعتاد ان يهجع ، ولكنه فوجىء بالزهراء تنتظره على فراشه في غير ميعاد ، فتقدم اليها في رفق وسألها في بشر وارتياح :

— ألكِ من حاجة يا زهراء ؟

فابتسمت الزهراء في حياء ثم قالت في هدوء :

— أنا انتظرك من أول الليل يا أبتاه فلمَ تأخرت هذ الأمد الطويل ؟

فنظر اليها اوس نظرة حانية وقال :

— انها تكاليف السيادة يا زهراء ، لا بد أن اطعم الناس وأفصل في الخصومات وأشير بالرأي ، فأجمع حولي الملأ من الأعمام والأخوان .

فرمقته الفتاة في حزم وصاحت في جرأة ثابتة :

— ليست هذه أبواب السيادة يا أبتاه ، هنـــاك باب فخم مرتفع لا يلجه غير الابطال ...

ودهش الأب بما سمع دهشة آخذة ... فلم يعهد فتاته الحبيبة تتقدم اليه باعتراض فسكت ملياً ثم نظر اليها نظرة عاتبة وهمس يقول :

— أي باب تعنين يا زهراء ؟

فبرقت عينها الساحرة بوميض نفاذ وقالت في حرارة صادقة :

— أبتاه انت تعلم ما بين عبس وذبيان من حرب أكلت الاخضر واليابس وحصدت الجسوم والارواح وما زالت من اربعين عاماً متقدة اللهيب مندلعة الاوار ولن يطفىء سعيرها المشتعل في العرب سواك .

فشخص اليها اوس متعجباً وسأل في حيرة :

— نحن من طيء فما لنا وغطفان ولماذا نتدخل في شؤون عبس

Marfat.com

وذبيان ؟

فصاحت الزهراء منفعلة :

— أنت يا أبتاه سيد العرب جميعاً كما وصفك النعمان ولك الصوت المسموع بين القبائل والصيت الممتد في البطون والافخاذ فلماذا لا تشير بالصلح بين القوم فترجع بمجد الدنيا وعزة الاجيال .

فتحير اوس وكأنه لم يدر بما يجيب ثم أسلم نفسه الى التفكير لحظات حتى اذا اهتدى الى بعض الرأي قال وفتاته شاخصة اليه ترمق وجهه الجاد.

— بنيتي العزيزة أنا كما تعلمين صهر بني عبس وقلبي يميل اليهم دون بني عمومتهم من ذبيان ولئن سعيت في هذا الامر الشائك ليقولن الناس ان اوساً لا يبغي خيراً للجميع ولكنه يميل مع عبس على ذبيان .

فقاطعته الزهراء تقول :

— وأنا أعرف ان لك مكانة في ذبيان وان أصدقاءك منهم ينهضون الى زيارتك بين الحين والحين ويمكثون لدينا أياماً بعد ايام فلماذا لا يجتمع لديك الاصهار والاصدقاء على كلمة سواء .

فحرك اوس رأسه كالمتردد وقال في همس وكأنه يحادث نفسه :

— ذلك مأرب عسير المنال .

فصاحت الزهراء كالمحتدة :

— اي عسير يقف في وجهك يا أبتاه سر الى المجد من طريقه الفسيح فقد اتسعت أمامك الابواب .

فأدرك الاب ان الحديث سيمتد دون روية وتفكير فربت على كتف الزهراء وابتسم في هدوء ودعة ثم قال في عطف حنون :

— سأنهض بما تريدين يا فتاتي ، فهلمي الى مخدعك الآمن وسترين مني عن قريب ما تودين من السعي في نشر الامن وبعث السلام.

فأكبت الفتاة على يديه مقبلة ثم نهضت الى خيمتها الملاصقة وتركت

Marfat.com

اباها وحده في خضم ثائر من الافكار ، فلم يذق النوم لحظة واحدة حتى اسلمه الميل الى الصباح ولا يزال في سبحاته التائهة دون ان يرسو سفينه على شاطىء امين .

اشرقت الشمس ونهض اوس فاجتمع بالملأ من طيء وقدم لهم صحاف التمر واكواب اللبن فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً ثم تفرق كل طائي الى سبيله ، وهمّ الرجل بالنهوض من حيث اعتاد :

— بالباب سيد ذبيان .

فسأل اوس متعجباً :

ـ اتعني الحارث بن عوف ؟

ومن يكون سواه ؟

فيخف أوس اليه مرحباً ... ويتصافح الرجلان في مودة ثم يجلسان في وقار واتزان .

واخذ اوس يفكر متئداً رزيناً فيما قدم من اجله الحارث فتمنى ان يكون مسعاه اليه ليتعاونا معاً على حسم الخلاف بين القبيلتين ، فيحقق بذلك امنية الزهراء ، وجعل يقول في نفسه : « هذا سيد ذبيان وصاحب امرها المطاع واني لذو كلمة مسموعة في عبس ، ولئن وفقني الله واياه الى امرنا في حسم الحرب لنكونن عزة الابد ومفخرة الحياة . وقد توقع اوس ان يبدأ الحارث بالقول في هذا المجال ولكنه فاجأه بقوله دون تمهيد:

ـ جئتك يا اوس خاطباً فتاتك الزهراء .

ففغر اوس فاه دهشاً ونظر اليه كمن انكر ما سمع من الانباء . ففطن الحارث الى شعور صاحبه واسرع يقول في احتشام :

ـ أغضبت من امري معك يا اوس فتبدل بك الحال ؟

فملك اوس هدوءه قليلاً ثم قال :

ـ لم اغضب من امرك يا حارث ولكنك فاجأتني بما ليس في الحسبان .

Marfat.com

فأطرق الحارث مليا ثم قال :

ـ وهل فاجأتك بامر شاذ يستنكره الملأ أو واجهتك برغبة محمودة تقوي الاواصر وتدني الوداد ..؟

فسكت اوس ثم قال انني أعرف مكانتك العالية في العرب وجاهك الاصيل في ذبيان ولكن الزهراء بعيدة المطامع واسعة الآمال .

فابتسم الحارث وقال .

ـ لدي جميع ما يرضي مطامعها البعيدة فلها ان تختار ما تشاء فهز اوس رأسه قليلاً ثم قال :

ـ أتدري يا حارث انهـــا اشترطت على من يأتي لخطبتها ان يقوم بالصلح الدائم بين عبس وذبيان ؟

فرفع الحارث رأسه وقال في حيرة :

ـ ما الزهراء والصلح بـــين عبس وذبيان ؟ متى كانت أمور الحرب من خواص الفتيات والسيدات ؟

فأشرق وجه اوس كالمتفائل وقال في حنان :

ان الزهراء يا حارث من معدن خاص وهي تريد ان تكون زوجة لسيد العرب وأمير الناس ولن تكون السيادة في رأيها بغير حسم الخلاف ورأب الصدع ونشر السلام .

فسأل الحارث في تخابث :

ـ بربك يا اوس أهذا رأيك الخاص أم رأي الزهراء ؟

فرد اوس في لهجة حازمة :

اقسم لك يا حارث بكل عزيز وغـال ان الزهراء كانت معي طيلة الليلة المـاضية تتحدث في الحرب بين عبس وذبيان وتسالني ان اجمع الشمل واضمد الجراح ثم لم تنصرف الى مخدعها حتى وعدتها وعد الصريح الصادق ان أقوم بنشر السلام وكان الله قد هون علي الامر فجاءني في

Marfat.com

الصباح سيد ذبيان .

فسطع البشر في وجه الحارث وصاح :

ـ ان الزهراء فيما يبدو من الرأي عاقلة حازمة ذات وهمة ثابة وطموح مشرئب واني لأرجو ان تنجب لي خـــير الابناء واشجع الولدان وهانذا اعاهدك ان أبذل ما لدي من مال وعتاد وجاه في السعي الحريص بين الفريقين لأكون سيد العرب كما تود الزهراء .

فصاح اوس في فرحة ظافرة :

ـ وقد قبلت خطبتك وساعلنها للناس .

فتراجع الحارث يقول :

ـ أفلا تنتظر يا أوس حتى اسير الى بني قومي في ذبيان فاحقق السلام المنشود كما ترغب الزهراء ؟

فتدارك اوس يقول :

ـ وعد الحر دين يا حارث ، وقد وثقت بقولك الصادق مطمئناً الى شرفك ومروءتك وانك صهري من الآن ، وستسير معك زوجتك من طيء الى نجد حيث تحل في ذوي دمك من ذبيـــان بعد ان تفرغ من ولائم العرس ودعوة الشيوخ في امد قريب لا يتجاوز الاسبوع ان تيسر الحال .

سار العروسان عن مضارب طيء الى منازل غطفان ، وقد سعد الحارث بمـــا لمسه في زوجته الأبية من سمة عالية ونخوة شماء يقل نظيرها في الرجال .. وكانت تبادله الرأي في أفانين الامور فتسفر عن بديهة صائبة وبصر نفاذ . وكان الحديث لا ينقطع عـــن الصلح المرتقب بين عبس وذبيان ، فجعلت تذلل العقبات وتسهل على الحارث ما يعترضه في طريق السلام نافثة فيه من روحها المتوثبة وحميتها المتقدة ما شغل خاطره وملأ

Marfat.com

اقطار تفكيره فكان يخلو الى نفسه فيقول في تساؤل : ومن لي بالمال الكثير الذي يكفي ديات القتلى من الفريقين وقد دامت الحرب اربعين عاماً وهي لاتذر من شيء اتت عليه، ثم يلتفت بتفكيره التفاتة اخرى فيخيل انه رزق المال الوافر فتحمل ديات القتلى بين الخصمين المتنازعين وسار له في القبائل ذكر رنان ، اذ هتفت العقائل في الخدور بمآثره ، وترنم الشعراء في الاندية بأياديه ، وتناقل الشباب في مطارح سمرهم آيات نبله وروائع أريحيته ؛ وإذ ذاك يصبح سيد العرب عن جدارة واستحقاق.

ومهما يكن من شيء فقد فكر الحارث وقدر حتى هداه عقله الى صديقه الماجد الثري هرم بن سنان ، فعرض عليه ان يشترك معه في تحمل الديات وبذل المال فيسير لهما الذكر المحمود في القبائل ، ويتناقل الناس خارقتهما النادرة كما يتناقلون اعذب الاساطير واجمل الاحلام . وكان في هرم همة وشهامة ولديه مال وجاه ، فاجاب دعوة صديقه عن رغبة صادقة وشوق طماح ، ثم اصغى الى هواتف نفسه وكوامن هواجسه فرأى المجد ينتظره عن قريب فهو يفتح ذراعيه ابد الدهر لكل اريحي مسماح .

وكان الفريقان من ذبيان وعبس قد سئموا اهوال النزال واكلتهم السنون بكوارثها المبيدة وقحطها الجديب وانتزاعها زهرات شبابهم الناضرة دون امهال ، فما ان سمعوا داعي الصلح حتى اجابوه في لهفة وحنين . وقدرت الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير تقدم على ثلاثة اقساط فتكفل بها السيدان الماجدان عن نفس راضية وقلب جذلان ... ودقت الطبول مؤذنة بانتهاء الحرب ، فعلت الزغاريد وهتفت البشائر وتوافدت العرب على مجلسي الحارث وهرم يهنئونهما تهنئة المعجب الشكور ، واطلت الزهراء من خدرها المنمق فرأت زوجها الحارث يجلس في معشره مرتفع الهامة بسام الثغر مشرق الجبين ، وطوائف البدو تمر بين يديه مصافحة وعن

Marfat.com

يمينه صديقه هرم يتلقى واياه تهنئات النصر في بهجة شاملة وفرح صخاب ثم وقف الشاعر زهير بن ابي سلمى فألقى معلقته الرنانة واتجه بالحديث الى السيدين الكريمين فقال :

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
فاصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها عن عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم

وما كاد يفرغ من انشاده حتى تناول شعره الرواة وهتفت به الشفاه فتردد كل مكان وسارت به الركبان .

وانتقل الحارث تياهاً فخوراً الى بيته ، فقابلته الزهراء بابتسامة خالبة وسمعها تهمس في رقة خلوب : « هنيئاً لك يا صاحب المجد العظيم » .

فرد الحارث في لطف رقيق : « بل هنيئاً لي بك يا ملهمة المجد وباعثة الامل وعاشقة السلام » .

محمد رجب البيومي

نسخة مجانية

Marfat.com

واجب الشباب

الشباب هم عتاد[1] المستقبل وعماده ، فعليهم أهم الواجبات وأجلها خطراً وأعظمها عناء ومشقة .

من أجل ذلك كان من الحق علينا ان تبين لهم كيف يعدون أنفسهم للنهوض بهذه الواجبات والاضطلاع بها كما توجبه مصلحة الوطن ويستدعيه البر به والوفاء له .

ان اول ما يفرض على النشء من هذه الواجبات هو العناية بأجسامهم فسلامة الجسم عادة شرط لازم لكمال الحياة الخلقية والعقلية . وكمال النفس هو الغاية من العناية بالجسم فالنفس غاية والجسم وسيلة . ومعنى هـذا ان مراعاة صحة الجسم من أوجب الواجبات اذ ان اختـــلال القوى الجسمية مؤد الى اختلال القوى الخلقية لانها مترابطة فيما بينها والانحلال الطبيعي يجر الى انحلال القوة المدركة والادارة ويحول دون القيام ببعض الواجبات للنفس والجماعة ولذلك كانت الرياضة البدنية واجباً ايضاً لتقوية القوة الجسمية ونموها .

يقول علمـــاء الاصول « ان ما لا يتم الواجب الا به كان واجباً » واذا كان الانسان لم يخلق في هذا العالم الا لقيامه بالحقوق التي القيت على كاهله[2] وكان قيامه بها لا يتم الا بالجسم الصحيح – كانت الصحة والقوة وتوفيرهما مما يجب على الانسان بالطبع ليتمكن من قيامه بما عليه من الحقوق المذكورة وهو مفعم[3] قوة ونشاطاً ، مستكمل الأهبة[4] لأدائها على خير وجوهها وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم « نفسك

---

(١) عدة . (٢) مقدم اعلى الظهر الى العنق . (٣) ممتلىء . (٤) العدة .

Marfat.com

مطيتك فارفق بها » ويقول « ان لبدنك عليك حقا » وجاء في الحديث الشريف ايضاً — رداً على من ينسب نجاحه واخفاقه في اموره للقدر « الدواء من القدر وقد ينفع باذن الله » .

فتأمل كيف نبه الى حفظ العقيدة مع بيان ان الدواء سبب وان الاسباب من جملة القدر الإلهي الخفي عنا وإنما يتجلى لنا أثر القدر في مظاهر سنن هذا الكون وقوانينه العامة وارتباط أسبابه بمسبباته فهي التي ان راعيناها — مع استنباط العقيدة وسلامتها — كانت تأثيراتها الظاهرة فينا هي أحكام القدر الذي كان خفياً عنا .

ومن ذلك يتبين قيمة التعلل بالقدر في ترك الأسباب وإهمالها والتعرض للأمراض وأهوالها .

ولولا خوف الإطالة في هذا المقام لأوردنا كثيراً مما جاء عن الشرع حثاً على صون الاجسام مما يفتك بها .

وحسبنا ان نذكر النشء بقوله صلى الله عليه وسلم « إجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ » وقوله عليه الصلاة والسلام « سَافِرُوا تَصِحُّوا » .

فمن هذين الحديثين الشريفين يتبين مبلغ حرص الشارع على حفظ الاجسام وصونها مما يرديها [1] ويجعلها فريسة للأمراض غير صالحة للقيام بما هيأ الله له من شتى الأعمال والتكاليف .

ومما يتصل بها مما يجب على النشء صون انفسهم وعدم اتلافها ولذلك كان الانتحار جناية عظيمة ومعصية من اكبر المعاصي قضاء على الحياة الخلقية اللاصقة بالانسان الذي تلقى عليه واجبات لا مناص [2] منها كالصبر والمجاهدة واحتمال الاذى والدأب في سبيل العلاء .

والانتحار فوق ذلك فرار من واجبات المجتمع وعدوان على حياته

«١» يهلكها . «٢» لا ملجأ ولا مفر .

Marfat.com

لان المنتحر انما يقتل في شخصه عاملاً من عوامل حياة المجتمع ويصدع بناءه وفي هذا يقول الله تعالى « مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً » .

ومن الواجبات على الشباب والنشء منع الشهوات الدنيئة ان تتولد فيهم ومحو كل أثر للحسد والاثرة [1] واحلال العواطف الشريفة محلها كمحبة الاهل والأقارب وحسن المعاشرة ومحبة الخير والعلم .

ومن أبرز الواجبات ان يعمل النشء على تقوية الارادة في أنفسهم فمعيار قيمة الرجل ارادته لانه اذا سلب عقله قيل عنه ابله واذا غيض معين الرحمة فيه قيل عنه لئيم واذا تجرد عن الارادة فهو ليس بانسان ، ذلك بان كثيراً من البائسين علتهم في أنفسهم وهي ضعف الارادة فلا يعرفون كيف يقفون في صفوف الجهاد الحيوي بل يجدون من رحمة الناس بهم ما يحسبونه عيشاً رغيداً لهم فلا يعملون ولا يسعون كما يسعى اولو الارادة وذلك سبيلهم الى البؤس والرذيلة .

ومن الضعف ان يرهب [2] الانسان الصعاب من بعيد ، فأنه اذا اقترب منها صغرت في عينيه وربما امحت واختفت .

ومن اجل ذلك وجب العمل بالقاعدة الآتية :

« اقدم على عمل ما تريد ، واشعر نفسك القدرة عليه » فأن الثقة بالنجاح عين النجاح ، لان المصاعب والحوائل تتساقط امام العقول المشحوذة الصابرة ، فهي تعمل لقهرها كما يفعل الماء في الصخر .

لا ريب ان تقوية الارادة يكسب الانسان استقلالاً . والرجل المستقل حقاً هو ذو العزم وذو المبادىء القوية التي يلازمها وتلازمه لا يضحى منها بشيء لاي سبب كان حتى النهاية ، وهو الذي يضم بين جوانحه نفساً

« ١ » الاستبداد بالشيء . « ٢ » يخاف .

Marfat.com

قوية يشعر بها انه اعلى مكانة من كل حادث واعز منالاً من المخاوف وارفع مقاماً من ان تنزله الوعود عن سدة كرامته الشخصية وهو الذي يعمل الواجب دون نظر الى ما يكون بعد .

وهو الذي لا يعتد بالشهوات الباطلة وهو الذي يعقل ما يمليه عليه عقله وضميره وهو الذي لا ينحدر مع تيار الحوادث بل يناضل ويقاوم ما دام الحق مهيناً والعدل مهيضا [١] ولا يثنيه نجاح الباطل وانتصاره

هذا الاستقلال في الرأي لا غنى عنه للقاضي لان عمله اصدار احكام لا اسداء منن ، اذ انه رجل عدل يجعله ميزانه ورائده لا رجل سلطة وبطش يذل بقهره وجبروته [٢] .

وهذا الاستقلال الذي ندعو اليه لا يتعارض مع الخضوع والطاعة للقانون لأن القانون مظهر الحقيقة والعـــدل والنظام ، فالخضوع له واجب ولا منافاة بين اداء الواجب وروح الاستقلال .

ومن الواجبات الهامة ان يجتهد النشء في تكميل انفسهم فيختاروا المهن المشروعة ليكسبوا عيشهم حتى لا يصيرو عيالا على المجتمع . ففي العمل المشروع فائدة ذات شأن لبدن الانسان وعقله ونفسه، وما البطالة والكسل الا رذائل لها خطرها على المجتمع . قال احد علماء الاخلاق : « ان البطالة شر من الرذيلة لا بل هي ام الرذائل . واذا كان من الواجب ان يبتعد الانسان عن ذوي الامراض المعدية فالأوجب ان يتجنب معاشرة ارباب المفاسد » .

ولو نظرنا مثلاً الى حكم الطب في شرب الخمر وتعاطي المخدرات والتهالك على الشهوات لألفينا انه هو حكم الاقتصاد الاجتماعي في المقامرات والمضاربات والاسراف والتبذير فكلا العملين ينذر بالويل [٣] والخراب .

ولذلك كان من الواجب على النشء — لشرف انفسهم وفائدة امتهم —

«١» غير محافظه عليه ولا مراعي . «٢» عسف وظلم . «٣» الهلاك .

نسخة مجانية

Marfat.com

ألا يجنحوا [١] الى السكر والاسراف في الشهوات حتى لا تنهدم اجسامهم وتفسد حياتهم ، فكم من تعساء اوقعتهم شهوات نفوسهم في هذه الخمر بتزيين بعض الحمقى من دعـــاتها او بغواية بعض رفقاء السوء فراحوا ضحية تلك المفسدة التي حرمتهـــا اكثر الشرائع وثارت عليها مواضعات المجتمعات الراقية .

ومن الواجب عليهم ان يخلصوا في معرفة انفسهم فلا يعتقدوا البراءة من العيوب حتى لا يغتروا بأنفسهم فتفتر هممهم ، بل يجعلوا مقصدهم طلب الكمال ما وجدوا الى ذلك سبيلاً ، وألا يجعلوا للمغالطات التي تخرجهم عـن حـد القانون الادبي مكان القيادة من نفوسهم وخواطرهم ، وبذلك تصبح ضمائرهم خيرة نقية صائبة الاحكام ، وتسمو نفوسهم عن الكبر والعناد والصلف [٢] لان ادعاء معرفة كل شيء وجهل كل شيء سيان في كونهما من علامات ضعف العقل وانحطاط الخلق .

وان انبل واجب على النشء ان يعملوا على عظمة وطنهم ، فهي غاية كل وطني ، وان اثماً دونـه كل اثم ان ينصرف ابناء الوطن عن القيام بحقوقه قائمين من الوطنية بالفخار بما سلف من اخباره ، والتباهي بما درس من آثاره . فما الوطنية الا تلك العاطفة التي تزجي [٣] في نفوسنا حب الوطن وتحبس ابلغ جهودنا وانبل مساعينا لخيره والعمل لمجده .

واذا كان للوطنية الصادقة مصادر كثيرة ، فأن احلاها واوضحهـــا الشعور بالواجب الوطني فهو مادة القومية الحق .

لذلك وجب على النشء — وهم ذخر المستقبل — ان يؤثروا وطنهم بكل ما اوتوا من جهد وقوة وان يخلصوا له الحب ، ففي رفعة الوطن رفعتهم وفي ذله وشقائه ذلهم وشقاؤهم .

ورفعة الوطن تجيء من طريق التعاون مع سائر الافراد على العمل

---

(١) يميلوا . (٢) التمدح بالباطل والعجب والكبرياء . (٣) تدفع دفعاً رقيقاً .

Marfat.com

لتنمية ثروته المادية والادبية ولا يتهيأ ذلك الا اذا قام كل امرىء بواجبه جهد الطاقة .

اما الابناء فبالتوافر على الجد في تحصيل العلوم وحذق الفنون واما الآباء فبالعمل على ترقية اسرهم وتهذيب ابنائهم وتدريبهم على الفضائـل وأخذهم بحمود الخلال .

وأمـــا الحكام فبالسهر على مصالح الشعب وأخذه بالعدالة وقضاء مصالحه — على انها واجب عليهم لا منة يسدونها اليهم واستئصال شأفة[١] الذين يتخذون جاههم ومناصبهم وسائل لابتزاز اموال الناس بالباطل حتى لا يستشرى[٢] الخطب ويستفحل[٣] الداء وفي ذلك الدمار والخراب .

واما جمهور الامة فباحترام القوانين والتزام حدودها والتماس الحقوق من أبوابها دون التجاء الى وساطة وشفاعة أو رشوة أو هدية .

ومن أول الواجبات العمل بأوامر الدين واجتناب نواهيه لان لكل دين من الاديان تكاليف وواجبات تكفل حفظ مظهره وتبسط سلطانه في الناس. وجلي ان أوامر الدين الاسلامي — من صلاة وصيام وحج وزكاة وما الى ذلك — اعلام خفاقة تهوي اليها النفوس وتنظم حولهـــا القلوب فتدنو من رعاية الله وتقرب من حماه وفي ذلك عصمة لها وتطهير لها من الرذائل والنقائص .

واذا كان كل من ينتسب الى عظيم يحمل شارته[٤] ويفاخر الناس بنبالته فما أجدر المسلم ان تكون سمات الاسلام اظهر شيء لديه ثم هي طهارة للنفوس وتهيئة للكمال .

فالصلاة تغسل ادران[٥] الشيطان من نفس الانسان وتعوده الخير والتواضع وتحول بينه وبـــين المحظورات[٦] قال تعالى « إنّ الصّلاةَ

(١) الاصل واستأصل شأفته : ازاله واذهبه . (٢) لا يستطير ويعظم . (٣) يكبر ويعظم . (٤) علامـــة . (٥) اوساخ واقذار . (٦) ما حرم الله قربانها .

Marfat.com

تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ » وكذلك بقية التكاليف تذكر الانسان بعظمة ربه وترسم أمام ناظريه الحلال والحرام فيعرف ما يأخذ وما يدع وليس هناك دين من غير عمل فالمسلمون القائمون باسم الاسلام دون العمـــل بأوامره حرموا انفسهم موارد السعادة ومكنوا الغريزة الجامحة ان تتغلب على عقولهم اذ لا تجد من جنود الدين الروحية حاجزاً وقائداً حكيماً يهديها سويا السبيل .

ومما يجب علي النشء ان يحترموا شعور غيرهم فليس لاحد ان يجرح شعور غيره بشتم او سخرية او استهزاء بكلام غليظ لمنافاة ذلك للعدل والانصاف اللائقين بأمثاله في مرتبة البشرية ومثل ذلك احترام شرف الاشخاص وسمعتهم فانها اغلى ما يملك وأثمن فقد جاء في الامثال « طيب السمعة خير من نطاق من ذهب » .

ويقـــع الاعتداء على سمعة المرء بالغيبة والوشاية والقذف والشتم والتشنيع والتبليغ والنميمة ونقل الكلام .

اما الغيبة والوشاية فذكر عيوب الانسان في غيبته فاذا كانت العيوب حقيقة فهي غيبة في رأي علماء الاخلاق وان كانت مكذوبة او ملفقة فهي افتراء والغيبة والافتراء من الرذائل الخسيسة وكل منهما يزرى بسمعة المذموم ، وسمعته بلا ريب اثمن من حياته .

وأما القذف - وهو ذكر السيئات والعمل على نشرها بالصحف وغيرها فمحرم ولو كان حقاً لان كل انسان له الحق في المحافظة على سمعته وإن كان جانياً وفي استطاعته اصلاح هفوته ما دامت مستورة ولا ريب في ان الذي ارتكب هفوة مستورة ثم ندم وأصلح من نفسه خير لنفسه وللمجتمع من ضياع سمعتة لهفوة قد لا تستحق هذا العقاب الخطير .

ومن المؤكد ان اداء الشهادة امام القضاء وتبليغ الجرائم التي شاهدها الانسان او علم بها لرجال السلطة سواء اوقعت على الانسان ام غيره

Marfat.com

واجب من اكبر الواجبات ولا يختلط امرهما بالقذف بحال من الاحوال ولا محيص[١] عن واجب التبليغ كلما تعرض العدل او الحق للخطر او الضرر او كان كتمان الحقيقة يقضي الى الاضرار بالحكومة او طائفة او فرد .

ومن خير واجبات النشء ان يحولوا بين الناس وبين ارتكاب الجرائم لان الناس جميعاً متواثقون في الحياة فمن الواجب المحتوم عـــلى الشبان اعتبار كل اعتداء على الحق والعدل في شخص احدهم اعتداء على انفسهم لان الحق ملك للجميع على السواء ومن واجب كل انسان ان يدافع عنه في سبيل المجتمع ومن واجب المجتمع ان يدافع عنه في سبيل كل فرد .

فمن أي اعتداء على انسان ضعيف وكان ذلك الاعتداء على روحه او جسمه بقوة او اكراه او تجاوز حدود السلطة، حق عليه الدفاع عن ذلك الضعيف المقهور ، وان سكت عد جانياً شريكاً للمتعدي ومن علم ان مجرماً او سيء السمعة يسعى لتولي عمل ما في مصالح الحكومة وجب عليه اظهار امره لحماية الحكومة والشعب من شره وان احجم كان جانياً. ولا تعد النميمة من باب التبليغ وهي نقل الكلام الى من قيل في حقه بقصد الاضرار بالمتكلم او بذر الشقاق بين الاصدقاء ، او تكدير صفو الأسر او وقوع الاضطراب والانقسام والتقاطع بين الناس .

ومن أجـــل ذلك يقول الله تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » .

ذلك قلّ من كثر مما يجب ان نلقيه على مسامع النشء ليكونوا على بينة مـــن امرهم في الواجبات التي تستلزمها حياتهم قـــال تعالى . « وذكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » .

«١» لا معدل يلجأ اليه .

Marfat.com

الحرية

استيقظت فجر يوم من الايام على صوت هرة تموء[1] بجانب فراشي وتتمسح بي وتلح في ذلك الحاحاً غريباً فرابني امرها وأهمني همها وقلت لعلها جائعة ، فنهضت واحضرت لها طعاماً فعافته وانصرفت عنه فقلت لعلها ظمآنة فأرشدتها الى الماء فلم تحفل به ، وانشأت تنظر الي نظرات تنطق بما تشتمل عليها نفسي من الآلام والاحزان ، فأثر في نفسي منظرها تأثيراً شديداً حتى تمنيت ان لو كنت سليمان افهم لغة الحيوان لأعرف حاجتها وافرج كربتها . وكان باب الغرفة مرتجاً فرأيت انها تطيل النظر اليه وتلتصق بي كلما رأتني اتجه نحوه ، فأدركت غرضها وعرفت انها تريد ان افتح لها الباب ، فاسرعت بفتحه ، فما وقع نظرها على الفضاء ورأت وجه السماء حتى استحالت حالتها من حزن وهم الى غبطة وسرور وانطلقت تعدو في سبيلها ، فعدت الى فراشي واسلمت رأسي الى يدي وانشأت افكر في امر هذه الهرة واعجب لشأنها واقول ليت شعري هل تفهم الهرة معنى الحرية فهي تحزن لفقدانها وتفرح بلقياها ، اجل انها تفهم معنى الحرية حق الفهم ، وما كان حزنها وبكاؤها وامساكها عن الطعام والشراب الا من اجلها ، وما كان تضرعها ورجاؤها وتمسحها والحاحها الا سعياً وراء بلوغها .

وهنا ذكرت ان كثيراً من اسرى الاستبداد من بني الانسان لا يشعرون بما تشعر به الهرة المحبوسة في الغرفة والوحش المعتقل في القفص والطير المقصوص الجناح من ألم الاسر وشقائه ، بل ربما كان بينهم وبين

---

(١) المواء : صوت الهرة .

Marfat.com

من يفكر في وجه الخلاص او يتلمس السبيل الى النجاة مما هو فيه بل ربما كان بينهم من يتمنى البقاء في هذا السجن ويأنس به ويتلذذ بآلامه واسقامه .

من اصعب المسائل التي يحار العقل البشري في حلها ان يكون الحيوان الاعجم اوسع ميداناً في الحرية من الحيوان الناطق ، فهل كان نطقه شؤماً عليه وعلى سعادته ؟ وهل يجعل به ان يتمنى الخرس والبله ليكون سعيداً بحريته كما كان سعيداً بها قبل ان يصبح ناطقا مدركاً !

يحلق الطير في الجو ويسبح السمك في البحر ويهيم الوحش فى الاودية والجبال ويعيش الانسان رهين المحبسين ، محبس نفسه ومحبس حكومته من المهد الى اللحد .

صنع الانسان القوي للانسان الضعيف سلاسل واغلالاً وسماها تارة ناموساً واخرى قانوناً ليظلمه باسم العدل ويسلب منه جوهرة حريته باسم الناموس والنظام .

صنع له هذه الآلة المخيفة وتركه قلقاً حذراً مروع القلب مرتعد الفرائص يقيم من نفسه على نفسه حراساً تراقب حركات يديه وخطوات رجليه وحركات لسانه وخطرات وهمه وخياله لينجو من عقاب المستبد ويتخلص من تعذيبه فويل له ما اكثر جهله وويح له ما اشد حمقه ؟ وهل يوجد في الدنيا عذاب اكبر من العذاب الذي يعالجه ؟ او سجن اضيق من السجن الذي هو فيه ؟

ليست جناية المستبد على اسيره انه سلبه حريته بل جنايته الكبرى عليه انه افسد عليه وجدانه فأصبح لا يحزن لفقد تلك الحرية ولا يذرف دمعة واحدة عليها .

او عرف الانسان قيمة حريته المسلوبة منه وأدرك حقيقة ما يحيط بجسمه وعقله من القيود لمات كما يموت البلبل اذا حبسه الصياد في القفص

Marfat.com

وكان ذلك خيراً له من حياة لا يرى فيهـا شعاعاً من أشعة الحرية ولا تخلص اليه نسمة من نسماتها .

كان في مبدأ خلقه يمشي عرياناً او يلبس لباساً واسعاً يشبه ان يكون مظلة تقيه لفحة الرمضاء او هبّة النكباء فوضعوه في القماط كما يضعون الطفل وكفنوه كما يكفنون الموتى وقالوا له هكذا نظام الازياء .

كان يأكل ويشرب كل ما تشتهيه نفسه وما يلتئم مع طبيعته فحالوا بينه وبين ذلك وملأوا قلبه خوفاً من المرض او الموت وابوا ان ان يأكل او يشرب الا كما يريد الطبيب وأن يتكلم او يكتب الا كما يريد الرئيس الديني او الحاكم السياسي وان يقوم او يقعـــد او يمشي او يقف او يتحرك او يسكن الا كما تقضي به قوانين العادات والمصطلحات .

لا سبيل الى السعادة في الحياة الا اذا عاش الانسان فيها حراً مطلقاً لا يسيطر على جسمه وعقله ونفسه ووجدانه وفكره مسيطر إلا ادب النفس .

الحرية شمس ويجب ان تشرق في كل نفس فمن عاش محروماً منها عاش في ظلمة حالكة يتصل اولها بظلمة الوهم وآخرها بظلمة القبر .

الحرية هي الحياة ولولاها لكانت حياة الانسان اشبه شيء بحياة اللعب المتحركة في ايدي الاطفال بحركة صناعية .

ليست الحرية في تاريخ الانسان حادثاً جديداً او طارئاً غريباً وانما هي فطرته التي فطر عليها مـــذ كان وحشاً يتسلق الصخور ويتعلق بأغصان الاشجار .

ان الانسان الذي يمد يديه لطلب الحرية ليس بمتسول ولا مستجد انما هو يطلب حقاً من حقوقه التي سلبته اياها المطامع البشرية فان ظفر بها فلا منة لمخلوق عليه ولا يد لأحد عنده .

المنفلوطي

Marfat.com

عمر وجبلة

روي ان جَبَلة [1] بن الأيهم بن ابي شمر الغساني لما اراد ان يسلم كتب الى عمر بن الخطاب مـــن الشام يعلمه بذلك ويستأذنه في القدوم عليه فسر بذلك عمر والمسلمون فكتب اليه : ان اقـــدم ولك ما لنا وعليك ما علينا .

فخرج جبلة في خمسمائة فارس من عكّ وجفنة فلمـا دنا من المدينة البسهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة ولبس يومئذ جبلة تاجه وفيه قرط ماريه — وهي جدته — ودخل المدينة فلم يبق بها احد الا خرج ينظر اليه حتى النساء والصبيان ، فلما انتهى الى عمر رحب بـه وادنى مجلسه ! ثم اراد الحج فخرج معه جبلة .

فبينا هو يطوف بالبيت اذ وطىء على إزاره رجل من بني فزارة فحله ! فالتفت اليه جبلة مغضباً فلطمه فهشم انفه فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب فبعث اليه فقال : انه وطىء ازاري فحله ولولا حرمة البيت لضربت الذي فيه عيناه [2] فقال له عمر : اما انت فقد اقررت فأما ان ترضيه والا اقدته منك . قال : أتقيده مني وانا ملك وهو سوقة ! !

قال عمر : يا جبلة انه قد جمعك واياه الاسلام فما تفضله بشيء الا بالتقوى والعافية ! قال جبلة : والله لقد رجوت ان اكون في الاسلام اعز مني في الجاهلية ! قال عمر : دع عنك هـــذا فأنك ان لم ترض

---

(١) جبلة بن الايهم آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام عاش زمناً في العصر الجاهلي ، ولمـا ظهر الاسلام اسلم في أيام عمر ، ثم ارتد وعاد الى الشام ومنهـا الى القسطنطينية حيث اقام عند هرقل الى ان توفى سنة ٦٤١ . (٢) رأسه .

نسخة مجانية

Marfat.com

الرجل اقدته منك ! قال جبلة : اذن اتنصر ! قال : ان تنصرت ضربت عنقك ! واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فكادت تكون فتنة . فقال جبلة : أخرني الى غد يا امير المؤمنين . قال : ذلك لك .

ولما كان جنح الليل خرج جبلة واصحابه من مكة وسار حتى دخل القسطنطينية على هرقل فتنصر واقام عنده واعظم هرقل قدوم جبلة وسر بذلك واقطعه الاموال والارضين والرباع [١] وجعله من محدثيه وسماره .

فلما بعث عمر بن الخطاب رسولاً [٢] الى هرقل يدعوه الى الاسلام واجابه الى المصالحة على غير الاسلام اراد ان يكتب جواب عمر وقال الرسول : القيت ابن عمك هذا الذي ببلدنا — يعني جبلة — الذي اتانا راغبا في ديننا ؟ قال : ما لقيته ، قال : القه ثم ائتني اعطك جواب كتابك .

وذهب الرسول الى باب جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل . قال الرسول : فلم أزل اتلطف في الاذن حتى اذن لي فدخلت عليه فرأيت رجلاً اصهب [٣] اللحية ذا سبال [٤] وكان عهدي بـــه اسمر اسود اللحية والرأس ، فنظرت اليه فأنكرته فاذا هو قد اتى بسحالة [٥] الذهب ، فذرها في لحيته حتى عاد اصهب وهو قاعد على سرير من قوارير [٦] قوائمة أربعة أسود من ذهب .

فلما عرفني رفعني معه الى السرير ورحب بي ولامني عـــلى تركي النزول عنـــده ثم جعل يسألني عن المسلمين فذكرت خيراً وقلت : اضعفوا [٧] اضعافاً على ما تعرف قال : كيف تركت عمر بن الخطاب ؟

---

(١) الرباع : جمع ربع ، الدار .

(٢) هو جثامة بن مساحق الكناني . (٣) الصهبة : حمرة يعلوها سواد . (٤) السبال جمع سبلة وهي ما على الشارب من الشعر . (٥) السحالة : ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما اذا بردا (٦) القوارير : شجر تعمل منه الرحال والموائد . والقوارير : من الزجاج ايضاً .

(٧) اضعف الشيء : زيد على اصله فيجعل مثلين او اكثر .

Marfat.com

قلت : بخير . فرأيت الغم قد تبين فيه لما ذكرت له من سلامة عمر . ثم انحدرت من السرير فقال : لمَ تأبى الكرامة التي أكرمناك بها ؟ قلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . قال : نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نقّ قلبك من الدنس ولا تبال علام قعدت. فلما سمعته يقول : صلى الله عليـــه وسلم طمعت فيه فقلت : ويحك ! يا جبلة الا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله ! قـــال : ابعد ما كان مني ؟ قلت : نعم . قد فعل رجل من فزارة اكثر ممـــا فعلت : ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل ذلك منـــه وخلفته بالمدينة مسلماً . قال : ذرني مـــن هذا ان كنت تضمن لي ان يزوجني عمر ابنته ويوليني الإمرة بعده رجعت الى الاسلام . قـــال : ضمنت لك التزويج ولم اضمن لك الامرة قال : لا .

فأومأ الى خادم بين يديه فذهب مسرعاً فاذا خدم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائـــد الذهب وصحاف الفضة وقال لي : كل . فقبضت يدي وقلت : ان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم نهى عن الاكل في آنية الذهب والفضة فقال . نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نقّ قلبك وكل فيما احببت . واكل في الذهب والفضة واكلت في الخليج [1] .

فلما رفع الطعام جيء بطساس [2] الفضة وأباريق الذهب ، واومأ الى خادم بين يديه فمر مسرعاً فسمعت حساً فالتفت فاذا خدم معهن الكراسي مرصعة بالجوهر ، فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره ثم سمعت حساً فاذا عشر جوار قد اقبلن مطمومات [3] الشعر متكسرات في الحلي

«١» الخليج : الجفنة . «٢» الطساس : وهو الطس وهو الطست . «٣» صمت شعرها : عقصته وهو مطموم والعقص : ان تأخذ المرأة كل خصلة من شعرهـــا فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها .

Marfat.com

عليهن ثياب الديباج فلم أر وجوهاً قط أحسن منهن ، فأقعدهن على الكراسي ، عن يمينه ، ثم سمعت حساً فاذا عشر جوار اخرى فأجلسهن على الكراسي عن يساره ، ثم سمعت حساً فاذا جارية كأنها الشمس حسناً وعلى رأسها تاج وعلى ذلك التاج طائر لم أر احسن منه وفي يدها اليمنى [١] جامة فيها مسك وعنبر وفي يدها اليسرى جامة فيها ماء ورد فأومأت الى الطائر فوقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيه ثم أومأت اليه فطار حتى نزل على صليب في تاج جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما في ريشه عليه ، وضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجواري التي عن يمينه فقال : بالله أطربنني . فاندفعن يتغنين وهن يخفقن بعيدانهن ويقلن [٢] :

لله در عصابـــة نادمتهم يوماً بجلق [٣] في الزمان الاول
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل [٤]
اولاد جفنة حول قـــبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم [٥] لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانواف من الطراز الاول

فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : اتدري من قائل هذا ؟ قلت لا ، قال : قائله حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الجواري اللاتي عن يساره فقال : بالله ابكينا . فاندفعن يتغنين وهن يخفقن بعيدانهن .

فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على خديه ثم قال : أتدري من قائل هذا الذي تغنين به ؟ قلت : لا أدري قال : حسان بن ثابت ثم

« ١ » اناء من فضة. « ٢ » الشعر لحسان بن ثابت . « ٣ » جلق: دمشق. « ٤ » البريص: نهر بدمشق وبردى نهر بدمشق ايضاً ، وتصفيق الشراب : مزجه . الرحيق : الخمر . سلسل : لين . « ٥ » تهر كلابهم : هرير الكلب : صوته دون النباح .

Marfat.com

انشأ يقول :

تنصرت الاشراف من عـــار لطمة وما كان فيها - لو صبرت لها - ضرر
تكنفني منهـــا لجـــاج ونخوة وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فيـــا ليت امي لم تلدني وليتني رجعت الى الامر الذي قال لي عمر
ويا ليتني ارعى المخاض[1] بقفرة وكنت اسيراً في ربيعة او مضر
ويا ليت لي بالشام ادنى معيشة اجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ثم سألني عن حسان : أحي هو ! قلت : نعم تركته حياً . فأمر لي بكسوة ومال ونوق موقرة براً ثم قال لي : ان وجدته حياً فادفع اليه الهدية واقرئه سلامي، وان وجدته ميتاً فادفعها الى أهله وانحر الجمال على قبره .

فلما قدمت على عمر وأخبرته خبر جبلة وما دعوته اليه من الاسلام والشرط الذي شرطه واني ضمنت له التزويج ولم اضمن له الإمرة قال : هلا ضمنت له الإمرة ! فاذا افاء الله به الى الاسلام قضى عليه بحكمه عز وجل ! ثم ذكرت له الهدية التي اهداها الى حسان بن ثابت . فبعث اليه وقد كف بصره فأتى به وقائد يقوده . فلما دخل قال : يا امير المؤمنين اني لأجد ريح آل جفنة عندك ـ قال : نعم هذا رجل اقبل من عند جبلة قال : هات يا ابن أخي انه كريم من كرام مدحتهم في الجاهلية فحلف ان لا يلقى احداً يعرفني اهدى الي معه شيئاً . فدفعت اليه الهدية : المال والثياب واخبرته بما كان أمر به في الابل ان وجد ميتاً . فقال : وددت اني كنت ميتاً فنحرت على قبري وانصرف يقول:

ان ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آباؤهم باللـــوم
لم ينسني بالشام اذ هو ربهـا ملكا ولا متنصراً بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده الا كبعض عطية المذموم

(١) المخاض ، نوق مخاض : حوامل .

Marfat.com

فقال له رجل كان في مجلس عمر : اتذكر ملوكاً كفرة ابادهم الله وأفناهم ؟ قال : ممن الرجـــل ؟ قال مزني . قال والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوقتك طوق الحمامة .

قال : ثم جهزني عمر الى قيصر وأمرني ان اضمن لجبلة ما اشترط به فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء غلب عليه في ام الكتاب .

Marfat.com

وصايا الآباء للابناء

وصية عمرو بن كلثوم لبنيه .

لما حضرت عمرو بن كلثوم[1] الوفاة بعد سن عالية جمع بنيه فقال :

يا بني قد بلغت من العمر ما لم يبلغه احد من آبائي ولا بد ان ينزل بي ما نزل بهم من الموت . واني والله ما عيرت احداً بشيء الا عيرت بمثله ان كان حقاً فحقاً وان كان باطلاً فباطلاً ومن سَبَ سُبَ فكفوا عن الشتم فانه اسلم لكم ، وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم واستعينوا من غيم[2] الغريب ، فرب رجل خير من الف ورد خير من خلف[3] واذا حدثتم فعوا واذا حدثتم فأوجزوا فانه مع الاكثار يكون الاهذار[4] واشجع القوم العطوف بعد الكر[5] كما ان اكرم المنايا القتل[6] ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب ولا من اذا عوتب لم يعتب[7] ومن الناس من لا يرجى خيره ولا يُخاف شره فبكؤه[8] خير من دره وعقوقه[9] خير من بره ولا تتزوجوا في حيكم فإنه يؤدي الى قبيح البغض .

---

(١) هو من سادات بني تغلب في الجاهلية الاولى واحد خطبائهم وشعرائهم وفرسانهم ومعمريهم واحد اصحاب المعلقات السبع . (٢) غلظ . (٣) اي لأن ترد عنكم طالب الغرم ردا جميلا خيراً من ان تعدوه بقضاء حاجته ثم تخلفوه . (٤) مصدر اهذر اذا هذى في كلامه (٥) مصدر كر الفارس يكر من باب نصر اذا فر للجولان ثم عاد للقتال اي تشجيع الفرسان الذين يفرون عن قرنه خديعة ثم اذا تبعه عطف عليه وطعنه ، يوصيهم باستعمال الخدعة في الحرب . (٦) اي في سبيل الدفاع عما تجب حمايته . (٧) اي لم يعط العتبى وهي الرضا من نفسه والاحسان الى غيره (٨) مصدر بكأت الناقة اذا قل لبنها بعد درته . (٩) العقوق العصيان وقلة الاحسان الى عكس البر .

Marfat.com

وصية ذي الاصبع العدواني :

لما احتضر [١] ذو الاصبع العدواني دعا ابنه أسيداً فقال له يا بني : ان اباك فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش واني موصيك بما ان حفظته بلغت في قومك ما بلغته فاحفظ عني :

ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك واحم حريمك واعزز جارك واعن من استعان بك واكرم ضيفك واسرع النهضة في الصريخ [٢] فان لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة احد شيئاً فبذلك يتم سؤددك ثم انشأ يقول :

أأسيد ان مـــالاً ملكت فسر بـــه سيراً جميـــلا
آخ الكرام ان استطعت الى اخـــائهم سبيلا
ان الكرام اذا تؤا خيهم وجدت لهم قبولا [٤]
ودع الذي يعـــد العشيرة ان ينيل ولن ينيلا
أبني ان المـــال لا يبكي اذا فقد البخيلا [٣]
أأسيد ان ازمعت مـــن بـــلد الى بلد رحيلا
فاحفظ وان شحـــط المزا ر اخا اخيك أو الزميلا [٥]
واركب بنفسك ان همت بها الحزونة والسهولا [٦]

«١» اي حضره الموت. «٢» صوت المستغيث أي اسرع الاجابة عندما يستصرخك مستغيث في شدة أو غارة . «٣» أي قبولا للمؤاخاة والمحاسنة . «٤» اعزاز المرء للصدق وصونه له عن التبذل يدفعانه الى البكاء والحزن عليه اذا هلك بخلاف المال فان البخل اذا صانه واعزه لا يقابله عند هلاكه بالحزن والبكاء لانه جماد . «٥» شحط المزار من باب فتح بعد والزميل عديل الراكب على الجمل، يراد به الرفيق. يقول اذا قضت الايام بابعادك عن رفاقك واصدقائك واصدقاء اصدقائك فلا تجعل البعاد سبباً في نسيانهم واغفال مودتهم . «٦» الحزونة مصدر حزنت الارض كسهلت اذا خشنت يقول اركب بنفسك الحزن والسهل اذا كلفتها طلب أمر عظيم ولا تعول بها على غيرك.

Marfat.com

وصل الكرام وكن لمن ترجـــو مودته وصولا
ودع التواني في الامـــو ر وكن لها سلساً ذلولا
وابسط يمينك بالندى وامدد لها باعاً طويلا
واعـــزم اذا حاولت امراً يفرح الهـــم الدخيلا
وابذل لضيفك ذات رحلك مكرماً حتى يزولا [١]
واحلل على الايفـــاع للعافـــين واجتنب المسيلا [٢]
واذا القروم تخاطرت يوماً وارعدت الخصيلا [٣]
فاهصر كهصر الليث خضب من فريسته التليلا [٤]
وانزل الى الهيجا اذا ابطالها كرهوا النزولا
واذا دعيت الى المهم فكن لفادحه حمولا [٥]

وصية معاوية لقومه :

روى (العتبي) عن ابيه عن جده [٦] قال : لما اشتكى معاوية شكايته التي مات فيها ارسل الى ناس من جملة بني امية فقال: يا معشر بني امية اني لما خفت ان يسبقكم الموت الي سبقته بالموعظة اليكم لا لأني قدراً ولكن لابلغ عذراً ، ان الذي اخلف لكم من دنياي امر ستشاركون فيه وتغلبون عليه والذي اخلف لكم من ورئي [٧] امر مقصور لكم نفعه ان فعلتموه ، نخوف عليكم ضرره ان ضيعتموه ان قريشاً شاركتكم في

«١» الرحل هنا المسكن وذات الرحل ما يحتويه من اثاث وفرش وماكل ومشرب

«٢» جمع يفع بفتح الياء والفاء : التل . والعافون جمع عاف : وهو الضيف والوارد وعاف الفضل اي لا تخف نفسك عن طلاب معروفك بنزولك المسايل وبطون الاودية بل على على الفضاء حتى يراك طالبوك . «٣» خطرت القروم ضربت بأذنابها يميناً وشمالا نشاطاً وخفة . والخصيل الذنب او كل عصبة فيها لحم غليظ والمراد بالقروم هنا الشجعان «٤» اهصر الجذب والامالة والكسر والدفع وعطف الشيء وثنيه . والتليل العنق . يقول اذا هبت فحمل الفرسان للقتال ففعل فعل الاسد اذا خضب عنق فريسته بالدماء . «٥» الفادح من كل شيء الصعب الثقيل والحادث من حوادث الدهر . «٦» هو عمرو بن عتبة بن ابي سفيان . «٧» اي الخلافة والملك .

Marfat.com

انسابكم وانفردتم دونها بأفعالكم فقدمكم [١] ما تقدمتم له اذ آخر غيركم ما تأخروا عنه ولقد جهل بي [٢] فحملت ونقر لي [٣] ففهمت حتى كأني انظر الى ابنائكم بعدكم كنظري الى أبائهم قبلهم ، ان دولتكم ستطول وكل طويل مملول وكل مملول مخذول ، فاذا كان ذلك كذلك كان سببه اختلافكم فيما بينكم واجتماع المختلفين عليكم فيدبر الأمر بضد ما اقبل به ولست اذكر حسناً يركب منكم ولا قبيحاً ينتهك فيكم الا والذي امسك عن ذكره اكثر واعظم [٤] . ولا معول عليه عند ذلك افضل من الصبر واحتساب الاجر فيادكم القوم دولتكم امتداد العنانين [٥] في عنق الجواد حتى اذا بلغ الله بالأمر مداه ، وجاء الوقت المبلول بريق النبي [٦] (صلى الله عليه وسلم) مع الخلقة المطبوعة على ملالة الشيء المحبوب كانت الدولة كالاناء المكفأ [٧] ، فعندها اوصيكم بتقوى الله الذي لم يتقه غيركم فيكم فتجعل والعاقبة لكم العاقبة للمتقين .

(وقال عمرو بن عتبة) فدخلت عليه يوماً آخر فقال : يا عمرو أوعيت كلامي ؟ قلت : وعيت قال : أعد علي كلامي فلقد كلمتكم وما أراني امسي من يومكم ذلك .

---

(١) اي المطالبة بالخلافة والقتال من أجلها . (٢) اي اعتدى على الناس بالجهل فحملت اي تحملت جهلهم . (٣) التنقير شبه الصفير . (٤) اي ان صارحت بذكر شيء مما سيصيبكم من المعاملة الخشنة التي ستعاملون بها فها اخفيه عنكم ادهى فلا داعي لذكر شيء مما اتوقعه فيكم ، (٥) العنان طرفا اللجام . (٦) الموعود به من رسول الله . (٧) اي انقلبت الدولة وانكبت .

Marfat.com

طير الصيد

عرف عـن العرب — منذ القدم — ولعهم بالصيد والقنص وركوب الخيل والسباحة والرماية وما اليها من هذه الرياضات التي تحثهم عليها طبيعتهم ويحضهم عليها طبيعة أرضهم وبيئتهم .

فكانوا يطلبون المنتجع ايام الربيع حيث الارض جائشة بالاعشاب مكتظة بالنبات والازهار وحيث الصيد منتشر في ربوع هذا الفضاء العريض الجميل، يقضون فيه أكثر ايام الربيع او الربيع كله في صيد وسباق على الخيل او الاقدام او على النجائب رماية بالسهام ومصارعة بالايدي والاجسام وغير ذلك من الرياضات المفضلة لديهم .

ففي هـــذا الفصل — فصل الربيع — تحتل رياضة الصيد لديهم مكان الصدارة ان لم يشغلهم عنها شاغل قاهر كالغزو وطلب الثأر او دفع الضر .

وولعهم هذا دفعهم الى تربية انواع الصقور وتدجينها وتدليبها حتى تكون آلة مطواعـــة في أغراض الصيد نجيب اذا دعيت وتلبي الأمر إذ أمرت .

والمشهور من هذه الطيور البازي والشاهين والصقر . اما انواعها فكثيرة .

وقيل ان اوّل من لعب بالصقور الحارث بن معاوية بن ثور الكندي — وهو ابو كندة — وانه وقف يوماً لقانص وقد نصب حباله للعصافير فانقض اكدر على عصفور منها قد علق فعلقه الاكدر — وهو الصقر — ومن اسمائه ايضاً الاجدل فجعل يأكل العصفور وقد علق ، فتعجب الملك فأتى به وهو يأكل العصفور فرمى به في كسر البيت فرآه قد جن ولم يبرح مكانه ولم ينفر وإذا رمى اليه طعاماً أكله وإذا رأى لحماً نهض الى

Marfat.com

يد صاحبه ثم دعي فأجاب فطعم على اليد . وكانوا يتباهون بحمله اذا رأى يوماً حمامة فطار اليها من يـــد حامله فعلقها فأمر الملك باتخاذها والصيد بها . فبينما الملك يسير يوماً اذ نفجت ارنب فطار الصقر اليها فأخذها فطلب بها الطير والارانب فقتلها واتخذها العرب بعده ثم استفاضت في أيدي الناس كما جاء في مروج الذهب للمسعودي وقال المسعودي ايضا « وقـد ذكر ابن غفير عن ابي زيد الفهري انه كان مـــن رتبة ملوك الاندلس المتارقة انه اذا ركب الملك منهم صارت الشواهين في الهواء مظلة لعسكره غيمة على موكبه تنحدر عليه مرة وترتفع اخرى معلمة لذلك فلا تزال على ما وصفنا في حال مسيره حتى ينزل فتقع حوله ، الى ان ركب يوما ملك منهم يقال له ازرق وصارت الشواهين معه على ما وصفنا فاستثارت طائراً فانقض عليه شاهين فاخذه فاعجب بذلك الملك وضراها على الصيد فكان أول من تصيد بها بالمغرب وبلاد الاندلس » .

وقيل ان اول من لعب بالبزاة واقتناها الملك بطليموس وقيل غير هولاء .

قال المسعودي « وقد وصفت الحكماء والملوك البزاة واغربت في الوصف واطنبت في المدح فقال خاقان ملك الترك : البازي شجاع مريد وقال كسرى انو شروان : البازي رفيق يحسن الاشارة ولا يؤخر الفرص اذا امكنت . وقال قيصر : البازي ملك كريم ان احتاج اخذ وان استغنى ترك وقالت الفلاسفة : حسبك من البازي سرعة في الطلب وقوة على الرزق وفي السمو اذا طالت قوادمه وبعد ما بين منكبيه فذلك ابعد لغايته وأخف لسرعته ألا ترى الى الصقور لا تزداد في غاباتها الا بعداً وسرعة وقوة على التكرار؟ وذلك لطول قوادمها مع كثافة اجسامها » .

وهذه الطيور ليست لها أمكنة مخصوصة معلومة لا توجد في سواها وإنما هي في أمكنة كثيرة ومواطن متباعدة متباينة فهي موجودة في صحارى تهامة كما انها موجودة في فيافي نجد وفي براري اليمن كما انهـــا

Marfat.com

موجودة على سواحل الخليج العربي وغيرها مما قرب او بعد . غير انهما تمتاز بكثرة وجودها في مكان دون آخر فطيور الخليج تمتاز كثرة ونوعاً وصلابة عن طيور تهامة واليمن، وقد يوجد نوع منها في موطن ولا يوجد في موطن آخر .

وتسكن هذه الطيور — على الاغلب — شاهق الأسكنة ورؤوس الجبال المنيفة حيطة وطلباً لسلامة صغارها، وقد تسكن الاشجار العالية الكثيرة الاغصان والفروع قال المسعودي : « ان البازي لا يتخذ وكراً إلا في شجرة لفاء مشتبكة بالشوك مختلفه الحجون بين شجر عسى طلباً للسكن وخفياً لألم الحر والبرد ، فاذا اراد ان يفرخ بنى لنفسه بيتاً وسقفه تسقيفاً لا يصل اليه منه مطر ولا ثلج اشفاقاً على نفسه وفراخه من البرد والقر » .

وقد زعم بعض الاوائل ان العقاب لا يحنو على صغاره ولا يتعهد تربيتها والمحافظة عليها كما يفعل سائر الطيور .

وقال الجاحظ في كتابه « الحيوان » : وزعم صاحب المنطق انه ليس شيء في الطير اجفى لفراخه من العقاب وانه لا بد من ان يخرج واحداً وربما طردهن جميعاً حتى يجيء طائر يسمى كاسر العظام متكفل به، وهذا زعم باطل يكذبه الواقع ويكذبه اهل الخبرة والمعرفة بهذه الجوارح

قال دريد بن الصمة :

كأني وتربي فوق فتخاء لقوة لها ناهض في وكرها لا تجانبه

وقال ابو نواس من ضمن ابيات :

وقانص احفى بـــه من امه او يستطيع قـــاته بلحمه

وهذه الطيور سريعة الطيران جداً حتى لقد قيل عنها وليس هذا ببعيد على من خبر طيرانها وسرعته انها تتغذى بالعراق وتتعشى باليمن ولذلك ضربوا المثل بها فقال : (اطير من عقاب) .

Marfat.com

وهذه الطيور حادة النظر قوية الابصار ترى الصيد على مسافات بعيدة شاسعة، فقد ينطلق من يد صاحبه ويغيب عن الانظار حتى يظن صاحبه ان لا رجعة له ، ومن ثم يخرج من خلال الجو حاملا فريسته ويرسله صاحبه حينما يرى الصيد، واحيانا يرسله حينما يرى ان الطير ينازعه القياد أنه أن الطير قد رأى صيداً ، ولعله انه اذا رأى قلما يخيب (مبارك اذا رأى فقد رزق) : يقول ابن المعتز في وصفه .

قال ابو نواس في (اليؤيؤ) وهو نوع من طيور الصيد يشبه الباشق :

قد اغتدى والصبح في دجاه كطرة البرد علامتاه
بيؤيؤ يعجب من رآه ما في الثنايا يؤيؤ شرواه
من صقعه طر بها خداه ازرق لا تكذبه عيناه
فلو يرى القانص ما يراه فداه بالام وقد فداه
من بعد ما يذهب حملاقاه لا يؤيل الماء منكباه
ولا جناحان تكفتاه منه اذا طار وقد تلاه
دون انتزاع السحر من حشاه لو اكثر التسبيح ما نجاه
ذاك الذي خولناه الله تبارك الله الذي هداه

وترى الصيد يتحاشاه ولا يقف له بسبيل ، واذا رأته الطير فرّت طائرة مذعورة لا تلوي على شيء ان كان لها مندوحة في الفرار ، وان كانت في مستكنها بحيث تأمن غائلته أقامت فيه لا تبرحه الى ان يبدي الله لها فرجاً بتروحه وبعده عنها :

ترى الطير والوحش من خوفه جوافل منه اذا ما اغتدى

ولهذا وصف بعض الشعراء الرجل المهيب بالصقر ، كما قال احد الشعراء لعبد الملك مادحاً الحجاج :

وبعثت من ولد الاغر مصقبا صقراً يلوذ حمامه بالعوسج

Marfat.com

وتختلف بعض هذه الطيور عن بعض في طريقة فتكها بفرائسها ، فبعضها وهو من اضعفها يلحقها كما يلحق الطير العادي ، وهذا ضعيف الصيد بالنسبة لغيره ، اذ ربما ارتفع الصيد عليه بطيرانه وعز عليه منالة كما تفعل الحباري ، فمن عادتها في طلب السلامة اذا رأت ان الطير محاذ لها في السمو تحاول هـــي السمو عليه وحينئذ يخر الى الارض متماسكاً برف بجناحيه رلا يسمو .

وبعضها يرتفع شاهقاً ثم ينقض على فريسته ويضربها بمخالبه العقف فيقدها قداً ، فتهوي فاقدة الحياة ثم يتبع الاخرى ان كان الصيد كثيراً ، هكذا يظل يرتفع ممعناً في الارتفاع ثم يهوي ضارباً بسنانه ، هذا اذا كان الصيد في الهواء ، اما اذا كان جاثماً على الارض فلجأ الى استثارته ليخرجه من ،كمنه فاذا تم له ذلك ، طار طالباً النجاة فعل فعله يرتفع ثم يهوي عليها هكذا .

وبعضها هو الأميز في طيور الصيد يفتك بها طائرة ويفتك بها وهي جاثمة على الارض لا يمنعه من ذلك مانع . وطريقته في الفتك وهي جاثمة هي ان يرتفع ثم ينصب عليها فاذا ما قاربها ضربها بمخلبه وهو في طريقه مستقلا مرتفعاً فيدهدها عن موضعها مسافة بعيدة لقوة ضربه بهذا السلاح . وكثيراً ما تكون هذه الطيور الممتازة عرضة للتلف ، اذ ربمـــا هوت على فريستها على اديم الارض وعندما تقاربها محاولة ان تنتاشها بمخلبها تروغ الفريسة جانباً فتصطدم بالارض فتذهب اشلاء ممزقة .

ولعل في هذا ما يعطي صورة توشك ان تكون واضحة جلية عن هذا الطير الذي له شأن ، وأي شأن في حياة العرب الرياضية منذ اقدم الاجيال الى وقتنا هذا في مجاهل وفيافي ارض هذه الجزيرة الكريمة .

عبد الله بن محمد بن رداس الحربي
من مجلة « اليمامة » بتصرف

نسخة مجانية

Marfat.com

مثل عليا اسلامية عربية

كان العرب في جاهليتهم واسلامهم مضرب المثل حقاً في الشجاعة ، اذا كانت من غرائزهم الفطرية وسجاياهم الطبيعية ، ومن اخلاقهم التي عرفوا بها في قديم الزمن وحديثه . فكانوا يتهافتون الى الحرب والقتال أفراداً وجماعات ، اذا دعا الداعي كحماية العرض والمال والدفاع عـــن الجار والشرف ، ويجدون في ذلك الحياة العزيزة المجيدة الكريمة .

وكانوا يتمدحون بالموت تحت ظلال السيوف ، او طعناً بالرماح ، كما يتهاجنون بالموت على الفراش ويقولون فيمن يموت كذلك : فلان مات حتف أنفه . وفي هذا يقول بعضهم حـــين بلغه موت أخيه . ان يقتل فقد قتل ابوه وعمه والله انا لا نموت حتفاً ، ولكن قطعاً باطراف الرماح وتحت ظلال السيوف ، كما يقول أحد شعرائهم في الجاهلية :

وما مات منّا سيد حتف انفه ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظباة نفوسنا وليس على غير الظباة تسيل

وربما كانت القبيلة منهم – لتأصل هـــذا الخلق القوي في نفوسهم وغلبته على طباعهم – تندفع الى القتال دون ان تعرف السبب الذي أهاجهم وتتبين ان كان حرياً بالحرب وما فيها من أخطار وفي هذا يقول قائلهم :

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

ان الحياة لا قيمة لها عندهم إذا كانت حياة فيها شيء من الذلة ، وان للمرء أجلا لا يعدوه متى جاء حينه سواء كان قتلاً أو على فراش ناعم

Marfat.com

وثير ، وان الاقدام على المكروه قد يكون سبب الحياة الماجدة ومن ثم كانوا — وما زالوا سريعي الاقدام على المكاره متى وجب الامر في رأيهم.

وفي هذا يقول أحدهم ، وهو عنترة احد فوارسهم الشجعان المشاهير :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنية منـــهل لا بد ان أسقى بكأس المنهل
فاقني حياءك لا ابالك واعلمي أني أمرؤ سأموت ان لم اقتل

كما يقول الحصين بن الحمام المري :

ولمـــا رأيت الود ليس بنافعي عمدت إلى الأمر الذي كان اعزما
فلست بمبتـــاع الحياة بـــذلة ولا مرتق من خشية الموت سلما
تأخرت أستبق الحياة فلم اجـد لنفسي حيـــاة مثل ان اتقدما

ويقول المتنبي في هذا المعنى ايضاً :

عش عزيزاً او مت وانت كريم بين طعن القنـــا وخفق البنود

ويقول آخر وهو قيس بن الخطيم ، معبراً عن الاقدام في الحرب :

اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنـــا فنضارب

هذا وقد سجل شعر العرب وتاريخهم المجيد مآثر في الشجاعة لا نجد ما يدانيها عند غيرهم من الامم الاخرى، ولهم في ذلك ايام معروفة في كتب التاريخ والادب لا نرى حاجة الى ذكر بعضها في هذه الكلمة ، الا اننا مع هذا نشير الى يوم أغر من تلك الايام ، وهو يوم ذي قار الذي انتصر فيه العرب على الفرس لاول مرة في التاريخ .

وكان من خبره كما يذكر ابن الاثير المؤرخ المعروف في كتابه الكامل أن كسرى غضب على النعمان بن المنذر واليه على الحيرة وارسل اليـــه

Marfat.com

يستدعيه الى حضرته بالمدائن عاصمة ملكه ، فعرف النعمان الشر في ذلك ولكنه ذهب اليه فحبسه حتى مات .

وكان النعمان قد اودع قبل توجهه الى كسرى اهله وسلاحه وما قدر عليه من ماله لدى هانىء بن مسعود الشيباني وهو رئيس قبيلته وسيد من سادات العرب . فأمره كسرى ان يسلم هذه الودائع والامانات الى واليه الجديد على الحيرة ، فامتنع هانىء من ذلك مدفوعاً بما هو معروف عند العرب من الحمية والانفة .

فأمر ملك الفرس عامله بحرب هانىء ومن معه ، وكان ان التقى الجمعان : جيش الفرس وجيش العرب بذي قار ، وحينئذ ادرك هانىء انه لا طاقة للعرب بحرب كسرى وجيوشه فأشار على من معه بالتفرق في الصحراء طلباً للنجاة قبل ان يخوضوا معركة لا عهد لهم بمثلها ولا قبل لهم بها ولا طاقة .

ولكن رجلاً معه وهو حنظلة بن ثعلبة العجلي وثب اليه وقال له : يا هانىء اردت نجاتنا فألقيتنا في الهلكة ، وما كان الا ان رد الناس الى مواقعهم وقطع أحزمة الهوادج وضرب على نفسه قبة واقسم ألا يفر حتى تفر القبة .

فزاد صنيعه الناس شجاعة ثم التقى الفريقان في معركة هائلة فكان ان كتب الله النصر للعرب على العجم وذلك بفضل شجاعتهم واستبسالهم واقدامهم على الموت وهم ينظرون .

وعندئذ عرف العجم ان للعرب احساباً ومثلاً عليا يدافعون عنها وان لهم قومية وان لهم يوماً له ما بعده .

وفي هذه الموقعة يذكر ابن الاثير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرف بما كان من انتصار العرب نصراً مؤزراً قال : « هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَمِ وَبِي نُصِرُوا » وصدق الرسول

Marfat.com

الذي لا ينطق عن الهوى وكان بعد ذلك ان توالى نصر العرب والمسلمين حتى أزال الله على ايديهم دولة الفرس ودولة الرومان والنصر بيد الله العزيز الحكيم يؤتيه من يراه أهلاً له .

وقد زاد الاسلام حين أشرق نوره على العرب هذا الخلق الأصيل فيهم قوة وذلك اذ جعل للقتال والاقدام على المكاره غاية هي أشرف الغايات وهي الجهاد في سبيل الحق واعلاء كلمة الله ودينه كما جعل لمن يقتل في هذا السبيل شرف ان يكون شهيداً له عند الله الدرجات العلى في الدار الآخرة فضلاً عما يناله من المجد وحسن الذكر في الدار الدنيا .

هـــا هو ذا الرسول صلى الله عليه وسلم يقرر في بعض احاديثه : أنّ مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، كما يذكر في حديث آخر : « الغَدْوَةٌ أوْ رَوْحَةٌ في سَبِيـــلِ الله خَيْرٌ مِنَ الدّنْيَا وَمَا فِيهَا » ويقول الله تعالى في القرآن : « وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَل أو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أجْرًا عَظِيمًا »

ومن ثم أتى العرب والمسلمون في هذه الناحية بالعجب العجاب فقد أزالوا من الوجود دولة الاكاسره والقياصرة على مـــا كان لهم من القوة والمنعة وشدة البأس في الحروب وعلى ما كان لهم من شديد السلطان على العرب وغير العرب قبل الاسلام .

وكان الواحد منهم يقدم على الخطر غير هياب ولا وجل لا يبالي أمات أم عاد حياً . يروي ابن قتيبة في عيون الاخبار : ان عمر بن الخطاب بعث الاحنف بن قيس على جيش الى خراسان فسيرهم الصيف ليلا وفرقوا جيوشهم وأقبلوا معهم الطبل ففزع الناس منه فتقلد الأحنف سيفه ثم مضى نحو الصوت وهو يقول :

ان على كل رئيس حقاً ان يخضب الصعدة او تندقا

Marfat.com

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله وكان ذلك سبب هزيمة العدو بعد ان فقدوا الصوت ثم حمل على الكتيبة الاخرى ففعل مثل ذلك وحده ثم جاء الناس وقد انهزم العدو بأجمعه هزيمة منكرة فاتبعوهم يقتلونهم في كل ناحية ، ثم مضوا حتى فتحوا مدينة « قرو الرذ » .

كما كان الواحـــد منهم يستبسل في القتال ويعرض نفسه للموت لا يبغي جزاء ولا شكوراً الا من الله وحده بل لا يبغي ان يعرف اسمه فيذكر بالحمد والثناء .

يذكر صاحب عيون الاخبار ايضا أن « مسلمة » حاصر حصنا فندب الناس الى نقب منه فما دخله احد فجاء رجل من عرض الجيش فدخله معرضاً نفسه للموت ففتحه الله عليهم فنادى مسلمة : اين صاحب النقب فما جاء أحد فنادى اني قد امرت الآذان بأدخاله ساعة يأتي فعزمت عليه الا جاء .

فجاء رجل ودخل عليه وقال له : ان صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً الا تكتبوا اسمه في صحيفة الخليفة ولا تأمروا له بشيء ولا تسألوه من هو قال . . . مسلمة فذاك له قال أنا هو فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة الا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

كما كانوا يستشرفون الموت قتلاً ويتمدحون بذلك : هذا سيف الله خالد بن الوليد يقول لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر الا وفيه طعنة او ضربة او رمية ثم ها انا أموت على فراشي حتف أنفي (وفي رواية اخرى : ثم ها أنا ذا أموت حتف نفسي كما يموت البعير) فلا نامت أعين الجبناء .

هكذا كانت شجاعة العرب والمسلمين مثلاً في التاريخ وهي ما تزال كذلك حتى اليوم لأن ما بالطبع لا يتغير كما يقال بحق ويكفي ان نشير الى معركة بور سعيد التي انتصرنا فيها على الدول الثلاث العاتية وذلك

Marfat.com

بفضل الايمان بالله ثم بحق الوطن وبفضل الشجاعة التي صارت مضرب الامثال .

وكذلك الامر في الجود والكرم في الجاهلية والاسلام حتى اليوم فالكرم من الاخلاق التي تأصلت في نفوسهم وتوارثها الابناء عن الآباء والاجداد وربما نزل الضيف بأحدهم ولا مال له الا ناقة واحدة وهي قوام حياته وحياة ولده فلا يتردد في ذبحها لضيفه خشية ان يقال شيء عن مروءته وعرضه وقديماً قال قائلهم :

واعلم ان الضيف يـــو مـــاً سوف يحمد او يلوم

هذا حاتم الطائي الذي ضربت بجوده الامثال ، وكان به كما يقول صاحب الامالي : مظفراً ، اذا قاتـــل غلب واذا غنم انهب واذا سئل وهب واذا اسر اطلق ، كما كان اذا اهلّ رجب ، وهو شهر كانت العرب تعظمه في الجاهلية ، نحر كل يوم عشراً من الابـــل فأطعم الناس واجتمعوا اليه .

وقد عرف بالكرم منذ صغره ، فكان يخرج طعامه اذا وجد احداً أكل معه وان لم يجد احداً طرحه ، وكذلك كان يفعل حين ألحقه ابوه بالابل فكان يبغي الناس حيث هو معها في المرعى فلا يجد احداً فيأتي الطريق عساه يجد من يكرمه الى اقصى الغاية .

ووجد ذات يوم ركباً سائرين في الطريق فأتاهم فقالوا له : يا فتى هل عندك من قرى ؟ فقال : تسألوني عن القرى وقد رأيتم الابـــل ، انزلوا فنزلوا وكانوا ثلاثة فنحر لهم ثلاثة من الابل .

فقال احدهم له : انما اردنا اللبن وكانت تكفينا بكره اذ كنت لا بد متكلفاً لنا . فقال له حاتم : قد عرفت ولكني رأيت وجوهاً مختلفة والواناً متفرقة ، فعلمت ان البلدان غير واحدة ، فأحببت ان يبقى لي

Marfat.com

منكم في كل بلد ذكر . فقالوا فيه شعراً يمتدحونه ويذكرون فضله .
فقال لهم : أردت ان احسن اليكم : فصار لكم علي الفضل . وأخيراً وهب لهم الابل كلها فأصاب كل منهم تسعة وثلاثين بعيراً ، ومضوا في سفرهم ولما سأله أبوه عـــن الابل قال له : يا أبت قد طوقتك طوق الحمامة مجداً وذكراً لا يزال رجل يحمل لنا بيت شعر ابداً بابلك .

وهذا رجل آخر وهو سالم بن قحطان يجيئه رجل يستمنحه فيعطيه بعيراً ويطلب من امرأته حبلاً يربطه ببعيره الذي جاء عليه ثم يعطيه ثانياً وثالثاً ، وفي كل مرة يطلب حبلاً من امرأته حتى لم تجد حبلاً فقال لها هذه الكلمة التي ذهبت مثلا : علي الجمال وعليك الحبال فرمت اليه خمارها ليجعله حبلا لبعضها فقال :

ولا تعذليني في العطاء ويسّري لكل بعير جاء طالبه حبلا
فلم أر مثل الابل مالا لمتتن ولا مثل ايام الحقوق لها سبلا

وقد زاد الاسلام هذا الخلق العظيم قوة ولذلك يحثه على اكرام الضيف واعانة المحتاج ، ووعده على هذا بالخير الكثير في الدنيا والآخرة ، وهذا الى اصالة هذا الخلق في نفوس العرب كما هو معروف فكان من ذلك مثل رائعة في الكرم والايثار .

يذكر ابن الاثير في كتابه الكامل في اللغة والادب ان الاحنف بن قيس قال : كثرت علي الديات فلم اجدها في حاضرة تميم فخرجت نحو تبرين فسألت عن المقصود هناك فأرشدت الى قبـــة فاذا شيخ جالس بفنائها مؤزراً بشملة محتب بحبل .

فسلمت عليه وانتسبت له ... ثم ذكرت له الديات التي لزمتنا للأزد وربيعة فقال لي : اقم فإذا راع قد اراح الف بعير فقال : خذها ثم اراح عليه آخر مثلها فقال : خذها فقلت : لا احتاج اليها فانصرفت

Marfat.com

بالألف عنه والله ما ادري من هو الى الساعة .

وفي صحيح الامام مسلم ان رجلاً نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه ما به من جهد ، فأرسل الى امهات المؤمنين فلم يجد عندهن شيئاً يقدمه له فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة وأخذه الى رحله وطلب من امرأته اكرامه فأخبرته أنه ليس عندها قوت الصبيان فطلب منها ان تعلل الصبية حتى يناموا وان تطفىء السراج وتقرب للضيف ما عندها، وهكذا اكل الضيف ما كان عندهم كله وباتا طاويين وكذلك الصبيان . فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ » . وفي هذا نزل قوله تعالى : « وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » .

الدكتور محمد يوسف موسى

Marfat.com

بطولة وفاء

الوفاء بالعهد خلق من اخلاق الاحرار وشيمة من شيم الابطال ، لان الرجل النبيل يعتبر الكلمة يعطيها كالقيد يقيد به نفسه ، فلا يتخلص منه الا بحله ووفائه ، وقد مجد القرآن الكريم خلق الوفاء بالعهد وطالب به الناس فقال : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً » وجعل هذا الخلق سمة من سمات المؤمنين الصادقين فقال : « وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا » وقال « بَلَى من أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ » وجعل الوفاء من شيم الانبياء فقال « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى » وقال « وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا » بل جعل الوفاء صفة من صفات الخالق جل جلاله فقال « وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ » .

ويزداد الوفاء بالعهد قيمة ومكانة اذا كلف صاحبه رهقاً من امره او عرضه لخطر اكيد او شر جسيم وهو يستطيع ان يخلص بنفسه وان يبعد عن مواطن التعب والنصب ولكن شهامته وكرامته تأبيان له الا ان يكون حراً أصيلاً ، وشهماً نبيلاً فيرضى بالعناء والعنت في سبيل هذا الخلق الرفيع خلق الوفاء .

وفي تاريخنا العربي والاسلامي مواقف خالدة يتألق فيها خلق الوفاء من ابطال عرضوا انفسهم للمعاطب والنكبات في سبيل الالتزام بوعدهم والارتباط بعهدهم ومن هؤلاء ابو محجن عبد الله بن حبيب الثقفي الذي كان مخضرماً ادرك الجاهلية والاسلام وكان من اهـــل البأس والنجدة والاقدام ومن ذوي الهمة والعزيمة والشجاعة وهو القائل :

Marfat.com

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته ... وسائلي الناس عن بأسي وعن خلقي
قد اطعن الطعنة النجلاء عن عرض ... واكتم السر فيه ضربة العنـــق
اعطي السنان غداة الروع حصته ... وعامـــل الرمح اردیه من العلق
عف المطالب عمـــا لست نائله ... فإن ظلمت شديد الحقـد والحنق
والقوم اعـــلم اني من سراتهم ... اذا سما بصر الرعديـــدة الشفق
سيكثر المال يوماً بعد قلتـــه ... ويكثر العود بعد اليبس بالورق

ولكن بقية من رواسب الجاهلية دفعته الى تناول المسكر فنال على ذلك جزاءه . وتتابعت الايام على ابي محجن وجاءت غزوة (القادسية) وكانت في طليعة السنة الرابعة عشرة من الهجرة . والقادسية قرية كانت قرب الكوفة وكانت باب بلاد الاعجام . وقد اشترك في هذه الغزوة عدد كبير من الصحابة وأبنائهم ، ومن المدربين الذين شهدوا غزوة بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان المسلمون في الغزوة نحو ثمانية آلاف واعداؤهم نحو ثلاثين الفاً .

وكان اعداء العرب والمسلمين يستخدمون الفيلة في القتال ، وكانت الخيول العربية تجفل منها لانها لم تتعود رؤيتها قبل الاسلام ، وكان سعد ابن ابي وقاص قائد جيش المسلمين في المعركة .

وخرج المجاهدون الى الميدان وبقي ابو محجن سجيناً مقيداً في قصر سعد بسبب الزلة التي أتاها . وبلغ مسمعيه حركة الخيول الراحـــلة الى النضال تحمل فوق ظهورها الابطال فتحرّق شوقاً الى الجهاد واستبد به الالم لانه يحال بينه وبين هذا الشرف المرموق فجعل يردد قوله :

كفى حزنا ان تطعن الخيل بالقنا ... واترك مشدوداً على وثاقيـــا
اذا قمت عناني الحديد وغلقت ... مصاريع من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة ... وقد تركوني مفرداً لا أخا ليا

Marfat.com

وقد شفّ جسمي أنني كل شارق اعالج كيلا مصمتا قد برانيـــا
فلِلّٰهِ درى يوم اترك موثقاً وتذهل عني اسرتي ورجاليـــا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت واعمـــال غيري يوم ذاك العواليـــا
ولله عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت ألا أزور الحوانيـــا

وسمعته امرأة لسعد كانت بالقصر فاستنبأته نبأه فبثها شجوه وحزنه، ورجاها ان تفك قيده وتعيره فرساً مشهورة لسعد تسمي (البلقاء) حتى يذهب عليها الى الميدان فيقاتل، وحلف لها ان يرجع آخر النهار فيضع رجليه في القيد كما كان، قبـــل ان يعود اليها سعد، فترددت في ذلك وألح عليها حتى رضيت فطار على الفرس الى المعركة .

وهناك قاتل قتالا شديداً وجعل يقصف الاعداء بسيفه قصفاً وسعد ينظر الى فرسه فيعرفها ثم يتردد في الامر ويتطلع الى راكبها المقدام فيقول في نفسه انه ابو محجن، ولكن ابا محجن هناك في القصر يحبسه قيده فكيف يأتي هنا ؟

ودارت الدائرة على اعداء العرب والمسلمين وأدى أبو محجن واجبه كاحسن ما يكون الاداء، فسارع بالعودة بعد ان ابلى البلاء الحسن واخذ يترجم عن شجاعته وبلائه بقوله :

لقد علمت ثقيف غير فخر بانا نحن اكرمهـــا سيوفا
واكثرهم دروعا سابغات واصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
فان احبس فذلكم بلائي ولو اترك اذيقهم الحتوفا

ويروى ان امرأة قابلته في طريق عودته فظنته هاربا من المعركة، فعيرته بقولها :

من فارس كره الطعان يعيرني رمحـــا اذا نزلوا بمرج الصفر

Marfat.com

فرد عليها ابو محجن يقول :

ان الكرام على الجياد مبيتهم فدعي الرماح لاهلها وتعطري

وبلغ ابو محجن قصر سعد فدخله والمرأة في دهشة واعجاب بعودته ووفائه بعهده ، وسارع الشاعر البطل الوفي فادخل رجليه في قيدهما ، واغلقه عليهما ، فكان مثلاً من امثلة العلو في الهمة والسمو في الوفاء وصدق العلي الكبير : وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ .

الشيخ احمد الشرباصي

نسخة مجانية

Marfat.com

لغة الاشارة

هل فكرت يوماً وانت تحرك يـــدك حركات توضح الحديث الذي تخوضه بأصل هذه الحركات ؟ وهل خطر لك ان تتساءل لماذا تحمـــل بعض الاشارات معاني معينة عند جميع المخلوقات تقريباً ، رغم اختلاف اللغات ؟ ولماذا تختلف لغات الشعوب في انحـاء الارض في الوقت الذي تتشابه فيه الاشارة بينهم ؟

فمثلاً هناك اشارة معروفة تصدر من اليد يقصد منها الاستفهام عما حدث ، او عما يريده الشخص الآخر ، وهذه الاشارة نفسها تستعملهـــا شعوب اختلفت لغاتها وتباينت ، فإذا تقابل اثنان لا يعرف الواحد منهما لغة الآخر ، استحال عليهما التفاهم عـــن طريق اللغة ، وهنا تقوم لغة الاشارة بدور الايضاح بينهما ، وقد تفرض الظروف على احد الناس في اجتماع ما ان يتجنب استخدام الكلمات في التعبير عما يكنه خشية ان يسمع شخص معين ما يقوله فتراه يلجأ الى هذه اللغة الخرساء ليطلب من شخص أمراً ما ، كأن يطلب منه الكف عن الحديث او مواصلته او السخرية من احد الجالسين ، وقد يطلب منه مغادرة المكان وقد يلزمك ان تدعو صديقاً الى الاقتراب منك فبتعذر عليك نداؤه بصوتك لكيلا تشوه جمال الهدوء الذي يسود المكان ، او ربما لكي تتجنب ان تبح صوتك فتصدر اشارة يفهم منها انك تريد اليه الاقتراب منك .

والامثلة على اهمية استخدام لغة الاشارة كثيرة ، فمن هزة الرأس الى اشارة بأصبع اليد الى حركة بالعين .

فلماذا إذاً تختلف لغات الشعوب في انحاء الارض في الوقت الذي تتشابه

Marfat.com

فيه لغة الاشارة بينهم ؟

يقول العلماء ، انها جزء من طبيعة الانسان التي ورثها على مر الدهور وهي تتألف من اشارات بطريقة فطرية ، فقد كانت الاشارة هي لغة البشر في الأزمنة الاولى للانسانية ، ولكن لماذا لم يستعملوا لغة التخاطب فيما بينهم ؟ ذلك لأن الانسان لم يكن يعرف الكلام ولم يكن قادراً على التفكير ، ولهذا كان يعبر عن رغباته ومطالبه الطبيعية بالاشارة .

والكتابة وسيلة جديدة اذا قيست بعمر الانسان على هذه الارض لنقل الافكار للتعبير عما تكنه النفس ، وقبل اختراع الحروف الكتابية كانت طريقة التعبير هي طريقة الرسم ، فإذا اراد الانسان ان يكتب كلمة « شجرة » مثلاً رسمها او « رجلاً » رسم صورته وكان يخترع الرسوم التي تعبر عن الكلمات المعنوية مثل « حب وكراهية وخير وشر » كما كان يعبر عن « شر » برسم امرأتين تحت سقف واحد ، هكذا كان اسلوبهم في التعبير .

يتبين لنا انه كانت هناك طريقة رمزية للكتابة ما زالت محفورة على الحجارة في بعض الاماكن الاثرية ، ورغم تقدم الانسان وتمكنه من النطق والتخاطب بالكلمات ، الا ان عدداً كبيراً من الناس لا يزال يميل الى الاستعانة بهذه الطريقة لايضاح امر تتحدثون عنه ، كما ان الرسم ما زال طريقة للتعبير تصور اجمل المعاني ، وترمز الى ارقى الافكار .

ولكن لغة الاشارة يحصل فيها احياناً لبس وابهام ، وقد تحتمل الاشارة الواحدة اكثر من تفسير ، فمثلاً اذا اردت ان تدعو شخصاً الى التمهل فأنك تمد ذراعك للأمام ضاماً اصابع يدك ، وقد يفهم منها ايضاً التهديد والوعيد .

وعنصر الفكاهة مرتع خصب في لغة الاشارة ، يروي ان رجلاً غريباً جاء بلدة يطلب الرزق ، وكان معروفاً بالذكاء ، فطلب من اهل البلدة

Marfat.com

ان يختاروا رجلاً من بينهم لينازله في مباراة تكون لغة الاشارة فيها هي وسيلة التفاهم ، فاختاروا رجلاً منهم فطناً ظريفاً، وعندما ابتدأت المباراة رفع الرجل الغريب يده الى السماء، فرد عليه الرجل الظريف بأن أشار بيده الى الارض ، فمد الغريب اصبعه السبابة في وجه الظريف ابن البلد، فرد عليه هذا بأن مد يده في وجهه وفيها اصبعان ممدودتان كأنه يشير الى الرقم اثنين ، وبعد ان انتهت المباراة نظر الناس الى القادم الغريب يسألونه رأيه في ابن بلدتهم ، فقال لهم انه ذكي ونبيه ، فطلبوا منه ان يفسر لهم الحديث الذي دار بينه وبين ظريف بلدتهم بالاشارات ، فأجاب : قلت له في اول اشارة (الله رفع السماوات) فأجابني : (وهو الذي بسط الارض) ثم قلت له : (ان الله واحد) فأجابني : (ليس له ثان) ثم ذهب الناس الى ابن بلدتهم وطلبوا منه ان يفسر ما دار بينه وبين الرجل الغريب ، فقال : هددني بأول اشارة انه يقذفني في الهواء فأجبته متحدياً : (سأمسح بك الارض) ثم قال بثاني اشارة من اصبعه : (سأفقأ عينك) فأجبته : (سافقا عينيك الاثنتين) .

وعلى الرغم من تطور الانسان فانه ما زال لهذه اللغة صولة وجولة في عالم البكم ، لقد اعادتهم العاهة الى الطبيعة الاولى ، وقد وضعت اشارات منظمة لتكون لغة للبكم يتحدثون بها بكل حرية وانطلاق ، وتعتمد هذه اللغة على حركات اصابع اليدين بضم عدد منها وفتح عـــدد آخر حسب ما يتطلب تركيب الكلمة ، فاذا شاهدت شخصين وقد امتدت يداهما للامام وتراقصت اصابعهما في حركات سريعة وقد تبدو عصبية فاعلم انهما ابكمان يتفاهمان بهذه اللغة .

وقد حرم بعض الناس من نعمة السمع والنطق والنظر ؛ غير ان الله ارحم من ان يحرمهم من اية وسيلة للتنفيس عما في نفوسهم وقد اخترعت طريقة اللمس بدل الاشارة ليتفاهموا بها ، فيمسك الواحد منهم بيد الآخر

Marfat.com

وياخذ بالضغط عليها باسلوب منظم مدروس بحيث تعني كل لمسة حرفاً من الحروف او نقطة او اشارة استفهام ، ولعل الكثيرين سمعوا عن المرأة الامريكية المعجزة (هيلين كيلر) التي لا تقوى على النطق او النظر ، ولذلك تعلمت طريقة اللمس للتعبير عن افكارها ، وقد حصلت على خمس اجازات للدكتوراه في الفلسفة ، وطافت كثيراً من بلدان العالم ، والقت عدداً كبيراً من المحاضرات بواسطة سكرتيرتها ومترجمتها التي تصاحبها اينما تذهب ، فتراها تمسك بيدها وتنقل عن طريق اللمس ما تريد ان تقوله للناس كما تنقل اليها حديث الناس ايضاً .

ان معظم الناس يستعملون لغة الاشارة ، رغم تمتعهم بالمقـــدرة على النطق لأن الاشارة اسهل من الكلمة وأوضح وهي متاصلة في الانسان ولا تكلفه جهداً بينما تجهد فكره الكلمات ، وذلك لان الانسان يقوم بها بفطرته دون ان يشغل فكره ، فالشخص الذي يكون مستغرقاً في قراءة كتاب او كتابة او رسالة وصارفاً فيها كل فكره اذا دخل عليه صديق او احد افراد العائلة ليحدثه في امر ولم يكن راغباً في قطع حبل تفكيره ، او اذا شاء تاجيل التحدث الى الداخل ريثما ينتهي فانه يعطيه اشارة من يده يطلب منـــه فيها الجلوس او الانتظار ، ان الاشارة لم تكلفه جهداً او ارادة لذلك واصل التفكير ولم يقطعه بسبب هذه الاشارة ولو انه انقطع عن القراءة والكتابة ليقول كلمة ما فقد ينقطع تيار تفكيره .

ان اكثر شعوب الارض تستعمل المصافحة عند التعارف وهذه العملية تعني الترحيب والتحية دون حاجة الى ان تقول ذلك، ولو التقى شخصان لا يعرف احدهما لغة الآخر، فيكفي ان يمد يده مسلماً او يهز له رأسه او يرفع يده محيياً ليتم التفاهم لاعلان السلام والمودة .

وبعض الشعوب مثل اليابانيين والاندونيسيين والصينيين لا يهزون الايدي بل يضع الواحد منهم يدك بين يديه ثم يسحبها بلطف وهو

Marfat.com

منحن اعلاناً للأحترام .

وللتحية والسلام وسائل مختلفة ، فهناك أقوام لهم طريقتهم الخاصة في التحية ، فبعضهم ياخذك بين ذراعيه والبعض الآخر يقبلك وبعض القبائل في الجزيرة العربية يحكون انوفهم ببضعها عندما يسلمون والبعض الآخر يكتفي بحك وجنته بوجنة من يسلم عليه ، اما اهل التبت فيخرج الواحد منهم لسانه لابداء التحية .

واستعمال الاشارات في التحية ما زال سائداً عند الناس ذلك لان التحية تعبير عن الحب والمودة اللذين ينبعـــان من اعماق النفس البشرية تلك الاعماق التي تضم تراث الاجداد القدامى وقصة الانسانية في تطورها .

عبد اللطيف قاسم الخطيب

بتصرف

Marfat.com

الربيع

دار الفلك دورته وعاد سيرته فسرت في اعصاب الارض هزة الحياة وتفجرت عروقها بالمياه وسالت قمم الجبال جداول وأنهاراً واشتعلت الارض ازهاراً واشجاراً .

تبرجت بعد حياء وخفر تثني على الله بآلاء المطر

صرحت الارض بمكنونهـــا وأبانت الحياة عن ضميرها فنبتت معاني الحياة والجمال في الفاظ من الاوراق والنوار .

باح الربيع بأسرار البساتين وعطر النفس انفاس الرياحين

ونفخت انفاس الربيع الحرى الحياة في كل ذرة فأخرجت قواها اعشابا وازهاراً فرقتها الواناً والفتها معاني .

لم يبق للأرض من سر تكاتمه الا وقد أظهرته بعد اخفاء

ابدت طرائف شتى من زواهرها حمراً وصفراً وكل نبت غبراء

اي مسرح للفكر وأي مجال للخيال وأي مراد للطرف :

دنيا معاش للورى حتى اذا جاء الربيع فانما هي منظر

وفي ارجواني من النور احمر يشاب بأفرند من الروض اخضر

اذا ما الندى وافاه صبحاً تمايلت أعاليه من در نثير وجوهر

اذا قابلته الشمس رد ضياءها عليها صقال الاقحوان المنور

والطير مغردات كأن أصواتها ذوب هذه الالوان وكأن الوان الروض

نسخة مجانية

Marfat.com

جمد هذه الالحان يهتز الطائر الغريد على الغصن الاملود فيقرأ ما تحته من صفحات الجمال كأنما الطير ابر الحاكيات[1] تنطق بما تضمنت الصفحات من نغمات والعصفور مرح تتداوله الاغصان وتتهاداه الافنان تارة في انتزاء بين الارض والسماء وتارة تغيبه الحديقة كأنه في هذا الجمال فكرة دقيقة صغير تملأ الهواء نغماته وضئيل تشغل الجو خفقاته .

والفراش قلق بين النور هائم بين الازهار لا يقر له قرار كأن كل فراشة زهرة طائرة او قبلة بين الازهار حائرة او نغمة في جمال الروض سائرة .

والشعراء ينافسون الطير على الايك طرباً وتغريداً وفي المرج تسبيحاً وتحميداً تنبجس في جوانحهم ينابيع البيان وتتفتح سرائرهم عن ازهار الشعر ففي كل قلب ربيع ومن كل قصيدة روض وفي كل معنى وردة وعلى كل قافية نغمة .

هكذا تفيض الحياة على الجماد والنبات والحيوان وينتظم الجمال الخليقة والانسان كانما العالم كله فكرة واحدة او قصيدة خالدة .

ذلكم الربيع الذي فتن الناس فافتنوا في وصفه والإبانة عن محاسنه والاشادة بذكره والاحتفال بمقدمه فاتخذته الامم على اختلاف المذاهب عيداً ومجدته بشتى الوسائل تمجيداً وأولع به الشعراء في كل قبيل ولم يخل من المفتونين به جيل .

جاء الربيع فلميت في كل قلب من صفائه قطرة وفي كل نفس من جماله زهرة وفي كل خلق من عبيره نفحة لتعمر النفوس بمعاني الحياة وتستنير باشعة الجمال ويسكن الناس الى السعادة حيناً وينسوا اساليب العداوة والبغضاء زمناً ، وليت الناس جروا من الحياة طلقها ولم يفسدوا على الطبيعة خلقها ، فانبت الربيع في كل قسوة رحمة وفي كل يأس املاً

---

(١) الحاكيات جمع حاكية الفنوغراف .

Marfat.com

وفي كل حزن سروراً وفي كل ظلام نوراً ، ليتهم اجتمعوا على ورد الحياة متصافين كما ترف على جداول الربيع الرياحين .

ولكن الانسان قد حاول بادعائه وكبريائه ان يكون عالماً بذاته فكان نشوزاً في نغم الكون ونفوراً في نظام العالم ، فلو انه اقتصد في تصنعه وائتلف كما كان بالطبيعة لاتحد الآن مع الربيع فشعر بتدفق الحياة في جسمه واشراق الصفاء في نفسه وانبثاق الحب في قلبه واحس انه هو في وقت واحد زهرة تفوح وخضرة تروق وطائر يشدو وطلاقة تفيض على ما حولها البشر والبهجة .

وبعد فان لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة رسالة بليغة تؤديها الى النفوس الشاعرة والفطر السليمة فليت شعري اية رسالة يحملها الربيع الى ذوي القلوب الواعية منا ؟

قابل ايها القارىء بين الشتاء والربيع ، بين رقدة الطبيعة ونهضتها وان شئت فبين موتها ونشورها فستجد هذه على قصر امرها قد تضمنت حكمة الحياة كلها والى هذه الحقيقة يشير الربيع في رسالته الى الناس.

عبد الوهاب عزام
(بتصرف)

Marfat.com

دمشق

دمشق اسم المدينة الجميلة ، مدينة السحر والشعر ، وقد اطلق ايضاً اسم (جلق) على مدينة دمشق وورد هـــذا الاسم في الشعر القديم ، ومنه في شعر حسان :

لله در عصابـــة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الاول

وقيل جلق اسم لغوطة دمشق كلها ، ويكاد يكون الاجماع على ان جلق هي دمشق وسموا دمشق جلق الخضراء والغوطة وذات العماد .

وتعلو دمشق الفين ومائتي قدم عـن سطح البحر المتوسط وتبعد عنه نحو ستين ميلاً وهي سهلية جبلية معتدلة الهواء تأخذ للفصول الاربعة فيها حكمها ، وقد تنزل درجة الحرارة في الشتاء الى اثنتي عشرة درجة تحت الصفر وتصعد فيهـــا ايام الصيف الى نحو ٣٧ درجة . وهي هبة (بردى) الذي سماه اليونان نهر الذهب كما ان مصر هبة النيل .

وكانت دمشق لقربهـــا من جزيرة العرب والعراق والجزيرة ومصر مدينة تجارية تصل بين الشرق والغرب . وظلت عامرة على اختلاف العصور نحو اربعة آلاف سنة . فهي أقدم مدينة في العالم باقية على عمرانها . ومما نفخر به ان لها الواديين وادي بردى ووادي العجم يشق الاول نهر بردى مضافة اليه مياه عين الفيجة ويشق الثاني نهر الأعوج .

ومن خصائص دمشق انها وسط غوطتها الغناء التي تخرج بقولهـــا وفاكهتها واخشابها واحطابها ، وهي على مقربة من اقليم حوران تجلب منه حبوبها الجيدة ، وعلى اميال يسيرة من اقليم الجولان ترعى ماشيتها وعلى فراسخ قليلة من مصايفها ومشاتيها ترى في بعضها الهواء العليل البليل طوال السنة وفي الوقت عينه تشتد في بعض أماكن حرارة الصيف .

Marfat.com

فغورها على مقربة من نجدها وجبالها كسهولها تتعاون على جلب الخيرات اليها ، والثلج لا تخلو منه اعالي جبالها صيفاً وشتاء ، وماء الشفة يجلب اليها في أنابيب تسقي دورها ومصانعها وتندر في المدن الكبرى مدينة كهذه تسقى ماء طاهراً لذيذاً كماء عين الفيجة ، وبهذا قلّت فيها الامراض الوافدة .

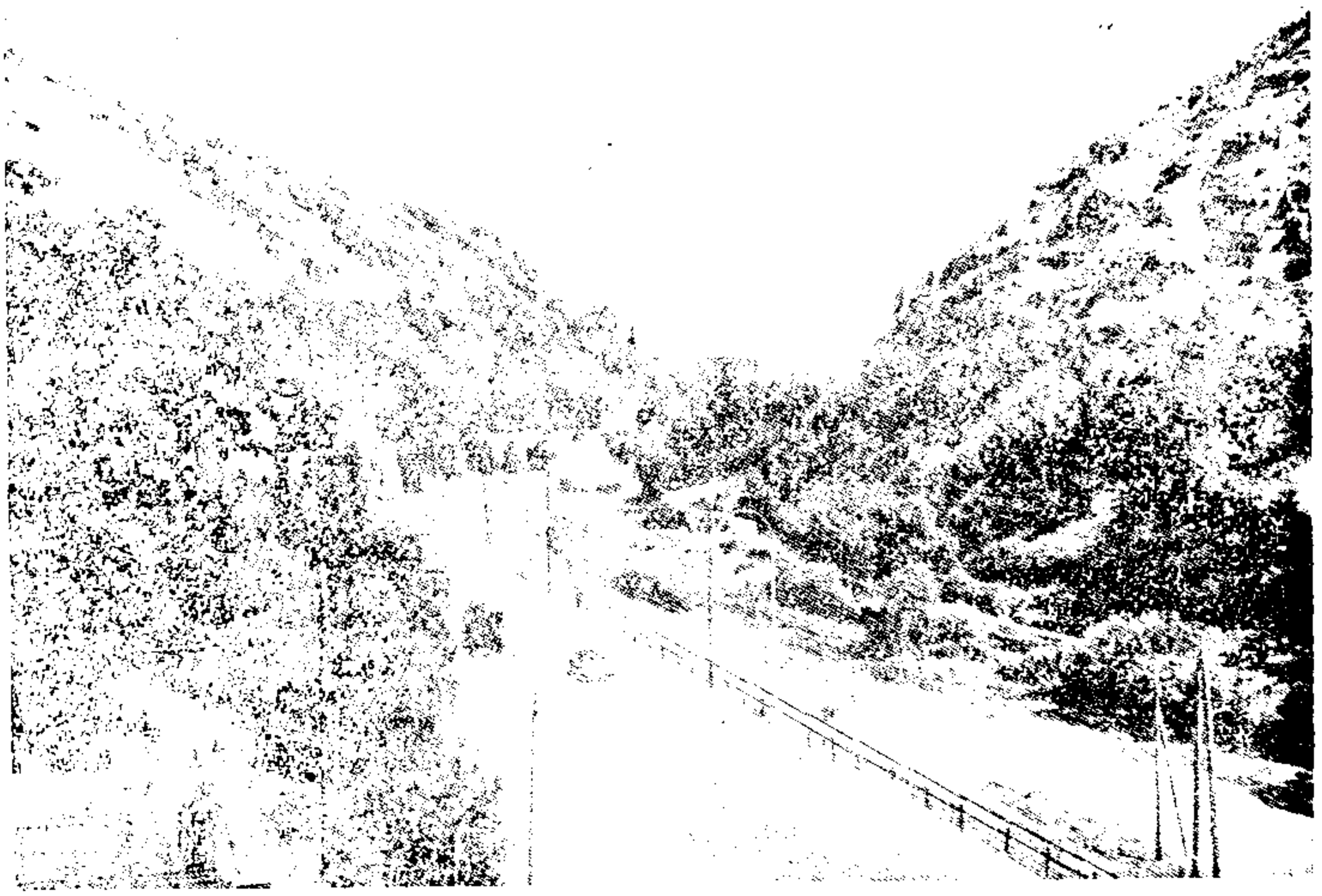

وقد ازدهرت دمشق في عهد بني أمية فبنى معاوية فيها قصر الامارة جنوب المسجد الأموي وسمي بالخضراء لقبة خضراء قامت عليه قيل انه أنفق عليه ثمانية عشر حملا من الذهب وبني الأمويون بيوتهم في جوار الجامع ، وكان لمظهم قصور في الغوطـــة ومنهم من كان يؤثر نزول البادية لئلا يخمل ابناؤهم بعيش الحضارة .

Marfat.com

وجاء الخليفة الوليد بن عبد الملك وكان مولعاً بالعمران فبنى بهـــا الجامع الاموي .

وذكر المؤرخون ان الوليد اتى بالصناع والمهندسين من الروم أي من الروم الوطنيين وبناه على أعمدة من الرخام طبقتين الطبقة التحتانية أعمدة كبار والتي فوقها صغار في خلالها صورة كل مدينة وشجرة في الدنيا معمولة بالفسيفساء بالذهب والخضرة والصفرة . وكان ابتداء عمارته في أواخر سنة ست وثمانين هجرية وتكامل في عشر سنين . وقـــد انفق الوليد على تشييده وتزيينه خراج الشام سنتين وقيل أكثر من ذلك وكان خراجها الف الف دينار ومائتي الف دينار كل سنة فجاء أجمل جامع في الاسلام يليق بعاصمة الخلافة الاسلامية وبقي على جماله الى سنة ٤٦١ هـ ايام ذهبت محاسنه في الحريق الذي وقع في دولة الفاطميين وقد حرق ست مرات في عصور مختلفة .

وقد عمرت دمشق في العهد الاموي عمراناً ما عهدت مثله في القرون الغابرة ولا في القرون اللاحقة ، فابقى كل واحد من خلفاء بني أمية أثراً فيها مع ان ملكهم لم يدم اكثر من الف شهر . وجاء العباسيون فكان بعض المتقدمين من خلفائهم كالرشيد والمامون يختلفون اليها — كما قال ابن عساكر — طلباً للصحة وحسن المنظر . وقال صاحب الاغاني : ان المأمون دخل دمشق فطاف فيها وجعل يطوف على قصور بني أمية ويتتبع آثارهم فدخل صحناً من صحونهم فاذا هو مفروش بالرخـــام الاخضر كله ، وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها من عين تصب اليها وفي البركة سمك وبين يديها بستان على اربع زواياه سروات كانها قصت بمقراض من التفافها .

والبيت الدمشقي في العادة مكون من صحن أو فناء فسيح في وسطه حوض ماء يتدفق اليه من انبوب أو فوارة لا ينقطع جريها وقد غرست

Marfat.com

من الرياحين والاشجار المثمرة كل جميل وعطر وعلى جوانب هذا الصحن المخادع والغرف والقاعات ، وفي القاعة بركة ماء ايضاً وربما جرت على قامة في الجدار ، لتزيد في رطوبة المحل في الصيف . وفي الطبقة الثانية العلالي وهي خاصة بالشتاء على الاغلب فبيوت دمشق القديمة حوت جميع المرافق ومنها الحديقة والاشجار والمياه . والغالب ان الزلازل في الدهر السالف دعت الاهلين الا يستخدموا الحجر في بنيانهم الا نادراً ، أمـــا اليوم فالمعول عليه في البناء الحجر والاسمنت المسلح والآجر والقرميد . لكن الطراز القديم في البناء أقرب الى حفظ الحرارة واتقاء البرد من الطراز الحديث .

وتنقسم دمشق اليوم الى قسمين متجاورين المدينة القديمة والمدينة الحديثة يقوم القسم القديم حول جامع بني أمية والقلعة داخل السور وظاهره وقد حافظت احياؤها على مظهرها القديم وعلى ما كانت عليه منذ مئات من السنين ، ويخترق هذه المنطقة من الغرب الى الشرق شارعان الاول ويصل ساحة الشهداء بمحلتي القصاع وباب توما ويمر فيه خط ترام طوله احد عشر كيلو متراً يصل دوما بدمشق . وفي هذا الشارع حوانيت العلافين والحدادين وبائعي البقول والاثمار وحواصل الخشب . وفيه سوق الخضروات ، وفيه جامعان اثريان جامع السادات وجامع المعلق .

والشارع الثاني يقع الى الجنوب وداخل السور وهو جزء من الشارع المستقيم الذي يصل باب الجابية بالباب الشرقي . وتكثر في هذا الشارع متاجر النسيج الوطني والاعبئة والكوفيات والعقل والنحاس وبين هـــذين الشارعين شارع ثالث وهـــو سوق الحميدية جنوبي القلعة وينفذ منه الى جامع بني امية وهو من اهم شوارع المدينة تتمركز فيه الحركة التجارية وفيه اكبر مخازن المصنوعات الاجنبية ويعارض هذه الشوارع عدد كبير من الطرق والازقة ليسهل اتصال هذه الشوارع بعضها ببعض .

Marfat.com

وقد حافظ اكثر اقسام الشوارع الاخيرة على حالتها القديمة ونصيبها من التجدد والعمران ضئيل ويخيم عليها مظهر الكآبة والفقر . ولولا وفرة الابنية الأثرية التي تزين هذه الشوارع لما امتازت عن عمران قرية من القرى وبعض أسواق المدينة لا تزال مغطاة غير مكشوفة على نحو ما كانت الشوارع في معظم بلاد الشرق قديماً .

وقد خطت دمشق منذ عشرين سنة خطوات سريعة في سبيل العمران وانشئت فيها احياء حديثة وتجددت اخرى مما يبشر للمدينة بمستقبل زاهر، ولا سيما بعد ان وضع لها مخطط روعي فيه أحدث أساليب العمران .

وتمتاز دمشق عن غيرها من المدن بكثرة متنزهاتها تحدق بها الاشجار من كل جهة ، وحيث خرجت منها لا ترى الا متنزهات واشهرها وادي الربوة والمزة والغوطة ، واما ملاهي المدينة ودور السينما والفنادق فهي بجوار ساحة الشهداء حيث اكبر المصالح الحكومية .

والدمشقي يعطف منذ القديم على الغريب حتى يكاد يفرط فيما تقتضيه واجبات الضيافة والمجاملة ، هكذا علمه بنو امية على ما يظهر يوم كانت دمشق عاصمة الاسلام بل عاصمة الدنيا كلها . والدمشقي يحنو على الفقراء ويكثر برهم ، ولا سيما في الاعياد والمواسم والمآتم ، وما زال يعاضد الجمعيات الخيرية التي الفها فريق من أهل الخير والحمية لتعول الفقراء وتعلم اليتامى .

ومن طبع الدمشقي ألا يؤخذ بالعنف وهو يلين حتى مع خصمه ويهش في وجه من يكرهه . فكما انه يحسن معاملة كل انسان على اختلاف الدين واللسان يحب ان يعامل على هذه الصورة فإذا لم يلق مثل هذا من مخاطبه وعشيره وشريكه ينفر منه في باطنه ولا يظهر له عداوة ولا خصومة على الأغلب ، لأنه اشتهر برقة الحاشية واللطف والادب ، مثله في ذلك مثل ابن القاهرة لعهدنا وعلى منوال هذا ينسج الدمشقي فيما

Marfat.com

ينقصه من مقومات الحياة العصرية . ودمشق والقاهرة تتشابهان كثيراً . ولو كان لدمشق من ينظم شؤونها تنظيماً فنياً ويحمل جميع طبقاتها على مراعاة القوانين — وحب القانون يقـــل في أبنائها كما يكثر فيها العطف على المسيء يوم تحق عليه العقوبة — لجـــاء من مدينتهم أجمل مثال في العواصم العالمية :

وتشتهر النساء الدمشقيات بجمال طبيعتهن وحسن هندامهن ، ورقيق لهجتهن ، وهـــن في الاجمال ربات بيوت ومربيات اولاد عرفن بصبرهن وجرأتهن على الاغتراب ، واذا اغتربت الدمشقية كونت لها بيئة خاصة كأن تؤلف من بنات بلدها مجتمعاً وتطبع البيت الذي تدخله بطابعها من النظافة وحسن الادارة والاقتصاد على الأكثر ، ومنهن أوانس وعقائل رحلن الى القاصية وما نزلن عن مشخصاتهن بعد طويل الاغتراب ، ولا نسين أهلهن وديارهن ، ويزداد عطف الدمشقي على الدمشقي والدمشقية على الدمشقية كلما تناءت الديار التي صاروا اليها .

السيد كرد علي

نسخة مجانية

Marfat.com

في غار حراء

في غار حراء — وهو غار يقرب من ثلاثة امتار في مترين في قمة جبل على يسار السالك من مكة الى عرفة — كان محمد وهو في سن الاربعين قبيل الرسالة يتحنث فيه .

كان محمد في هذه الايام يألف العزلة ، « ولم يكن شيء أحب اليه من ان يخلو وحده » .

« وكان يخرج الى شعاب مكة وبطون اوديتها » .

« وكان يقضي شهراً مجاوراً في غار حراء » .

هكذا تقول كتب السيرة .

فيم كان يفكر ؟ ما الذي كان يطلب ؟ ما هي الحالة النفسية الجديدة التي استولت عليه ؟ وما الذي جعله يهرب من الناس وقد كان بهم انيساً ؟ يسعد بالوحدة ويسعى الى العزلة ولا يطمئن إلا الى نفسه وتفكيره . وما الذي جعله يختار قمة جبل يشرف منه على العالم حوله فتسبح نفسه في التفكير من غير ان يحدها حد أو يقف بها عند غاية ؟

ما هذه الأفكار التي كانت تملأ نفسه شهراً فلا يمل التفكير ، ولعله كان يود ان يبقى كذلك أشهراً لولا واجب أهله وواجب عشيرته ؟

ولكن هل لنا ان نتساءل هذه الاسئلة ؟ وإذا سألناها فهل في استطاعتنا ان نجيب عنها ؟ .

هل في استطاعة الجاهل أن يشرح افكار الفيلسوف ؟ وهل في مكنة من لا يحسن الرياضة ان يتخيل ما يفكر فيه الرياضي ؟ وهل للنملة ان تتساءل : فيم يفكر الانسان ؟ .

Marfat.com

ولكن ما حيلة الانسان وقد خلق طموحاً إلى أقصى حد وأبعد غاية ولم يقنع في باب المعرفة بشيء ؟ لم يقنع بالارض ففكر في السماء ولم يقنع بالظاهر ففكر في الباطن بل لم يقنع بآثار الله فأراد ان يعرف ذات الله وهيهات هيهات !

أكبر الظن ان « محمداً » في هـــذه الفترة ، وعلى الأخص في غار حراء كان في حيرة ما أشدها من حيرة عبر الله عنها بقوله (وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى) .

لقد عرف قومه فـــلم يعجبه دينهم ولا نوع حياتهم ولا كفرهم ولا ايمانهم ولا أخلاقهم ، وسافر الى الشام فرأى فيها مدنية الرومان بمالهـا وأعمالها التجارية وترفها ونعيمها ودينها الرسمي ومظاهره فلم يعجبه شيء من ذلك . لقـــد رآهم يعيشون كما يعيش السمك يأكل بعضه بعضاً او كما تعيش الذئاب والشياه في حظيرة واحدة . رحماك اللهم ! ما هـــذه الحيرة الشاملة ؟ لا البداوة بسذاجتها ونظامهـــا أعجبته ، ولا الحضارة بترفها وزخارفها أعجبته . لم يعجبه ما رأى من وثنية ولم يعجبه ما رأى من نصرانية . فأين الحق ؟ .

لقد اطمأن إلى شيء واحد هو ان كل مـا رأى ضلال وحيره شيء واحد هو سؤاله اين الهدى !

حالة نفسية إذا تملكت نفساً مرهفـــة وشعوراً دقيقاً ملكت نفسه وغمرت قلبه ، فحلا له ان يعتزل الناس لأنهم يحولون بينه وبين تفكيره ، ويقطعون عليه سلسلة مشاعره .

لقد جرب العزلة الساعة واليوم فوجدها تفتح قلبه وتريح نفسه ووجد فيها مفتاحاً لحيرته واتجاهاً لهدايته فبالغ فيه حتى بلغت الشهر !

ان الناس وضوضاءهم ومناظر حياتهم يضنون نفسه فليهرب منهم . وان منظر الطبيعة بجمالها وبهائها ورونقها ليحيي نفسه فيطمئن اليها .

Marfat.com

يتعاقب عليه في عزلته الليل والنهار فيجد في كل غذاء نفسه : هذا الليل في أعلى الجبل بسكونه وهدوئه وسمائه ونجومه ، والعالم حوله كله نائم وهو يناغي النجم ويشاطره الاضطراب والحيرة ، وهـــذا النهار — في أعلى الجبل أيضاً — يشرف منه على العالم من تحته فيهزأ بالناس وسخافاتهم هزءاً مشوباً برحمة ، واستخفافاً ممزوجاً بعطف .

كل ذلك وأكثر من ذلك كان يخفق له قلب محمد في غار حراء .

لقد عرف الباطل ويريـد ان يعرف الحق وأدرك الضلالة ويريد ان يدرك الهدى ولم يحب ماعليه الناس ولكن يريد ان يعرف ما ينبغي ان يكون عليه الناس .

هذا الظلام فأين النور ؟ وهذا العمى فأين البصر ؟ وهذا ما يجب الا يكون فأين ما يجب ان يكون ؟

لقد طلب الحق — في غار حراء — بعد ان تهيأت نفسه واستعدت روحه وكملت مشاعره وتوجت بالحيرة فكانت حيرتـــه ارهاصاً لليقين وضلاله ارهاصاً للهدى .

لم يطلب الحق من طريق الشعر فالشاعر يخلق ما لم يكن ولا يدرك ما يجب ان يكون والشاعر يغني لنفسه — اولاً — ولا بأس ان يسمع الناس والشاعر يعيش في جو خيالي يخلقه بنفسه لنفسه وليس هـذا من النبوة في قليل ولا كثير . ولم يطلب الحق من طريق الفلسفة او العلم فكلاهما عبد المنطق عبد الالفاظ عبد الكتب عبد النصوص . وقصارى امرهما انهما عبدان للعقل والعقل معيب مغرور مضل ولكل انسان عقله ولكل انسان تفكيره ولكل انسان منطقه وقضاياه .

انما طلب محمد الحق من طريق اسمى من ذلك كله وارفع من ذلك كله طلبه من طريق القلب وأعلن انه لم يطلب علماً ولكن طلب ايماناً فأعلن انه امي وفخر بأميته لان القلب فوق اللغة وفوق الكتابة والقراءة

Marfat.com

وفوق العلوم وفوق المنطق وهو القدر المشترك بين الناس لا يؤمن بحدود اللغة والجنس ولا يؤمن بحدود اللسان والالوان .

من أجل هذا لم يذهب — وقد حار — الى معلم يعلمه الكتاب ، ولا الى مثقف بالكتب والاديان وانما فضل على ذلك كله غار حراء حيث الطبيعة — على فطرتها — مفتوحة امـــام قلبه وحيث يتصل هو وهي بربها وربه .

لقد اهتدي الى الصراط المستقيم واتجه اتجاه الانبياء لا اتجاه الشعراء والعلماء وتهيأ للأمر العظيم فلمعت في قلبه الشرارة الالهية كما يتهيأ السحاب فيلمع البرق .

لقد اضاءت له هذه الشرارة الإلهية كل شيء وكانت رسالتـــه من جنس هدايته فرسالته ان يبعث الحياة في القلب ويبعث الضوء الى النفس كالقمر يستمد نوره من الشمس ثم يعكس أشعته الجميلة عـــلى الناس يشترك في الاهتداء به العالم والجاهل والذكي والغبي والفيلسوف والعامي على اختلاف فيما بينهم لان لديهم جميعاً قـــدراً مشتركاً من القلب صالحاً للاهتداء .

وليست العقول مسايرة في الرقي والانحطاط للقلوب فقد يكون مريض القلب صحيح العقل وقـــد يكون صحيح القلب مريض العقل . ومقياس صحة الاستفادة من النبوة صحة القلب لا صحة العقل فلذلك آمن بلال قبل ان يؤمن عمرو بن العاص وأسلمت جارية بني مؤمل قبل ان يسلم أبو سفيان .

كانت فترة غـــار حراء الحد الفاصل بين محمد بشراً ومحمد بشراً رسولاً لقد صعد اليه انساناً حائراً وهبط منه انساناً نبياً مهتدياً مطمئناً لمع في قلبه النور الإلهي فاذا كل شيء حوله شفاف يراه بقلبه ويكشفه

Marfat.com

بنـــوره .

نزل من الغار يدعو الناس ان يستضيئوا بضوئه وان يحيوا قلوبهم من حياة قلبه وان يسمعوا لصوت الله على لسانه وان يروا عظمة الله في كل أثر من آثاره .

أي شهر كان هذا الشهر ؟ لو وزن به الزمان لوزنه . وأي مكان غار حراء ؟ لو فاضل كل مكان لفضله .

احمد امين

Marfat.com

خولة بنت الازور

في السنة الثالثة عشرة للهجرة يعزم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفتح الشام فيجمع الصحابة ويخطبهم قائلا : « وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عول ان يصرف همته الى الشام فقبضه الله اليه ، واختار له ما لديه ألا واني عازم ان اوجه ابطال المسلمين الى الشام بأهليهم ومالهم ، فماذا ترون ؟ فلا يرى من المسلمين الا ارتياحاً فيعمد الى بقية الأمصار الاسلامية من أطراف الجزيرة فيكتب اليهم بالامر ويستفزهم خفافاً وثقالاً ليجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وما هي إلا اسابيع حتى تقدم عليه الوفود في العدد العديد والذراري والأموال فيخرج اليهم المسلمون مستقبلين بوجوه باسمة وقلوب جذلانـــة ، ويعم المدينة روح مبارك ، وكيف لا والمسلمون يجتمعون كلهم في صعيـــد واحد لنصرة دين الله ورفعة شأن التوحيد .

ها هي ذي حِمير بدروعها الداوية وسيوفها الهندوية تزحف بآلافها المؤلفة وعلى رأسها زعيمهـــا ذو الكلاع الحميري يكبر ويهلل والقوم من ورائه يكبرون ويهللون ، وها هي ذي كتائب مذحج وطيء والازد وكنانة بخيولها العتيقة ، ورماحها الدقيقة تؤم عاصمة الاسلام ، فما ان يراهم ابو بكر حتى يخر لله شاكراً أن الف من هذه القبائل المتنافرة امة واحدة نزع الله ما في قلوبها من غل وجعلهم بنعمته اخواناً ينصرون دينه وينشرون رسالة نبيه في أطراف المعمورة .

اجتمعت هذه الآلاف العديدة فعسكرت خارج المدينة تنتظر اشارة ابي بكر خليفة رسول الله ، وما أن تكاملت الوفود حتى خرج اليهم

Marfat.com

رضوان الله عليه في جمهرة مـــن كبار الصحابة ، فما ان أشرف عليهم من عل ورآهم قد ملأوا السهول والجبال حتى حمد الله وقال : « اللهم انزل عليهم النصر وأيـــدهم ولا تسلمهم الى عدوك انك على كل شيء قدير » .

ثم أمر الأمراء وعقد الألوية وأوصاهم وصيته الخالدة وفيها يقول : « شاورهم في الامر واستعمل العدل فانه لا أفلح قوم ظلموا واذا لقيتم العدو فلا تولوهم الادبار ، واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلا ، ولا تغدروا اذا عاهدتم ، وستمرون على قوم في الصوامع رهباناً يزعمون انهم ترهبوا في الله فلا تهدموا صوامعهم ودعوهم » فآمن القوم وهللوا فدوت بأصواتهم الجبال ثم ساروا على يمن الله وسار الخليفة وكبار الصحابة يودعونهم حتى ثنية الوداع .

سار القوم وكلهم ايمان وصبر وعزيمة وحزم وطاعة لامرائهم وجلد على السير وتواد وتعاطف .

كان في هذا القوم شاب كندي ما جاوز العقد الثالث جميل المحيـا عالم بفنون الحرب فاتك في النزال قوي الايمان بنصرة الله عباده المخلصين لا يعرف الا الاقدام يتقدم الجيوش والمنية مشهرة سهامها ذلك هو الامير « ضرار بن الازور الكندي » الشاب الحدث الذي ما اغنى غناءه بطل في فتوح الشام الا سيد القواد سيف الله خالداً .

وكان في الغازيات اللائي كنّ يتبعن هذا الجيش كاعب عروب ذات جمال باهر وطرف فاتر خرجت فيمن خرجن من عقائل حمير تأسو الجرحى وتعين على نصرة الحق . ولقد ابلت بلاء مغاوير الابطال فكان هـــذا الغزال الغرير ينقلب الى اسد كاسر يصلي العدا ناراً حامية يروع القلوب وتجف من هوله الافئدة ولمَ لا وهي ابنة (الازور) ذلك البطل الذي قضى بين يدي المصطفى دفاعاً عنه ، واخت ضرار صاحب فتوح الشام ؟

Marfat.com

المسلمون يحاصرون دمشق وأهلها في أشد الضيق وبينا المسلمون يكادون يظفرون بالقوم اذا هم برسول من قائد جند اجنادين يخبر خالداً ان الروم تجمعوا عليهم في اجنادين في عدد عديد فيشاور خالد ابا عبيدة في ترك دمشق فلا يرى ذلك ابو عبيدة فيقول خالد « فأرى ان ترسل اليهم كتيبة عليها قائد درب وأرى ان ترسل اليهم يا امين الأمة رجلاً لا يخاف الموت ابداً خبيراً بلقاء الرجال قد مات ابوه في القتال فقال ابو عبيدة ومن ذلك يا ابا سليمان ؟ قال هو ضرار بن الازور بن طارق فقال ابو عبيدة لقد صدقت ووصفت رجلاً باذلاً معروفاً » .

استدعى خالد ضراراً فقال له يا ابن الازور اريد ان اقدمك على خمسة آلاف قد باعوا أنفسهم من الله عز وجل واختاروا دار البقاء والآخرة على الاولى فقال ضرار : « وافرحتاه يا ابن الوليد ما دخل قلبي مسرة اعظم من هذه ثم يسير ضرار على يمن الرحمن فلما بلغ اجنادين رأى جيش الروم ينحدر كأنه الجراد المنتشر وهم غائصون في الدروع وقد اشرقت الشمس عليهم فلمعت دروعهم وخوذهم فقال اصحاب رسول الله لضرار: « ما لنا والله بهم حول، فان هؤلاء جيش عرمرم خير لنا ان نقفل » فيكره ضرار ذلك القول ويقول : « والله لا يراني الله منهزماً ولن ازال اضرب بسيفي في سبيله واتبع سبيل من اناب اليه ولا اوليهم الدبر والله يقول : وَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ » ثم تكلم رافع بن عميرة فقال « يا قوم اما نصركم الله في مواطن كثيرة وانتم قليلو العدد ؟ الا ان النصر مقرون مع الصبر ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قال قوم طالوت : رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ »

Marfat.com

فيسترد القوم قواهم ويهللون ويكبرون « الله اكبر الله اكبر سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ » .

التقى الجمعان وضرار يتقدم القوم وهو يرتجز:

الموت حق اين لي منه المفر وجنة الفردوس خير المستقر
هذا قتالي فاشهدوا يا من حضر وكل هذا في رضا رب البشر

ثم اخترق القوم وحمل عليهم حملة نكراء فأحدقوا به فأخذ يستصرخ قومه ويقول « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ » فيهجم المسلمون ويصيب ضراراً سهم في عضده فيطمع الروم فيه ويحملون عليه فيأسرونه ويجيء خالداً الصريخ فيولي على جند دمشق ميسرة بن مسروق سيد بني عبس ويتوجه بطليعة الى اجنادين وكان بين جنده فارس على جواد فاره وبيده رمح طويلة تجلبب بجلابيب سود وتلثم حتى لا يرى منه الا الحدق وكان يسبق القوم وخالد يعجب من أمره فلما ان أدرك خالد المسلمين في اجنادين وجد هذا الفارس الملثم يهبط على الروم كأنه النار المحرقة فزعزع الكتائب وحطم الاجناد وكان يخترق قلب خميس الروم فما هي الا جولة جائل حتى يخرج وسنانه ملطخ بالدماء وقد جندل رجالاً وصرع ابطالاً ثم يعود فيخرق القوم ثانية معرضاً نفسه للهلاك والناس امامه اما مصروع او فار وكثر قلق المسلمين عليه وهم لا يدرون من هو — وقد ظنه بعضهم خالداً فما هي الا جولات خالد — ولما رأوا خالداً بينهم سألوه عنه فقال انا والله لأشد انكاراً وتعجباً .

وما ان غابت الشمس ووقفت الحرب حتى تحدق القوم بهذا الفارس وفيهم خالد يسألونه عن اسمه فلا يجيب ثم ينحني بخالد زاوية فيقول له « ما سكت يا سيف الله حين سألتموني عن اسمي الا حياء منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الحجال وانما حملني على ذلك اني محرقة الكبد

Marfat.com

زائدة الكبد . فقال : من أنت ؟ قالت : خولة بنت الازور اخت ضرار أسير الروم أتاني آت بخبر أخي فركبت وفعلت ما فعلت .

أشرقت الشمس فجـــدد المسلمون عزائمهم وكروا على الروم وحملوا حملة عظم أمرها على الروم ، وكانت خولة تجول في كل مكان تطلب أخاها وهي لا ترى له أثراً ولا يراه أحد من المسلمين فيعم القوم حزن شديد وتبكيه بقولها : « يا ابن امي ليت شعري في أي البيداء طرحوك أم بأي سنان طعنوك يا اخي اختك لك الفداء . ليت شعري ، أتراني أراك بعدها أبداً ؟ فقد تركت في قلب اختك جمرة لا يخمد لهبها ولا يطفأ ، فعليك مني السلام الى يوم اللقاء ، فبكى القوم وبكى خالد لحالها ، وبينا المسلمون في شدة واضطراب اذا هم بمـن يخبرها بأن الروم أخذوا ضراراً إلى صاحب حمص لينفذه الى الملك ، ففرح خالد وتهلل وجهه وشكرت خولة الله فدعا خالد رافع بن عمرة الطائي لينفذه إلى حمص ، فسار خالد في مئة منهم خولة فما وصل القوم قرب حمص حتى كمنوا فبينا هم كذلك إذا بنفر أقبلوا فنبه رافع قومه فلما قاربوهم كر عليهم رافع فاذا فيهم ضرار فتجالد الفريقان حتى أنقذ ضرار فخرت خولة لله شكراً وشكر خالد لرافع بلاءه .

هـــذا موقف من مواقف بسالتها الخالدات ، وما موقفها يوم اسر النساء في يوم صحورا والناس يغزون الشام بالأمر الذي ينسى . فقد ذكر الطبري انها أسرت في فريق من نسوة حمير فجمعتهن وخطبتهن تستحثهن على الثورة عـــلى هؤلاء الاعلاج فقالت : « يا بنات حمير وبقية تبع أترتضين لأنفسكن علوج الروم وان يكون اولادكن عبيداً لأهل الشرك ، فأين شجاعتكن التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب ولا أراكن الا بمعزل عن ذلك واني أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب وما نزل بكن

Marfat.com

من خدمة الروم الكلاب » فقالت عفراء بنت غفار الحميري « صدقت والله يا بنت الازور ، نحن والله في الشجاعة كما ذكرت وفي البراعة كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام ، ولقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل ، غير ان السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت ، ولقد دهمنا العدو على حين غرة وما نحن إلا كالغنم بدون سلاح » فقالت خولة : « يا بنات التبابعة خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب نحمل بها على هؤلاء فلعل الله ينصرنا فنستريح من المعرة » فقالت عفراء : « والله ما دعوت الا ما هو أحب الينا » ثم تناولن الأعمدة وتقدمتهن خولة وهي تقول لهن لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة واوسعن ارجل افراس القوم ضرباً ولا تتفرقن فيقع بكن التشتيت ثم هجمت وهي تقول :

نحن بنات تبع وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر
لاننا في الحرب نار تسعر اليوم تسقون العذاب الاكبر

وما هي إلا جولات حتى خلصن إلى المسلمين .

هذان موقفان من مواقف البطولة في هذه المرأة العربية المسلمة ولقد كان لها رضوان الله عليها مواطن أخر غر صالحات جعل الله منها اسوة حسنة لمرأة اليوم هداها الله أقوم طريق .

محمد اسعد

Marfat.com

الذبابة اخطر من القنبلة الذرية

يقتل الذباب آلافاً من الاطفال كل عام ، ويميت او يضعف عدداً غير قليل من البالغـــين ، ويهلك ملايين الحيوانات ، ويرجع ذلك الى كثرة أنواعه ، وتعدد أفراده ، وانه من أقدر الحشرات على حمل جراثيم الامراض .

وقد حير أكفأ العلماء المختصين في مكافحة الحشرات ، وخيب آمالهم إذ سخر من سلاحهم العجيب المرموز اليه بعض حروف الهجاء « د.د.ت » والذي حسبوه أشد عدو له .

ولقد كان هذا السلاح فتاكاً أول ظهوره ، ورشت به من الجو مدن بأكملها فلم تبق فيها ذبابة واحدة حية . أما اليوم فذباب البيت يستطيع ان يتناول من هذا السم ما يشأ آمناً (١) .

وأمر الذبابة عجيب ، فعلى الرغم من ان العلمـــاء ظلوا عدة قرون يدرسون شؤونها فإنهم لم يستطيعوا حتى اليوم ان يكشفوا كثيراً من أسرارها ، ولم يعرف أحد منهم على وجه التأكد كثيراً من خصائصها ، كطريقة الرؤية والشم والذوق والنوم . كيف ترى ؟ وهل تسمع وتشم وتنام ؟ وكيف تجد طعامها وتختار رفاقها ، وتدافع عن نفسها ، وتطير الى غايتها ؟.. وما الى ذلك من معلومات .

ومما يعرف عن الذبابة الآن انها تحمل جراثيم شلل الاطفال ، ففي أحد الاختبارات ، وقفت ذبابة ملوثة على قطعة من الموز ، ثم قدمت

---

(١) ذلك ان الانواع التي هلكت تركت اجيالا مرنت على احتمال ذلك السم شيئاً فشيئاً حتى صارت لا تتأثر به .

Marfat.com

القطعة لقرد في طعامه ، فأصيب بالمرض .

كذلك يعرف انها تحمل جراثيم الرمد والاسهال وكثيراً من امراض الصيف القاتلة ، وان طرفي قدميها اللزجين يحملان آلاف الآلاف من الجراثيم المختلفة من بينها جرثومة الجمرة و (الكوليرا) و (التيفود) والسل وغيرها، وهي تسبب للزارعين خسائر فادحة بما تنقله من جراثيم تفتك بالنباتات والماشية .

وفي وسط افريقية وغربها مساحات تتسع لحياة نحو مائتي مليون من الأنفس . ولكنها بسبب انتشار الذباب تكاد تكون مهجورة . والذبابة التي تنقل مرض النوم [1] منتشرة انتشاراً كبيراً في نيجيريا ، وتنشر مرضاً خطيراً آخر يفتك بالماشية في وقت قصير .

ومن أنواع الذباب الغريبة ، نوع متأنق يعيش على دم الحمام وحده ، فيهجم على صغاره وهي في العش ، وينقل اليها اثناء امتصاص دمها نوعاً معيناً من الحمى ، وثمة ذباب لا أجنحة له ، يظهر في منتصف الشتاء ببعض الجهات الاوروبية والامريكية . وهناك نوع آخر صغير يستطيع ان ينفذ من فتحات أدق شبكة للبعوض وفي منطقة (الامازون) وبعض انحاء استراليا نوع يبلغ من الكبر حداً يخيف العصافير ، ويبلغ طول جناحيه عند بسطها ثلاث بوصات .

والذبابة تستطيع ان تعيش في كل مكان تقريباً ... بل انها قد تعيش وتتناسل داخل الجهاز الهضمي لبعض الناس والحيوانات . وقد حفظت انواع منها في داخل زجاجات صغيرة محكمة الاغلاق . فأتمت دورة حياتها وتناسلت وهي محبوسة . ولكن اكثر الانواع ينمو في الجو الدافىء ويقتله البرد ولا سيما البرد المفاجىء ، وتضع الذبابة نحو مائة وثلاثين بيضة في المرة الواحدة تفقس بعد يومين منتجة ديداناً صغيرة تسمى : يرقات

---

(١) وهي المعروفة باسم (تسي تسي)

Marfat.com

تبقى في القاذورات والسماد وغيره من الفضلات نحو اسبوعين ، تستكمل فيها النمو ولا تلبث بعدهما ان تضع كل ذبابة من النشء الجديد بيضاً آخر ، وهكذا .

وبعض أنواع الذباب اللاذع له خرطوم حاد يخترق الجلد . اما ذبابة البيت فليست لها اسنان ، ولا تقوى الا على تناول الأطعمة السائلة . أما الأطعمة الصلبة — كالسكر والحلوى — فإنها تذيبها بأن تتقيأ عليها ثم تمتصها .

ومعظم أنواع الذباب يستجم [١] اثناء الليل . ويستطيع ان يرتكز على الأسقف والحبال وما اليها بفضل المادة اللزجة التي في أطرافه . ويحتفظ بتوازنه اثناء طيرانه بمعاونة عضوين صغيرين ، يبرزان على جانبي الصدر ويمتلئان بالدم اثناء الطيران ، فإذا تلف أحد هذين العضوين فإن الحشرة تسقط وتصطدم بالأرض . ولم يمكن قياس سرعة طيران الذبابة على وجه الدقة ، ولكنها بغير شك تفوق في سرعتها أكثر الطيور والحشرات المعروفة ، فهي تحرك جناحيها الى اعلى ثلاثمائة مرة في الثانية ، على حين لا تزيد هذه المرات في حالات تلك الطيور على ثمانين مرة .

ومعظم الذباب يؤذي النبات أكثر مما يفيده .. فبعضه يؤذي سيقان القمح ويسبب تغضنها قبل نضجها . وبعضه يؤذي نبات القرنبيط . والكرنب ، وسيقان الباذنجان . ويرقات الذباب لا تقل خطراً عن الذباب . ولها عدة اشكال ، ولكنها في الغالب تبدو في صورة ديدان صغيرة لا رأس لها ، وقد يكون لها ما يشبه الشص [٢] يمكنها من لدغ جسم الانسان أو غيره ، ولبعضها ذيل طويل يشبه ذيل الفأر ، ولكنه مجوف ، ووظيفته تمكين اليرقة من التنفس تحت الماء .. ومن خصائص يرقة الذباب انها تستطيع

---

(١) يستريح . (٢) السنارة .

Marfat.com

ان تكيف نفسها على حسب البيئة التي تعيش فيها ، فنوع منها يعيش في آبار النفط ، ونوع في الينابيع الحارة ، وآخر يعيش وهو مدفون في الأرض على عمق سبع عشرة بوصة . وقد استطاعت يرقة ذباب ان تبقى حية بعد غمسها ساعة أو بعض ساعات في سائل قتال (١) .

ومن اليرقات نوع يثقب جلد الانسان تاركاً الطرف العلوي في خارج الجلد كأنه انبوبة للتنفس ، ويبقى هكذا اياماً أو اسابيع ناعماً هانئاً . وبعض يرقات الذباب تلتصق بالجروح والاماكن الملتهبة في الأنف والأذنين وفي بعض المناطق الزراعية يتعذر تسمين الماشية في الصيف بسبب الذباب الذي يعيش على دمائها . وقد وجد ان الثور الواحد — في هذه المناطق قد يفقد خلال أربعة اشهر ما بين ثلاثين وسبعين رطلاً برغم ما كان يقدم له من علف كثير .

هذا وقد وصل العلماء الى عقار (٢) جديد يبيد الذباب ويفتك به ولكنهم لم يعرضوه في الأسواق لأنهم لا يزالون يجربون آثاره ونتائجه كي يطمئنوا إلى خلوه مما يضر الانسان أو غيره من سائر انواع الحيوان والنبات .

على ان العقار الجديد وغيره من العقاقير الفتاكة بالحشرات لن يستطيع القضاء على ذلك العدو الخطير إلا اذا حرصنا على النظافة أشد الحرص ، والتزمناها في كل شؤوننا . وحرمنا الذباب طعامه — وبخاصة في مراحل حياته الاولى — ومنعناه ان يصل الى ذلك الطعام بالوسائل الناجعة ، وفي مقدمتها النظافة ، ولم نسمح له أن يسقط على أجسامنا وثيابنا وكل شيء يتعلق بنا جهد الاستطاعة .

من مجلة الهلال

بتصرف

---

(١) استطاعت ذبابة ان تعيش ساعة في محلول يحتوي على ٩٥ بالمئة من الكحول أما في محلول السليماني والتربنتين وحامض الكلوردريك فقد عاشت أقل من ذلك . (٢) دواء .

Marfat.com

ابن بطوطة

اخذت فئة من المسلمين تجوب اقطار الاسلام وتطوف في بلدانه وترحل الى مختلف نواحيه بعد انفساح رقعة الخلافة الاسلامية وترامي اطرافها من حدود الهند شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ومن اواسط آسيا شمالاً الى صحارى افريقيا جنوباً .

وقد دأبت هذه الفئة على الرحلة منذ القرن الثالث الهجري وكان لهذه الرحلات اسباب ودوافع يمكن حصرها في ثلاثة : الأول الباعث السياسي الذي حدا بالخلفاء في بغداد ان يوفدوا مبعوثيهم وسفراءهم الى البلاد الاسلامية المختلفة لدراسة احوالها وتطبيق احكام الشريعة بين سكانها ووصف الطرق والمسالك المؤدية اليها وتوثيق الروابط بين السلطة المركزية في بغداد وحكام الأقاليم التابعة لها من سلاطين وأمراء وقد اقتصرت هذه الرحلات على الممالك الاسلامية وحدها .

الباعث الثاني تجاري قام به نفر من التجار المسلمين وغير المسلمين ابتغاء اسباب الرزق ، وسعياً وراء الكسب ولذلك لم تقتصر رحلات هذا النفر على التجوال في الأقطار الاسلامية بل تجاوزتها الى الممالك المجاورة .

الباعث الثالث ديني وهو اداء فريضة الحج الذي اتاح لكثير من الحجاج مشاهدة المناطق المختلفة والاقطار المتعددة ووصف ما شاهدوا في طريق ذهابهم وإيابهم وهذا الباعث هو الذي دفع بن بطوطة للرحلة .

وقد كتب اولئك الجوّابون طائفة من الكتب والمؤلفات عما شاهدوه من احوال البلاد التي زاروها وتحديد مواقعها وصفات اهلها كمعجم البلدان لياقوت ، ومروج الذهب للمسعودي ، ومن هؤلاء الجوابين ابن

Marfat.com

بطوطة الذي ولد بمدينة طنجة في السابع عشر من رجب سنة ٧٠٣ هـ ١٣٠٤ م . ويسمى محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي ويكنى بأبي عبد الله ويلقب بشمس الدين ويعرف بابن بطوطة .

وقد حباه والداه بالعطف والحنان ، ونشرا عليه اجنحة المحبة والمودة وهو ينحدر من اسرة كريمة المحتد طيبة العنصر اشتغلت بعلوم الشريعة الاسلامية فترة طويلة من الزمان وأتاح ذلك لابن بطوطة فيما بعد ان يدرس العلوم الشرعية ويتفقه في الدين الى جانب دراسته للادب وفنونه . وظل ينعم بين والديه واسرته بطيب العيش وطمأنينة النفس لا يفكر في مفارقة وطنه والبعد عن والديه اللذين يكنّ لهما أصدق الحب الى ان بلغ الثانية والعشرين من عمره حيث دعاه داعي الحج الى البيت الحرام فلبى دعوته ، وكان ذلك تحولاً غيّر مجرى حياته وحبب اليه الأسفار ومواصلة الرحلات غير آبه بما يواجهه من صعاب ينتقل من قطر الى آخر ومن قارة الى اخرى ، ويصف ما رأى من بلاد واحوال ومشاهد وصفاً فيه الدقة التي خلدته في ميدان الرحلات بعد ان سبقه اليها عدد من الجوابين .

وفي سنة ١٣٧٧ م لبى نداء ربه في بلاد فارس بعد ان عاش نيفاً وسبعين سنة جاب خلالها اقطار المعمورة ، وقدم لنا ثمار رحلاته .

وقد رحل ابن بطوطة ثلاث رحلات امتصت الأولى من حياته أربعة وعشرين عاماً حج فيها اربع مرات في ازمنة متعاقبة ، وفي هذه الرحلة التي بدأها للحج غادر بلدة طنجة سنة ١٣٢٥ م ماراً بمراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومصر ثم قصد عيذاب على البحر الاحمر ماراً ببلاد الصعيد ليعبر البحر ، ولكنه لم يتمكن من عبوره لحرب قائمة يومئذ بين المماليك والبجاه مما اضطره للعودة الى الفسطاط والرحيل عنها الى فلسطين ولبنان وسوريا والحجاز حيث حج حجته الأولى التي سافر بعدها من مكة إلى بلاد العراق والعجم والأناضول ، ثم عاد لمكة حيث

Marfat.com

حج حجته الثانية وأقام بها عامين غادرها بعدهما قاصداً اليمن وعابراً البحر إلى افريقيا الشرقية وعاد منهـا ماراً بجنوبي جزيرة العرب حيث زار عمان والبحرين والاحساء ثم رجع الى مكة وحج للمرة الثالثة وخرج منها إلى بلاد الهند ماراً بخوارزم وخراسان وتركستان وكابل والسند ومر في عودته بجزيرة سرنديب وجزر الهند والصين ومن هناك عاد الى بلاد الغرب عـن طريق سومطرة وزار بلاد العجم والعراق وسوريا وفلسطين ومنها إلى مكة حيث أدى فريضة الحج للمرة الرابعة وعاد لوطنه ماراً في طريق عودته بمصر وتونس والجزائر ومراكش ووصل مدينـــة فاس سنة ١٣٤٩ م ، امـا رحلته الثانية فكانت من فاس إلى بلاد الاندلس ماراً بطنجة وجبل طارق وغرناطة التي عاد منها إلى فاس ثانية .

وكانت رحلته الثالثة للسودان وقد ابتدأها بسجلماسة ثم تفارا ومالي وراغري وكارسخو وتمبكتو وتكدا وهكار ومن هناك رجع إلى فاس .

اتصل ابن بطوطة بالسلطان ابن عنان من بني مرين سلطان فاس ، وأقام في حاشيته يحدث الناس بما رأى من عجائب الاسفار وهم يعجبون من ذلك ، ولما علم السلطان برحلة ابن بطوطة وما ينقله عن البلاد التي زارها من طرائف الاخبار امر كاتبه محمد بن جزي الكلبي بكتابة ما يمليه عليه الشيخ ابن بطوطة وقد انتهى من كتابتها سنة ١٣٥٦ م وسماها (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) .

وللرحلة قيمة علمية كبيرة وخصوصاً في الناحية الجغرافية ، اذ ألقت أضواء على كثير من الاماكن والبلدان أنارت جوانبها وحددت مواقعها ، وقد اعترف بأهميتها عدد من رجال الغرب في مقدمتهم الرحالة الشهير العالم (سيتزن) اذ قال : « اي سائح اوروبي يمكن ان يفتخر بأنه قضى من الزمان ما قضاه ابن بطوطة في البحث لكشف المجهول مـــن احوال هذا العدد الكثير من البلدان السحيقة وتحمل من مشاق الاسفار ما

Marfat.com

تحمله بصبر وثبات وشجاعة . بل اي امة اوروبية كان يمكنها منذ خمسة قرون ان تجد من ابنائها من يجوب البلاد الاجنبية وفيه من الاستقلال بالحكم والقدرة على الملاحظة والدقة في الكتابة ما لهذا الرحالة العظيم .

ان ما جاء به من المعلومات الصحيحة عن جهات افريقيا المجهولة لا يقل في فائدته عن معلومات (لاون) الافريقي .

هذه لمحة خاطفة عن حياة ابن بطوطة ورحلاته لعلها تكون قـــد ألفت بعض الاضواء على هـذه الشخصية العظيمة التي صعدت بها همتها الى مصاف الخالدين .

كامل السوافيري

باختصار

Marfat.com

وفاء نادر

عرف الانسان فضيلة الوفاء من أقدم عصوره ، وأدرك عميق أثرها في حياته ، فأحلها مكانا رفيعاً بين الفضائل ، ورفع صاحبها مقاماً محموداً بين الناس ، واضفى [1] عليه ضروباً [2] من التقدير والاكبار ترضيه ، بل تغريه بالاستزادة ، وتدفع غيره الى محاكاته [3] .

ولا غرو [4] ، فإن طاعة الله ، وشكر المنعم ، والاعتراف بالجميل ، ومقابلة الاحسان بالاحسان ، واداء الأمانات ، واحترام العهود والمواثيق — كل اولئك مظهر من الوفاء واثر من آثاره .

وليست فضيلة الوفاء مقصورة على الانسان ، بل يشركه فيها صنوف من الحيوان الأعجم ، اليفه ، ووحشيه ، مستأنسه [5] ، وبريه [6] ، ولكن على تفاوت واختلاف ، وبعض الحيوان الاليف قد يكون أشد حرصاً وأقوى تمسكاً بالوفاء من الانسان ، والكلب خير مثل على ذلك ، والكلام عنه من هذه الناحية لا ينفد [7] فقصص وفائه تجري على كل لسان ، وكلها ممتع [8] ، شائق [9] .

ولكنها — على كثرتها وطرافتها [10] — لا تبلغ في الروعة [11] والتأثير مبلغ قصة الرحالة الالماني مع كلبه الأمين .

فقد تناقلت الصحف منذ عهد قريب أخبار فتى الماني ولم بالمخاطرة

«١» افاض «٢» انواعا ، المفرد : ضرب . «٣» مجاراته والتشبه به . «٤» لاغرو لا عجب ولا غرابة . «٥» اليفه . «٦» وحشية . «٧» لا ينفد : لا ينتهي . «٨» شائق معجب . «٩» جذاب مرغوب فيه . «١٠» جمالها ، «١١» شدة تأثيرها الذي يعجب النفس ويرضيها .

Marfat.com

وحب الرحلات ، والتنقل بين الصحارى والمجاهل [١] لا يصحبه فيها الا عزمه ، وشجاعته ، وبعض السلاح والمؤونة . وفي احدى مغامراته [٢] ببعض الصحارى الاستوائية مر بذئبة ترضع جروا [٣] مع صغارها . فلما ابصرته هربت بالجرو والصغار الى اكمة [٤] بعيدة مأمونة . وواصل الفتى مسيره الى غايته ، يجوب الصحراء في حذر ، ويكشف من اسرارها ما يستطيع . وقضى في جوفها عشرة ايام عاد بعدها الى العمران : وفي طريق عودته مر بالأكمة . وشاهد الجرو بعيداً منها ، فاحتال عليه ، واختطفه مسرعاً قبل ان تدركه الذئاب ، وصار يطعمه ويسقيه ويبالغ في اكرامه يوماً بعد يوم حتى اطمأن الكلب اليه ، وآنس به ، ولازمه في غدوته [٥] وروحته [٦] ، وظعنه [٧] واقامته .

ولما عاد الفتى الى المانيا حمله معه ، وأسكنه في داره باحدى المقاطعات الشمالية . وازداد فرح الفتى به اذ وجد انيساً يسلي وحدته في داره التي لا يساكنه فيها احد ، ورفيقاً موافقاً في الاسفار ، وخادماً مطيعاً ، وحارساً يقظاً أميناً .

ثم تزوج الفتى ، فبرزت مزايا الكلب اوضح مما كانت ، وبدا من كريم خلاله ما كان كامناً [٨] ، فاستعان به الزوجان في نقل البضائع الخفيفة من المتاجر الى البيت ، وتوصيل الرسائل الى الاصدقاء ، وحراسة البيت عند خروجهما ، وتسلم بطاقات الزوار ، وحفظها حتى يعودا ، وجر عربة وليدهما بعد ان رزقا بأول مولود . وكلما مرت الايام زادت الثقة فيه وقويت الصلة والالفة بينه وبين اصحابه ، ولا سيما بعد ان نجح الفتى في تدريبه على بعض المهام البيتية الاخرى ، كأن يسرع الى

---

(١) الارض التي لا علامة فيها ترشد المسافر ولا شيء فيها يهديه (كالصحارى الواسعة الخالية) المفرد : مجهل . (٢) مخاطراته أي تعرضه للاهوال والمهالك . (٣) كلباً صغيراً (٤) تل ، او كومة من الحجارة ونحوها . (٥) ذهابه . (٦) رجوعه . (٧) سفره (٨) خافياً .

Marfat.com

الطفل اذا بكى ، ويهز سريره حتى يكف عـــن البكاء ، ويغطيه اذا سقط عنه الغطاء ويلازم حجرته اذا خرج والداه .

وقد مرن [١] الكلب على هذا كله ، وبرع فيه ، حتى كان الوالدان يغيبان عن البيت ساعات طويلة ووليدهما في حراسة الكلب ، ورعايته.

وذات يوم خرجـــا الى ضاحية نائية [٢] وتركا طفلهما مع حارسه ورفيقه ، ثم عادا بعد ساعات ليريا شر ما يراه ابوان ، وأقسى ما تقع عليه اعينهما ، فقد دخلا الدار هـــادئين ، مطمئنين كعادتهما ، متلهفين على رؤية طفلهما وكلبهما ، ولكنهما توقعا [٣] شراً حين اختفى الكلب عنهما فلم يرياه ، ورابهما [٤] انه لم يهرع [٥] لاستقبالهـــما ، ولم يستجب لصفيرهما كعادته حـــين يدعوانه بالصفير . فاستبدت [٦] بهما الشكوك والمخاوف ، واسرعا الى حجرة الرضيع فاذا الكلب يطل من تحت الفراش بفم احمر ملوث بدماء قانية [٧] غضة ، وعنق مضرج [٨] بالدماء ، ورأس منكس [٩] ، وطرف حسير [١٠] . فأدركا من فورهما [١١] ان الكلب قد خانهما، وغـــدر بابنهما فوقعت الام مغشياً عليها ، وآمن الفتى بأن الطبع السيء غلاب ينحدر من الاصول الى الفروع ، وان رضيع الذئاب لا بد ان يتخلق بأخلاق الذئاب ولو الى حين ، وتلفت حوله فرأى على مقربة منه فأساً ضخمة ، فالتقطها بغير وعي وهوى [١٢] بها في غيظ وعنف على رأس الكلب حتى غيب نصلها فيه ، وتركه يئن انـــين المحتضر [١٣] ويلفظ انفاسه في آهات [١٤] مجرحة وغمغمة [١٥] كأنهـــا

---

(١) تدرب وتعود وداوم (٢) نائية : بعيدة . (٣) انتظرا وترقبا
(٤) ادخل الريب (أي الشك) في نفسيهما . (٥) لم يهرع : لم يسرع . (٦) استولت
(٧) شديـــد الحمرة . (٨) مصبوغ بالحمرة . (٩) منخفض . (١٠) منكسر متعب .
(١١) في الحال من غير مهلة . (١٢) هوى بها : انزلها والمراد ضرب بها . (١٣) الذي يلفظ روحه ويودع الحياة والفعل احتضر . (١٤) المراد انه كان يتألم كما يتألم المجروح الذي ينطق بكلمة (آه) مقطعة مجزأة . (١٥) اصوات غير مفهومة .

Marfat.com

البكاء المكتوم ، ونظرات ذابلة يديرها في سيده كأنما يودعه الوداع الاخير .

ولم يكد الفتى يجهز [١] عليه بضربته حتى سمع الوليد يبكي تحت الغطاء فانتزعه من فراشه ، فرأى ثيابه ممزقة ، قد تناثرت عليها بقع الدماء ، ولكنه صحيح معافى [٢] ، يهش [٣] للقـــاء والده ، ويضحك لرؤيته ، فخر الفتى صعقاً [٤] وارتمى على الارض مذهولاً . ولم يكد يسترد نفسه حتى نظر الى الكلب فرآه قد استسلم الى نوم ابدي لا يقظة منه ، فأسرع الى زوجته ، فعالج اغماءهـــا حتى افاقت ، وجاسا [٥] خلال البيت ، عسى ان يتبينا حقيقة الامر . فوقع بصرهما في احـــد الاركان على دب هزيل دفعه الجوع والبرد الى ارتياد المنازل ، فصادف باب بيتهما مفتوحاً فدخله ، واوغل في مسيره حتى وصل الى سرير الوليد فدفعه الكلب عنه . والتحم معه في معركة دموية مروعة ، مزق فيها عنق الدب ، وفقأ احدى عينيه ، وتركه طريحاً ينزف [٦] حتى مات وبين انيابه مضغة [٧] من عنق الكلب وفروته .

عند ذلك صرخ الوالدان، وانهمرت [٨] اعينهما بالبكاء الموجع ، وودا لو يستطيعان فداء كلبهما الوفي بكل ما يملكان . ولكن هيهات [٩] ، هيهات فقد مضى الى غـــير رجعة ، وخلف لهما حسرة باقية ، وحزناً متجدداً على الايام وكلما تذكرا انه ولى صريع تسرعهما ، وانهما اساءا بغير حق الى اخلص صديق وأوفى امين — زادت حسرتهما واستبد الحزن بهما ، حتى ليكاد يقتلهما . ولم يسعهما ازاء ما كان منهما ومن كلبهما الامين الا ان يدفناه في حديقة دارهما ، ويرفعا فوقـه نصباً تذكارياً منقوشاً عليه بالخط الجميل « تذكار الوفاء النادر » .

---

١) يتمم قتله ويسرع (كما سبق) . (٢) سليم . (٣) يظهر السرور .
٤) كالذي أصابته صاعقة . (٥) تنقلا . (٦) يسيل دمه . (٧) قطعه .
٣) فاضت وسالت بكثرة . (٩) بعد « أي : ان ذلك الامر بعيد » .

Marfat.com

لا حر بوادي عوف

١

وقفت خماعة بنت عوف بن ملحم امام خبائها تشهد فرسان قومها كيف يردون غارة بني عبس ، وكيف يدافعون عن اعراضهم ، ويحمون ذمارهم ، ويجودون بالأنفس في سخاء وحمية ، لا ينكصون على اعقابهم ، او يولون الادبار ، لقد ابلى قومها بلاءً حسناً ودافعوا في جد وصرامة بيد انهم كانوا قلة فلم تغن عنهم شجاعتهم شيئاً ، اذ كان معظم الرجال بعيدين عن الحي فلم يستجيبوا للاستغاثة ، وتكاثر الاعداء على الحماة يصرعونهم واحداً بعد واحد ، وخماعة ترقب المعركة بقلب راجف ، ونفس سريع ، وعين حائرة ، ووجه شاحب ، لان زوجها ليث بن مالك قد لبى نداء النجدة زميعاً[١] ، وهي تخشى ان يصرع فتكون نهباً للغزاة ، وسبية ممتهنة ، وتفقد بعلاً كريماً ، فتأيم من بعده وقد عاشرته فأحبته . وهي ترى الدائرة تدور على قومها ، ومنجل الموت يتخطف الفرسان . وهم يتحدونه في اصرار وعناد وجرأة .

كانت نظراتها تتبع في لهفة وعجلة حركات جواد اشهب وسط المعمعان يجول ويصول ويكر ويفر ، وفارسه لا ينفك يرفع سيفاً بتاراً او يهوي به في قوة وبطش . ثم رأت الفارس يخر صريعاً ويخلي صهوة جواده ، وتدوسه الخيل بسنابكها ، وفارسين من الاعداء يأخذان سلبه ، ويقودان جواده خارج الحومة ، فسحت عينها الدمع سحاً ، وشعرت بنكأة داهية تنفذ الى فؤادها ولكنها أبت ان تستسلم ، وطفقت تفكر في امرها وقد ترملت وفقدت رجلها وحاميها ، وشغلها همها وأمرها عن المعركة الدائرة

«١» زميعاً : سريعاً .

Marfat.com

وما راعها الا الفرسان يعدون صوبها ، ويتقدم اثنان فينهبان الخباء ويسوقان من فيه أسرى ، ويأخذان خماعة سبية ، وقد راعها منها جمال فاتن ، وثبات عجيب ، وأنف شامخ ينم عن عزة وكرم محتد .

انتهت الغارة ، وردت السيوف الى أغمادها ، وقفل بنو عبس الى ديارهم وخمـــاعة وأهل زوجة ، وكثيرات من نساء قومه يسرن وراء الخيل حفاة سافرات الوجوه مهينات ، يحثهن رجال غلاظ جفاة .

ينظرن شزراً الى من جاء عن عرض بأوجه منكرات الرق احرار

وكان مروان القرظ بن زنباع [1] رئيس بني عبس يومئذ ، وكان يضرب به المثل في الغزو والشهامة والمروءة ، فحانت منه التفاتة نحو السبايا . فرأى بينهن امرأة يترقرق ماء الحسن والملاحة في وجهها ومخايلها ممشوقة القوام ، مرفوعة الرأس ليست كبقية من يسير معها مشية ، وشخصية ، فسألها :

— من انت ؟

— خماعة بنت عوف بن ملحم .

— بنت سيد بني شيبان ، وأحد اجواد العرب ، واغزهم واشجعهم ؟ واأسفاه .

ثم سأل رجاله :

— اسيرة من هي ؟

فأجاب رجل منهم :

— اسيرة عمرو بن قارب ، وذؤاب بن اسماء .

— فالتفت اليها مروان وقال :

— حكماني في خماعة :

«١» سمي مروان القرظ : لأنه يغزو اليمن وهي منابت القرظ

Marfat.com

— حكمناك يا ابا صهبان .

— اشتريها منكما بمائة من الأبل .

— قبلنا حكم سيد بني عبس .

فأمرهـــا مروان ان تغطي وجهها قائلاً : والله لا ينظر اليك عربي حتى اردك الى ابيك . وضمها الى اهله ، وأوصاهن بها خيراً ، لأنهـــا بنت العز وربيبته وسليلة الأرومة الكريمة ، والحسب الرفيع والسؤدد والجاه . فعاشت خماعة بضعة اشهر في بيت مروان ما رآها مرة إلا من وراء حجاب برأ بيمينه ، وما رأت وما سمعت من أهله وخدمه مـــا ذكرها انهـــا سبية مغلوبة على أمرها ، لأن عين مروان اليقظة كانت تتعهدها في السر والجهر ، لمـــا لأبيها في اعناق العرب من اياد كريمات وفضل سابغ وذكر حميد .

دخل الشهر الحرام ، وأمن الناس الغارات ، واطمأنت القلوب على المال والولد والأهل ، لان العرب جميعاً تحرم القتال في هـــذه الشهور المباركة فترد السيوف الى اغمادها وتضع الحوامـــل [1] ويحج الناس الى بيت الله الحرام يستمطرون شآبيب رحمته لتغسيل اوضار نفوسهم ، ويجتمعون في الأسواق يتاجرون ويتفاخرون ويعقدون المحالفات .

حين دخل أول هـذه الأشهر ، وارتاحت النفوس من الجهد والقتال والسفر والحذر الشديد ، جهز مروان خماعة أحسن جهاز وأتمه ، فكساها الديباج والحرير وأخدمها الجواري والعبيد ، وأكرمها غاية الأكرام ، ثم حملها إلى عكاظ كأنها أميرة من بيت ملك عظيم ، ولم تكن سبية أسرت بظبى السيوف ، وأسنة الرماح ، وافتديت من آسريها بمائة من الأبل على حنق منهما وسخط .

---

(١) المراد هنا الابل .

Marfat.com

صحبها مروان في رحلتها هذه ، فلما دنا من عكاظ تقنع على عادة فرسان العرب ، حتى لا يعرفـــه أعداؤه ، ومن لهم عنده تراث ، فيترصدونه في ساحات القتال ، ويبذلون أقصى جهدهم للانتقام منـــه والقضاء عليه ، وعكاظ — عادة — تغص بفرسان العرب من كل القبائل ، فلا يعدم أن يكون هناك قرن موغر الصدر ، موجده وصاحب حفيظة يتوسمه فيتربص به الدوائر عند أول لقاء .

فلما انتهى مروان بأمانته الى منازل بني شيبان — قوم خماعة — قال لها :

— هل تعرفين منازل قومك ، ومنزل أبيك ؟

— هذه منازل قومي ، وهذه قبة أبي .

— انطلقي الى ابيك ، فأنه اهل لكل مكرمة .

والتفت مروان الى قومه وانشد .

رددت على عوف خماعة بعدها خلاها ذؤاب غير خلوة خاطب
ولو غيرها كانت شبيثة رمحه لجاء بهـــا مقرونة بالذوائب
ولكنه ألقى عليهـــا حجابه رجاء الثواب او حذار العواقب
فدافعت عنها : ناشبا ، وقبيله وفارس يعبوب وعمرو بن قارب

اما خماعة فدلفت الى قبة ابيها ، وخلفها جواريها وعبيدها ومعهم عتادها وما اكرمها به مروان ، فلما رآها ابوها عوف بن ملحم ، ولم يكن ينتظرها ، قال لها في دهشة :

— ما وراءك يا خماعة ؟

فقصت عليه خبرها ، وأشادت بما فعل مروان ، وكيف نازع قومه وتحداهم في سبيلها ، وكيف حفظها عزيزة مكرمة ، وجهزها احسن جهاز وأتمـه ، واخدمها وسهر على راحتها منذ اسرت حتى بلغت قبة والدها .

Marfat.com

فقال ابوها : يا بنية ، ان مروان لمثل في العزة ، ألم تسمعي العرب يقولون : أعز من مروان القرظ ، ولقد طوق جيدي بمن جسام ، وهيهات ان اوفيه حقه وان كان مثله في عزته ومروءته وسؤدده لا يرتقب على حسن صنيع اجراً .

٢

دارت الايام دورتها ، وغزا مروان بكر بن وائل على حين غرة ، فسبى ونهب فلما عاد الفرسان والرجال الى احيائهم ، وسمعوا بما حدث لقومهم ، عـــز عليهم ألا يثأروا من ذلك الذي استباح حماهم ، واسر نساءهم ونهب اموالهم فهبوا يقصون اثر جيشه في عدد عديـــد ، وخيل مسومة وسلاح وعدة كاملة ، وثبت لهم مروان ساعات ثم نجا فريق من جيشه بالاسلاب والسبايا ، اما هو وصناديد قومه فوقفوا يدرأون العدو ويراوغون في ثبات وحسن حيلة ولكن انى له ان يثبت طويلاً ، وقد تكاثرت عليه بنو بكر بخيرة فرسانها وجزء كبير من جيشه قد انفصل يبغي النجاة ، وبعد جولات صادقات وقتال عنيف ، وقع مروان ومن بقي من رجاله اسرى ، بعد ان تكسرت سيوفهم وتحطمت رماحهم ، واثخنت الجروح خيولهم ، وسقط كثير من الفرسان صرعى مضرجين بالدماء تدوسهم سنابك الخيل في غير شفقة او رحمة .

ومضى بمروان آسره وهو لا يعرفه ، فأتى به امه مختالاً فخوراً فقالت له امه انك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ .

فقال لها مروان وهو يرسف في الاغلال .

— وماذا ترتجين من مروان ؟

— عظم فدائه .

— وكم ترتجين من فدائه ؟

نسخة مجانية

Marfat.com

— مائة بعير .

— ذلك لك علي ، على ان تؤديني الى خماعة بلت عوف بن محلم .

— ومن لي بمائة من الابل .

فأخذ مروان عوداً من الارض ، وقال لها : هذه لك بها[١] .

فمضت به الى عوف بن محلم[٢] فلما عرف عوف انه مروان ، وأخبر بذلك ابنته خماعة قالت له : يا ابت اني اجرته من بني بكر بن وائل، واني استعين بك على الوفاء بمـــا له في اعناقنا من اياد ومنن ؛ واذكر اذ كنت سبية ففداني ومهينة فاعزني ، وغريبـــة فانزلني مع أهله ثم أسلمني اليك ، لم امتهن بنظرة عربي الى وجهي ، وكنت عنـــده في نعيم وعيش رغيـــد ، والحمد لله الذي أمكننا من هذه الفرصة حتى نرد اليه الجميل .

فقال لها ابوها : ان مروان قد اعمل السيف في رقاب قومك ، وقد اخذهم الى غرة فكثرت ترتهم عنده ، ولكني ساجيره معك، ولا سبيل اليه الا فوق هامتي .

وما ان علمت بنو بكر بخبر مروان حتى سعت جموعها الى عوف ابن محلم يطلبون منه ان يسلم مروان اليهم حتى يقتصوا منه على ما جنت يداه في ارواحهم واموالهم ، فابى عليهم عوف ـ وكانوا يحلونه ويطيعونه ـ ونبأهم بقصته مع ابنته ، وذكرهم ان كلا منهم معرض لأن يؤسر في حومة القتال ، والأسير حقه ان يفدى لا ان يقتل . وبعد جدال شديد أذعنوا لرأيه ، وتركوا مروان لعوف بن محلم ، وكان تنازلهم هذا تضحية كبيرة قدموها لرئيسهم وسيدهم .

وظل مروان اياماً عند عوف في كنف خماعة ورعايتها ، تحاول ان

«١» كان هذا يكفي عندهم ويغني عن مغلظ الايمان والمواثيق والعهود . «٢» هو من أشراف العرب في الجاهلية ، وكان مطاعاً في قومه ، قوياً في عصبته وكانت تضرب له قبة في عكاظ ، توفي سنة ٥٤ ق هـ .

Marfat.com

تكرمه كما اكرمها ، وترد اليه الجميل على قدر طاقتها ، وفي ذات يوم دخل عوف خباءه بادي الهم متعكر الوجه ، فأنكرت خماعة امره ومشت اليه في لطف ودعة تسأله عما أهمه ، وأزال سماحة وجهه وبشاشته ، فكان جوابه ان سأل مروان :

— خبرني يا أبا صهبان عما احفظ عمرو بن هند ملك الحيرة عليك .

— لم يكن — علم الله — بيني وبينه الا كل خير ، وكنت أفد عليه بالهدايا والأموال ، فينزلني خير منزل ، ويكرمني وقومي . وفي ذات يوم اراد ان يعاملني كما تعامل الملوك رعيتها ، او السيد من دونه في الشرف والمنزلة ، فأبت علي نفسي ان اجالسه ، وبقيت اياماً عنده مغاضباً له ، فأرسل الي يستزيرني ، فلما دخلت عليه اصافحه ، فعاتبني لتخلفي عن مجلسه ، فعللت ببعض المعاذير ، وقلت لعلها كانت هفوة فيه ، ولكنه ايقن ان في نفسي شيئاً لأني لم اضع يدي في يده . وفي نفس اليوم استأذنت في العودة فأذن لي بعد لأي ، وقد انقطعت عنه ردحاً من الزمن ، وعلمت انه ساخط عليَّ .

فقال عوف : لقد علم انك متحرم بذمامي ، فأرسل الي يطلبك ، وانت تعلم مكانة عمرو بن هند لدينا ، وان ديارنا تتاخم دولته ، وان الصلات بيننا قوية متينة ، ولكني اخبرت رسوله ان ابنتي اجارته وليس اليه من سبيل ، واني في انتظار رده ، وان كنت اعلم انه سيتميز غيظاً حين يستمع للجواب ، بيد انه يدري عزة قومي فلعل ذلك يخفف من غلوائه .

ومضت ايام قضاها عوف في همّ مقيم مقعد ، لان الحرب بينه وبين عمرو بن هند ليست بالشيء الهين اليسير ، ولكنها حرب تكلفهم شططاً وتودي براحتهم ونعيمهم ، وتراق فيها الدماء بسخاء ، وأخذ يقلب وجوه الرأي وحده دون ان يستشير أحداً من قومه ، خشية ان يستحثوه

Marfat.com

على تسليم مروان لسابق اخطائه معهم ، ولعظم جريرته لديهم .

ثم جاء رسول عمرو بن هند ينبىء عوفاً ان الملك لن يعفو عن مروان حتى يضع يده في يده — سمة المبايعة والمعاهدة والحلف والولاء — وبذلك يثق الملك انه لن يخونه او يغير على حواشي دولته وينتقصها من اطرافها . فقال عوف : يضع يده في يد الملك على ان تكون يدي بينهما ، وكأنه بذلك يحتاط لغدر عمر بن هند بجاره ، او ليبرهن للملك على انه صار حليفاً لمروان على كل من ناوأه او هم بشيء يسوءه .

فلم يسع عمرو بن هند إلا ان يستجيب لطلب عوف ، ثم قدم عوف ومروان الحيرة ودخلا على الملك فوضع مروان يده في يـــده ، ووضع عوف يده بينهما وعفا عمرو بن هند عن مروان وقال « لا حر بوادي عوف » اي لا سيد به ينازعه سلطانه ، فصارت مثلاً .

من كتاب (الفتوة عند العرب)

Marfat.com

الراعي

راعني في الحقل انشاد بديع والندى يغسل اجفان الصباح
فتطلعت الى راعي القطيع قد شجاه حسن اقبال الربيع
وتبدت روعة الكون له
فتغنى في هيام ومراح
باسم كالصبح في طلعته حالم العينين لماح الجبين
حمرة الاصباح في وجنته وصفاء الكون في مقلته
مرهف كالغصن نشوان الصبا
غرد كالطير فياض الحنين
مرح يختال في سربالـه معجل يعثر في اذيالـه
او حليم قرب المرعى له
فتهادى وتأنى في خطاه
تحمل الريح صدى الحانه فتهز الحقل من اركانه
تذهل النوام عن احلامهم
قبل ان تغرق في سيل الضياء
هاتف يسأل من ينصفه قلبه الخالص من سوء الطباع
دمعه المسفوح او يصرفه
عن دلال لجّ فيه وخداع
ملكتني اذ تغني نشوة وتنزت في فؤادي صبوة
تركتني غارقاً في حلم
ضاحك الاطياف رفاف الجناب

نسخة مجانية

Marfat.com

تضحك الارض مع الشمس له ويشيع السحر في اركانها
يتبدى كل شيء حولـــه طافـــح البشر طروباً مثله
وترى الورق شجاهـــا لحنه
فتغنت في ذرى افنانهـــا

يصبح الراعي طروباً شادياً مطمئناً ليس يدري ما الشجن
وتراه حين يمسي راضيـــاً في ظلام الكوخ يغفو ثاويا
ناعم البـــال قريراً آمناً
هادىء الضجعة ريان البدن

لم يكدر صفوه حرص ولا سهدت جفنيه اطماع الحياة
لـــن تراه نائحاً يوماً عـــلى امـــل فات ولا تصبو الى
مـــا طواه الغيب في احشائه
حسبه الله فـــلا يرجـــو سواه

ملهم رُكّب في فطرتـــه حب ما في الكون من آي الجمال
تسمع التسبيح في لهجتـــه وترى الاعجـــاب في نظرتـــه
ساذج الاحـــلام الا انـــه
صادق الوجدان مشبوب الخيال

كم أرى الفجر وما في افقه من جمال واجتلى نور السحر
وتملى الصبح في اشراقـــه يفتن النظار مـــن عشاقـــه
بصفاء تعلـــق الروح بـــه
عبقري الحسن موق الصور

ولـكم آنس من حالي الضحى ومـــن الآصال مزدان الحلل
يجد الكون جميعاً مسرحاً يجتليه غادياً او رائحـــا
هـــائم يضرب في آفاقـــه
دائم الترحال موصول الجـــذل
ولـكم شاهـــد اقبال الدجى حين ذابت فيه الوان الشفق

Marfat.com

ورأى الليل اذا الليل سجا وانجلى البـــدر وضيئاً ابلج
تقبس الالحـاظ مـن رونقـه
قبل ان يدركه موج الغسق
ورأى الصيف يعفى اثره بيـد عاتيـــة مقتدرة
تركت جنتـه خاويـة
جف فيها الزهر والروض المريع
واغتدى يرتـع ظلاً وارفا قد سرى في جوه نفح لطيف
يملأ الصدر بـــه مستروحا
قبل ان تعصف انواء الشتاء
يـا قنوعـاً مثلت عيشتـه عيشة الانسان في فجر الوجود
يـا خليـــاً أنسه وحدتـه ايـه يا مـن برئت فطرتـه
من غرور العيش في زخرفـه
يا طليقاً ما دري معنى القيود
يـا نقي القلب في عزلتـــه لم ير العالم في زحمته
هـات من لحنك مـا يطربني
يا غريراً انت بالبشر خليـق
يـا رضى النفس في ايمانـــه نعمت نفسك في ظل رضاها
إيـه يا من قرّ في وجدانـه من هدى الله ومن رضوانـه
مـــا ترنمت بـــه في غبطة
فطـن القلب اليهـا فوعاهـا
هات من لحنك يا راعي القطيع قد نفى لحنك عن قلبي الحزن
هيه اني مـــا تغنيت سميع وسأمضي شاكراً هذا الصنيـع
ذاكراً لحنك مفتوناً بـــه
ان في ذكراه روحاً وسكن

محمود الخفيف

نسخة مجانية

Marfat.com

في ملعب الكرة

وفي ذلك اليوم ذهبت بصديقي الى ملعب الكرة .. لم أذهب به الى دور العلم او الى حلقات الادب حيث ينصت الى لجاج الفقهاء وحوار الادباء ، فلقد طعم من هـذا الغذاء الدسم الشهر كله ، وشهد المعركة الطاحنة بين اللائحة والشريعة وبين الأريكة والسرير وبين الفنون الرفيعة والغليظة وبين الفتوة والمروءة وبين الكوفـة والبصرة وبين المستشرقين والمستغربين ...

انتزعتك يا صديقي من بين هذا كله فلعمري لقد آن لك ان تمسح عن جبينك المجهد المعنى عرق النحو والصرف والفقه ، وان تزيل عن عينيك مـا علق بهما من قذى البحث العميق عـن اللفظ الدقيق والمعنى الأنيق : ذلك البحث الذي طالمـا أضناك وأذواك ثم عدت منه صفر اليدين او رجعت بشيء زهيد لا يطفىء غلة ولا يغني من جوع .

فتعال اليوم نتبوأ هذا المقعد العالي ونشرف منه على هذا الميدان الفسيح كما يشرف النسر من ذروة الطود . ولنرقب مـا يجري بين ايدينا من الحوادث الجسام .. أراك تبتسم ابتسامة الشك او الانكار كأنما تظن ان مـا يجري هنا ليس الا ضرباً من العبث او اللهو فلا وابيك لن تبرح حتى تشهد في هـذا الملعب من دروس الحكمة ومن عبر الحياة ومن المعاني البديعة العميقة ، ما لم تجده بعد في الكثير من اسفار اصحابك الخالدين .

هـا هم اولاء اللاعبون قد اقبلوا فدوّى رعد الهتاف والتصفيق ، أرأيت هذه الاجسام الفتية التي افعمت صحة وقوة والتي لا تكاد تستقر

Marfat.com

في مكان مما بها من نشاط ومرح . ولكنها قد تثبت في مواقفها حيناً فكأنها الجبال الرواسي . ثم تنقض على الأثر كانها صخور تهوي من قمة طود او تندفع طائرة كما تندفع السهام عن القسي . وهي بعد هذا كله لا تشكو كلالا ولا ملالا ، كانما يتفجر نشاطها من ينبوع لا يغيض ... ان هذه السيقان التي تراها تحمل تلك الاجسام ما نمت هذا النمو ولا اكتسبت تلك القوى في يوم او بعض يوم ... بل هي ثمار المران الطويل شهوراً وسنين . وليس من هؤلاء الفتيان من لم ياخذ نفسه بأنواع من الجد والدأب وبالحرمان من ضروب اللهو والعبث ، كي يبلغ هذه المرتبة العالية من القوة ومن الرشاقة ومن الجمال والفتوة ، والرجولة الصحيحة .

ان الرياضة قد أدبت هؤلاء الفتيان فأحسنت تاديبهم ... انظر اليهم كيف تركوا ضيوفهم يسبقونهم الى الملعب ، وفي اثرهم ينزل اصحاب الدار على مهل كانما يمشون على استحياء . وهم على هذا كله خصوم ستدور بينهم معركة لا هوادة فيها ولا اين ، ولا محاباة فيها ولا مداراة معركة سيبوء فيها الضعيف بالخزي والخسران ، ويرقى النصر بالمنتصرين الى أعلى مراتب السمو .

هذه المعركة هي بيت القصيد . وان في صورها العديدة لما تنشرح له الصدور وتطمئن القلوب .. فها هنا معركة تنشب بين فريقين قد تكافآ في العدة وتماثلا في العدد . فلن يكون الفوز فيها الا للجد والجلد وللبراعة والاقدام . ونحن في عالم طالما نشهد فيه تالب الاقوياء على الضعفاء ، وطغيان جيوش الظلم على جنود الحق . واستبداد الكثرة الغاشمة التي تزهى بعدتها وعديدها ويحلو لها ان تمعن في الجور وتسرف في العدوان . فها أسعدنا اليوم اذ نتناسى ذكر هؤلاء حيناً لكي تنعم ابصارنا بشهود معركة نظيفة بريئة بين اكفاء وانداد ...

اجل وان لهذه الحرب الضروس لقواعد وشروطاً قد نصت عليها

Marfat.com

حديث ليلى الاخيلية مع الحجاج

حدث ابو بكر الانباري قال : حدثني ابي قال : اخبرنا احمد بن عبيد عن ابي الحسن المدائني عمن حدثه عن مولى لعنبسة بن سعيد بن العاصي قال :

« كنت ادخل مع عنبسة بن سعيد بن العاصي اذا دخل على الحجاج فدخل يوماً فدخلت اليهما وليس عند الحجاج احد الا عنبسة فأقعدني فجيء الحجاج بطبق فيه رطب فأخذ الخادم منه شيئاً فجاءني به ثم جيء بطبق آخر حتى كثرت الاطباق وجعل لا يأتون بشيء الا جاءني منه بشيء حتى ظننت ان ما بين يدي اكثر مما عندهما ثم جاء الحاجب فقال : امرأة بالباب فقال له الحجاج : ادخلها . فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت ان ذقنه قد اصاب الارض فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت فإذا امرأة قد اسنت حسنة الخلق ومعها جاريتان لها وإذا هي ليلى الاخيلية .

فسألها الحجاج عن نسبها فابتسمت له فقال لها : يا ليلى ماذا أتى بك ؟ فقالت : اخلاف النجوم [1] وقلة الغيوم وكلب البرد [2] وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد [3] .

فقال لها (صفى لنا الفجاج [4]) فقالت الفجاج مغبرة والارض

---

(١) اخلاف النجوم: اخلفت النجوم التي يكون بها المطر فلم تأت بمطر . (٢) كلب البرد : شدته والاصل ان الكلب سعار يصيب الكلاب والذئاب . (٣) الرفد بكسر الراء المعونة وبفتحها العطية . (٤) الفجاج جمع فج وهو كل سعة بين نشازين :

Marfat.com

مقشعرة والمبرك معتل [١] والهالك للقل [٢] والناس مسنتون [٣] رحمة الله يرجون . واصابتنا سنون بجحفة مبلطة [٤] لم تدع هبعاً ولا ربعاً [٥] ولا عافطة ولا نافطة [٦] اذهبت الاموال ومزقت الرحال واهلكت العيال ثم قالت اني قلت في الامير قولاً ، قال : هات فأنشأت تقول :

الحجاج لا يفلل سلاحك انهـــا ... المنايا بكف الله حيث تراهـــا
احجاج لا تعطي العصاة منـــاهم ... ولا الله يعطي للعصاة مناهـــا
اذا هبط الحجاج ارضاً مريضة ... تتبع اقصى دائهـــا فشفاهـــا
شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام اذا هز القناة سقاهـــا
سقاها فرواها بشرب سجاله [٧] ... دماء رجال حيث مال حشاها
أذا سمع الحجاج رز [٨] كتيبة ... اعد لها قبل النزول قراهـــا
اعـــد لها مسمومـــة فارسية ... بأيدي رجال يحلبون صراها [٩]
فما ولد الابكار [١٠] والعون مثله ... ببحر ولا ارض يجف ثراهـــا

قال فلما قالت هذا البيت قال الحجاج قاتلها الله والله ما اصاب صفتي شاعر مذ دخلت العراق غيرها . ثم التفت الى عنبسة بن سعيد فقال : والله اني لأعد للأمر عسى ان يكون ابداً . ثم التفت اليها فقال : (حسبك) قالت اني قد قلت اكثر من هذا قال (حسبك ويحك حسبك) ثم قال : يا غلام اذهب الى فلان فقل له اقطع لسانها ، فذهب بها فقال له : يقول

---

(١) المبرك المعتل أي الابل عليلة كناية عن الضعف والحاجة والمبرك في الاصل مكان الابل تبرك فيه فكنت به عنها. (٢) الهالك للقل أي هلك بسبب القلة. (٣) مسنتون: مقحطون محتاجون. (٤) مبلطة : ملصقة بالارض . (٥) الهبع ما نتج في الصيف والربع ما نتج في الربيع . (٦) العافطة والنافطة : الضانة والماعزة . (٧) شرب سجاله الشرب جزء من ماء والسجال جمع سجل بفتح السين وهو الدلو فيه ماء . (٨) لرز بكسر الراء: الصوت تسمعه من بعيد . (٩) الصرى : اللبن المتجمع في ضرع الشاة . (١٠) العون جمع عوان وهي النصف من النساء المتوسطة السن .

Marfat.com

الامير اقطع لسانها قال فأمر بأحضار الحجام فالتفت اليه فقالت ، ثكلتك امك اما سمعت ما قال ؟ انما امرك أن تقطع لساني بالصلة فبعث اليه يستثبته فاستشاط الحجاج غضباً وهم بقطع لسانه وقال اردده‍ا فلما دخلت عليه قالت : « كاد وامانة الله يقطع مقولي » .

ثم انشأت تقول :

حجاج انت الذي ما فوقه أحد　　الا الخليفة والمستغفر الصمـــد
حجاج انت شهاب الحرب ان لقحت　　وانت للناس نور في الدجى يقد[1]

ثم اقبل الحجاج على جلسائه فقال : (اتدرون من هذه) ؟ قالوا : لا والله ايها الامير الا انا لم نر قط أفصح لساناً ولا احسن محاورة ولا املح وجهاً ولا أرصن شعراً منها :

فقال : هذه ليلى الاخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها ثم التفت اليها فقال : انشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة . قالت . نعم ايها الامير هو الذي يقول :

وهل تبكين ليلى اذا مت قبلها　　وقام على قبري النساء النوائح
كما لو اصاب الموت ليلى بكيتها　　وجاد لها دمع من العين سافح
واغبط من ليلي بمـــا لا اناله　　بلى كل ما قرت به العين طائح[2]
ولو ان ليلى الاخيليـــة سلمت　　علي ودوني جنـــدل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة او زقـــا　　اليها صدى من جانب القبر صائح[3]

فقال زيدينا من شعره يا ليلى . قالت هو الذي يقول :

حمامـــة بطن الواديـــين ترنمي　　سقاك من الغر الغوادي مطيرها

---

(١) لقحت الحرب كبرت واشتدت . (٢) طائح ذاهب زاهل (٣) زقا الصدى يزقو صاح .

Marfat.com

أبيني لنـــا لا زال ريشك ناعماً ولا زلت في خضراء غض نظيرها
وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورهـا
وقد رابني منهـــا صدود رأيته واعراضها عن حاجتي وبسورها [1]
واشرف بالقور اليفـــاع لعلني ارى نار ليلى ان يراني بصيرها [2]
يقول رجال لا يضيرك نأيهـــا بلى كل ما شف النفوس يضيرها
بلى قد يضير العين ان تكثر البكا ويمنع منها نومها وسرورها
وقد زعمت ليلى بأني فاجـــر لنفسي تقاها او عليها فجورها

فقال الحجاج : يا ليلى ما الذي رابه من سفورك ؟ فقالت : ايهـــا الامير كان يلم بي كثيراً فأرسل الي يوماً : اني آتيك . وفطن الحي فأرصدوا له فلما اتاني سفرت عن وجهي فعلم ان ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع .

فقال لله درك فهل رأيت منه شيئاً لتكرهينه ؟ فقالت : لا والله الذي اسأله ان يصلحك ، غير انه قال مرة قولاً ظننت انه خضع لبعض الأمر وانشأت تقول :

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها فليس اليها مـــا حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه وانت لاخرى صاحب وخليل

فلا والله الذي اسأله ان يصلحك ما رأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيني وبينه. قال: ثم مه قالت: ثم لم يلبث ان خرج في غزاة له فأوصى ابن عم له اذا اتيت الحاضر من بني عبادة فناد بأعلى صوتك :

صفا الله عنها هل ابيتن ليلة من الدهر لا يسري الى خيالها

---

(١) البسور العبوسة . (٢) القور اليفاع الاراضي المرتفعة .

Marfat.com

وانا اقول :

وعنه عفا ربي واحسن حاله فعزت علينا حاجة لا ينالها

قال ثم مـــه قالت ثم لم يلبث ان مات فأتانا نعيه فقال : انشدينا بعض مراثيك فيه فأنشدت :

لتبك عليه من خفاجة نسوة بمـــاء شؤون العبرة المنحدر

قال لها : فانشدينا ، فأنشدته :

كأن فتى الفتيان توبة لم ينـــخ قلائص يفحصن الحصى بالكراكر [1]

فلما فرغت من القصيدة قال محصن الفقسي : وكان من جلساء الحجاج من الذي تقول هذا فيه ؟ فوالله اني لأظنها كاذبة فنظرت اليه ثم قالت ايها الامير ان هذا القائل لو رأى توبة لسره ان لا تكون في داره عذراء الا هي حامل منه . فقال الحجاج هذا وابيك الجواب وقد كنت عنه غنياً .

ثم قال لها : سلي يا ليلى تعطي . قالت : اعط فمثلك اعطى فأحسن . قال : لك عشرون . قالت : زد فمثلك زاد فاجمل . قال : لك اربعون . قالت زد فمثلك زاد فاكمل . قال : لك ثمانون . قالت : زد فمثلك زاد فتمم . قال : لك مائة واعلمي انها غنم . قالت : معاذ الله ايها الامير انت اجود جوداً وأمجد مجداً واورى زنداً من ان تجعلها غنماً . قال : فما هي ؟ ويحك يا ليلى . قالت . مائة مـــن الابل برعاتها فأمر لها بها .

«١» القلائص جمع قلوص بفتح اوله وهي الناقة الشابة او الطويلة القوائم ، والكراكر جمع كركرة بكسر كافيها وهي رحى زور البعير او صدر كل ذي خف .

Marfat.com

ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قلت : تدفـــع الى النابغة الجعدي . قال : فعلت . وقـــد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك فخرج هارباً عائـــذاً بعبد الملك فاتبعته الى الشام ، فهرب الى قتيبة بن مسلم بخراسان فاتبعته على البريـــد بكتاب الحجاج الى قتيبة فماتت بقومس [1] ويقال بحلوان .

قصص العرب

(١) قومس بضم أوله وفتح الميم: صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل، وحلوان بلد العراق.

Marfat.com

مصرع الزباء

كان جذيمة [1] الابرش ملك مـــا على شاطىء الفرات وكانت الزباء ملكة الجزيرة وكان جذيمة قد وترها بقتل ابيها فلما استجمع أمرهـــا وانتظم شمل ملكها احبت ان تغزو جذيمة ثم رأت ان تكتب اليه انها لم تجد ملك النساء الا قبحاً في السماع وضعفاً في السلطان وانها لم تجد لملكها موضعاً ولا لنفسها كفؤاً غيرك فأقبل إليّ لأجمع ملكي الى ملكك وأصل بلادي ببلادك وتقلد أمري مع أمرك .

فلما أتى كتابها جذيمة وقدم عليه رسلها استخفه ما دعته اليه ورغب فيما اطمعته فيه فجمع أهل الحجا والرأي من ثقاته — وهو يومئذ بقنا من شاطيء الفرات — وعرض عليهم ما دعته اليه وعرضت عليه فاجمع رأيهم على ان يسير اليها فيستولي على ملكها .

وكان فيهم قصير بن سعد اللخمي — وكان أريباً حازماً اثيراً عنـــد جذيمة — فخالفهم فيما اشاروا به وقال : « رأي فاتر وغدر حاضر » فذهبت كلمته مثلاً ، ثم قال لجذيمة الرأي ان تكتب اليها فإن كانت صادقة في قولها فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك ولم تقع في حبالتها وقد رترتها

وقتلت اباها . فلم يوافق جذيمة ما اشار به وقال له: « رأيك في الكن لا في الضح [2] » فذهبت كلمته مثلاً .

ودعا جذيمة عمرو بن عدي ابن اخته فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان قومي مع الزباء ولو قد رأوك صاروا معك فأحب جذيمة ما

«١» كان يقال له جذيمة الابرش وجذيمة الوضاح وذلك أنه كان ابرص فهابت العرب ان تقوله فقالت الابرش وكانت تقول للذي به البرص به وضح تفادياً من البرص فقالوا جذيمة الوضاح وهو جاهلي . «٢» الشمس وضوءها والكن وقاء كل شيء .

Marfat.com

قاله وعصى قصيراً فقال قصير : « لا يطاع لقصير امر » فذهبت مثلاً .

واستخلف جذيمة عمرو بن على عدي ملكه وسلطانه وسار في وجوه اصحابه فأخذ على شاطىء الفرات من الجانب الغربي فلمـــا نزل دعـا قصيراً فقال: ما الرأي يا قصير؟ فقال قصير: « ببقة خلفت الرأي » فذهبت مثلاً ، قال : وما ظنك بالزباء ؟ قال : « القول رداف والحزم عثراتـــه لخاف » فذهبت مثلاً .

واستقبلته رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال : يا قصير كيف ترى ؟ قال : « خطب يسير في خطب كبير » فذهبت مثلاً ، وستلقاك الجيوش فان سارت أمامك فالمرأة صادقة وان اخذت جنبتيك وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك » فاركب العصا فانها لا يشق غبارها » فذهبت مثلاً — وكانت العصا فرساً لجذيمة لا تجارى — واني راكبها ومسايرك عليهـــا .

فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليه جذيمة على متن العصا مولياً فقال : « ويل امه حزما على متن العصا » فذهبت مثلاً وجرت بـــه الى غروب الشمس ثم نفقت [1] وقد قطعت ارضاً بعيدة .

وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الزباء فلما رأته قالت : اشوار [2] عروس ترى ؟ فقال : امر غـــدر أرى . ثم دعت بالسيف والنطع [3] وقالت : ان دماء الملوك شفاء من الكلب فامرت بطست من ذهب قد اعدته له وسقته الخمر حتى سكر واخذت منه الخمر ماخذها فأمرت براهشيه [4] فقطعا وقدمت اليه الطست — وقد قيل لها ان قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه — فلما ضعفت يداه سقطتا

«١» نفقت ماتت . «٢» الشوار الهيئة والزينة . «٣» النطع بساط من جلد .
«٤» الراهشان عرقان باطن الذراعين .

Marfat.com

فقطر من دمه في غير الطست فقالت : تضيعوا دم الملك . فقال جذيمة : « دعوا دماً ضيعه أهله » فذهبت مثلاً فهلك جذيمة .

وخرج قصير مـــن الحي الذي هلكت العصا بين اظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدي — وهو بالحيرة — فقال له قصير : أثائر أنت ؟ فقال : « بل ثائر سائر » فذهبت مثلاً . ووافق قصير الناس وقد اختلفوا فأصلح بينهم ثم قال لعمرو بن عدي : تهيأ واستعد ولا تطلن[1] دم خالك . قال : « وكيف بها وهي أمنع من عقاب الجو ؟ » فذهبت مثلا .

وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها فقالت : أرى هلاكك بسبب غلام مهين غير امين وهو عمرو بن عدي ولن تموتي بيده ولكن حتفك بيدك ومن قبله ما يكون ذلك .

فحذرت عمراً واتخذت لها نفقاً من مجلسها الذي كانت تجلس فيه الى حصن لها في داخل مدينتها . وقالت : ان فاجأني أمر دخلت النفق الى حصني ودعت رجلاً مصوراً مـــن أجود أهل بلاده تصويراً واحسنهم عملاً فجهزته واحسنت اليه وقالت : سر حتى تقدم على عمرو بن عدي متنكراً فتخلو بحشمه فتنضم اليهم وتخالطهم وتعلمهم مـا عندك من العلم بالصور ثم اثبت لي عمرو بن عدي ممرفة فصوره جالساً وقائماً وراكباً ومتفضلا[2] ومتسلحاً بهيئته ولبسته ولونه فإذا احكمت ذلك فاقبل الي .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدي وصنع الذي أمرته به الزباء وبلغ من ذلك ما أوصته به ثم رجع الى الزباء بعلم ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت ان تعرف عمرو بن عدي فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرته وعلمت علمه .

وقـــال قصير لعمرو بن عدي اجدع انفي واضرب ظهري ودعني واياها فقال عمرو ما انا بفاعل وما انت لذلك مستحقاً عندي فقال قصير :

---

(١) طل دمه هدره أو الايثار به . (٢) المتفضل اللابس ثوباً واحداً اذا أراد الخفة في العمل .

Marfat.com

« خل عني اذن وخلاك ذم » فذهبت مثلا . فقال له عمرو فأنت أبصر ، فجدع قصير أنفه وأثر آثاراً بظهره ، فقالت العرب : « لأمر ما جدع قصير انفه [١] » فذهبت مثلا .

ثم خرج قصير كأنه هارب وأظهر ان عمراً فعل ذلك به وانه زعم انه مكر بخاله جذيمة وغره من الزباء فسار حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيراً بالباب فأمرت به فأدخل فإذا انفه قد جدع وظهره قد ضرب فقالت : ما الذي بك يا قصير قال : زعم عمرو اني قد غررت خاله وزينت له المصير اليك وغششته ومالأتك ففعل بي ما ترين فأقبلت اليك فأكرمته وأصابت عنده من الرأي والحزم ما أرادت .

فلما عرف انها استرسلت اليه ووثقت به قال : ان لي بالعراق اموالاً كثيرة وطرائف وثياباً وعطراً فابعثيني الى العراق لأحمل ما لي واحمل اليك من بزها [٢] وطرائفها وثيابها وطيبها لتصيبي من ذلك ارباحاً عظيمة وبعض ما لا غنى للملوك عنه وكان اكثر ما يطرفها من الصرفان [٣] وكان يعجبها فلم يزل يزين ذلك حتى اذنت له ودفعت اليه اموالاً وجهزت معه عبيداً .

فسار قصير بما دفعته اليه حتى قدم العراق واتى الحيرة متنكراً فدخل على عمرو بن عدي فأخبره الخبر وقال : جهزني بصنوف البز والامتعة لعل الله يمكن من الزباء فتصيب ثأرك وتقتل عدوك فاعطاه حاجته .

فرجع بذلك الى الزباء فاعجبها ما رأت وسرها وازدادت به ثقة وجهزته ثانية فسار حتى قدم عمرو فجهزه وعاد اليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو اجمع لي ثقات اصحابك وهيىء الغرائر واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين فإذا دخلوا مدينة الزباء اقمتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه وان اقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف .

---

(١) ذهبت امثالا . (٢) البز الثياب . (٣) الصرفان : تمر رزين صلب .

Marfat.com

ففعل عمرو ذلك وحمل الرجال في الغرائر بالسلاح وسار يكمن النهار ويسري بالليل فلما صار قريباً من مدينتها تقدم قصير فبشرها واعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف وقال لها : « آخر البز على القلوص »[1] فذهبت مثلا وسألها ان تخرج فتنظر الى ما جاء به وقال لها : « جئت بما صاء وصمت »[2] فذهبت مثلا .

ثم خرجت الزباء فأبصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل احمالها فقالت يا قصير :

ما للجمال مشيها وئيداً أجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا تارزا[3] شديدا ؟

فقال قصير في نفسه : بل الرجال قبضاً قعوداً .

فدخلت الابل المدينة حتى كان آخرها بعيراً مر على باب المدينة وكانت بيده منخسة فنخس بها الغرارة فاصابت خاصرة الرجل الذي فيها فسمع له صوتاً فقال : « شر في الجوالق » فذهبت مثلا .

فلما توسطت الابـــل المدينة انيخت ودل قصير عمراً على باب النفق الذي كانت الزباء تدخله وأرته اياه قبل ذلك وخرج الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق واقبلت الزباء تريده فابصرت عمراً فعرفته بالصورة التي صورت لهـــا فمصت خاتمها — وكان فيه السم — وقالت : « بيدي لا بيـــد عمرو فذهبت مثلا . وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها واصاب ما اصاب من المدينة واهلها وانكفأ راجعاً الى العراق .

قصص العرب

---

(١) القلوص : الطويلة القوائم من الابل . (٢) صاء وصمت : أراد بـــا صاء الشاء والابل وبما صمت : الذهب والفضة . يريد أنه جاء بكل شيء . (٣) التار : اليابس .

Marfat.com

عكاظ

في الجنوب الشرقي من مكة المكرمة وعلى بعد نحو عشرة أميال من الطائف ونحو ثلاثين ميلا من مكة مكان منبسط في واد فسيح به نخل وبه ماء وبه صخور يسمى هذا المكان عكاظ ، وكانت تقام به سوق سنوية تسمى سوق عكاظ . وقد اختلف اللغويون في اشتقاق الكلمة فقال بعضهم اشتقت من تعكظ القوم اذا تحبسوا لينظروا في امورهم ، وقال غيرهم عكاظ لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضاً بالمفاخرة اي يسركه ويقهره كما اختلفت القبائل في صرفها وعدم صرفها ، فالحجازيون يصرفونها وتميم لا تصرفها ، وعلى اللغتين ورد الشعر : قال دريد بن الصمة : تغيبت عن يومي عكاظ كليهما .

وقال ابو ذويب :

اذا بنى القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الالوف

وكان للعرب اسواق كثيرة محلية كسوق صنعاء وسوق حضرموت وسوق صحار وسوق الشحر ، انما يجتمع فيها غالباً أهلها واقرب الناس اليها . وبجانب هذه الأسواق الخاصة اسواق عامة لقبائل العرب جميعها أهمها سوق عكاظ .

وكان يأتي عكاظ قريش وهوازن وغطفان والأحابيش وطوائف من افناء العرب ، وكانت كل قبيلة تنزل في مكان خاص من السوق . ففي الخبر ان رسول الله ﷺ ذهب مع عمه العباس الى عكاظ ليريه العباس منازل الاحياء فيها ويروى كذلك ان رسول الله جاء كندة في منازلهم

Marfat.com

بعكاظ .

بل كان يشترك في سوق عكاظ اليمنيون والحيريون . يقول المرزوقي : كان في عكاظ أشياء ليست في أسواق العرب كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد والحلة الحسنة والمركوب الفاره ، فيقف بها وينادي عليه ليأخذه أعز العرب يراد ذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجائزته .

واختلفت الاقوال في موعد انعقادها واكثرها على انـه كان في ذي القعدة من اوله الى عشرين منه او من نصفه الى آخره . قال المرزوقي في تاريخ مكة : فـاذا كان الحج خرج الناس الى مواسمهم فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة فيقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها اسواقهم بعكاظ والناس على مداعيهم ورياتهم منحازين في المنازل تضبط كل قبيلة اشرافها وقادتها ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء ويجتمعون في بطن السوق فاذا مضت العشرون انصرفوا الى مجنة فاقاموا بهـا عشراً اسواقهم قائمة فإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي المجاز ثم الى عرفة وكانت قريش وغيرها من العرب تقول لا تحضروا سوق عـكاظ والمجنة وذا المجاز الا محرمـين بالحج ، وكانوا يعظمون ان ياتوا شيئاً من المحارم او يعدو بعضهم على بعض في الأشهر الحرم وفي الحرم .

وكانت سوق عكاظ تقوم بوظائف شتى فهي أول كل شيء متجر تعرض فيه السلع على اختلاف انواعها يعرض فيه الادم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشي ويباع به الرقيق ويعرض فيه كل سلعة عزيزة وغير عزيزة فما يهديه الملوك يباع بسوق عكاظ .

ولم تكن العروض التي تعرض في سوق عكاظ قاصرة على منتجات جزيرة العرب فالنعمان يبعث الى سوق عكاظ بمتجر من حاصلات الحيرة وفارس لتباع ويشتري بثمنها حاصلات اخرى بل كان يباع في عكاظ

Marfat.com

سلع من مصر والشام والعراق .

وكانت السوق تقوم بأعمال مختلفة اجتماعية فمن كانت له خصومة عظيمة انتظر موسم عكاظ . كانوا اذا غدر الرجل او جنى جناية عظيمة انطلق احدهم حتى يرفع له راية غدر بعكاظ فيقوم رجل فيخطب بذلك الغدْر فيقول الا ان فلان ابن فلان غدر فاعرفوا وجهه ولا تصاهروه ولا تجالسوه ولا تسمعوا منه قولاً فان اعتب وإلا جعل له مثل مثاله في رمح فنصب بعكاظ فلعن ورجم .

ومن كان له حاجة استصرخ القبائل بعكاظ كالذي حكى الاصفهاني ان رجلاً من هوازن اسر فاستغاث اخوه بقوم فلم يغيثوه فركب الى موسم عكاظ وأتى منازل مذحج يستصرخهم .

ومن كان صعلوكاً فاجراً خلعته قبيلته ان شاءت بسوق عكاظ وتبرأت منه ومن فعاله كالذي فعلت خزاعة خلعت قيس بن منقذ بسوق عكاظ واشهدت على نفسها بخلعهـــا اياه وانها لا تحتمل له جريرة ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه .

ومن كان داعياً الى اصلاح اجتماعي أو انقلاب ديني كان يرى ان خير فرصة له سوق عكاظ والقبائل من انحاء الجزيرة مجتمعه فمن قبل الدعوة كان من السهل ان يكون داعياً في قومه إذ عاد اليهم فنرى قس بن ساعدة يقف بسوق عكاظ يدعو دعوته ويخطب فيها خطبته المشهورة على جمل له أورق فيرغب ويرهب ويحذر وينذر .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتجه الى دعوة الناس بعكاظ لانها مجمع القبائل . روى الواقدي ان رسول الله اقام ثلاث سنين من نبوته مستخفياً ثم اعلن في الرابعة فدعا عشر سنين يوافي الموسم يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ والمجنة وذي المجاز يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة فلا يجد أحداً ينصره حتى انه يسأل عـــن

Marfat.com

القبائل ومنازلهم قبيلة قبيلة حتى انتهى الى بني عامر بن صعصعة فلم يلق من أحد من الاذى ما لقي منهم .

كذلك كان لعكاظ أثر كبير لغوي وأدبي فقد رأينا قبائل العرب على اختلافها من قحطانيين وعدنانيين تنزل بها وملك الحيرة يبعث تجارته اليها ويأتي التجار من مصر والشام والعراق فكان ذلك وسيلة من وسائل تفاهم القبائل وتقارب اللهجات واختيار القبائل بعضها من بعض ما ترى انه أليق بها وأنسب لها ، كما ان التجار من البلدان المتمدنة كالشام ومصر والعراق كانوا يطلعون العرب على شيء مما رأوا من أحوال تلك الامم الاجتماعية ، وفوق هذا كانت عكاظ معرضاً للبلاغة ومدرسة بدوية يلقى فيها الشعر والخطب وينقد ذلك كله ويهذب . قـــال ابو المنذر : كانت بعكاظ منابر في الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعدّ مآثره وايام قومه من عام الى عام فيما اخذت العرب ايامها وفخرها .

وكان على سوق عكاظ كلها رئيس اليه أمر الموسم واليه القضاء بين المتخاصمين قال ابو المنذر : وتزعم مضر ان أمر الموسم وقضاء عكاظ كان في بني تميم .

ومن العسير جداً ان نحدد بدء عكاظ فلم نجد في ذلك خبراً يصح التعويل عليه . وظلت سوق عكاظ تقوم كل سنة وكانت فيهـــا قبيل الاسلام حروب الفجار . وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة وشهدها النبي وهو ابن اربع عشرة سنة مع اعمامه وقال : كنت يوم الفجار أنبل على عمومتي . واستمرت هذه الحروب نحو اربع سنوات .

واستمرت عكاظ في الاسلام وكان يعين فيها من يقضي بين الناس فعين محمد بن سفيـــان بن مجاشع قاضياً لعكاظ وكان ابوه يقضي بينهم في الجاهلية وصار ذلك ميراثاً لهم . ولكن يظهر ان هذه الاسواق ضعف

Marfat.com

شانها بعد الفتوح فاصبحت البلاد المفتوحة اسواقاً للعرب خيراً من سوق عكاظ وصار العرب يغشون المدن الكبرى لقضاء اغراضهم فضعفت اسواق العرب ومنها عكاظ ومع ذلك ظلت قائمة وكان آخر العهد بهـــا قبيل سقوط الدولة الاموية .

فعكاظ عاصرت العصر الجاهلي الذي كان فيه ما وصل الينا من شعر وأدب وجرت فيها احداث تتصل بحياة النبي ﷺ قبيل مبعثه ومهدت السبيل قبيل الاسلام لتوحيد اللغة والادب وعملت على ازالة الفوارق بين عقليات القبائل وقصدها النبي ﷺ يبث فيها دعوته وعاصرت الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الاموي ولكن كانت حياتها في الاسلام أضعف من حياتها قبله وبدا ضعفها من وقت الهجرة لما كان من غزوات وحروب بين مكة والمدينة أو بين المؤمنين والمشركين فلما فتحت الفتوح رأى العرب في أسواق المدن المتحضرة في فارس والشام والعراق ومصر عوضاً عنها ثم كانت ثورة ابي حمزة الخارجي بمكة فلم يأمن الناس على أموالهم فخربت السوق وختمت صحيفة لحياة حافلة ذات أثر سياسي واجتماعي وأدبي .

احمـــد أمين

« باختصار »

Marfat.com

في صحن الجامع الاموي

في امسية طلقة (من صيف سنة ٨٤٩ هـ) خرج الناس – على عادتهم – الى صحن المسجد الاموي فبسطوا فيه البسط واسرجوا السرج حتى (كاد المسجد يقطر ذهباً ويشتعل لهباً) واقبلوا عليه زرافات ووحدانا يقضون بالصلاة حق الله عليهم وبالاجتماع والتعاون حق بعضهم على بعض ويعودون بثواب الله واطمئنان النفس وراحة البال .

وليس أشهى الى النفس ولا احلى في العين من صحن الاموي في ليالي الصيف وان المرء ليطوف ما يطوف وينشق عبير الازهار ويسمع تغريد الاطيار ويصعد الجبال تتفجر منها العيون ويدخل الجنان تجري من تحتها الانهار ثم يعود الى الأموي فيراه اجمل من ذلك كله ويجد في نفسه حين يجلس فيه هزة طرب ونفحة انس لا يجدهما في شيء من ذاك .

وكانت عشية ريحة تنسم نسماناً منعشاً فامتلأ المسجد بالناس وهم بين متوضىء يخلع رداءه فيلقي به على بلاط المسجد الابيض الناعم ويسرع الى قبة الماء وهي (في وسط الصحن) وهي صغيرة مثمنة من رخام عجيب محكم الالصاق قائمة على اربع سوار من الرخام الناصع وتحتها شباك حديد وفي وسطه انبوب نحاسي يمج الماء الى علو فيرتفع ثم ينثني كأنه قضيب (لجين) [1] وقد زينت جوانبها بالمصابيح .

ومصل يبتغي جماعة فلا يلبث حتى يجدها فيقوم في الصف خاشعاً يشغله جلال الله الذي يقف بين يديه عن الدنيا التي خلفها وراء ظهره.

وجالس الى حلقة من هذه الحلقات الكثيرة يستمع الى محدث او فقيه

«١» هذا الوصف لابن بطوطة وقد زارها في آخر الربع الاول من القرن الثامن .

Marfat.com

او واعظ او ينصت لقاريء او يذكر الله مع الذاكرين او مستند الى اسطوانة من الاساطين او محتب تحت رواق من الأروقة يقرأ في مصحف او ينظر في كتاب او يسبح على أصابعه او يتفكر في شأن من الشؤون او ينتظر الصلاة فينعم بجمال المسجد ورقة النسيم ويكون من انتظاره الصلاة كأنه في صلاة .

وكان حيال قبة زين العابدين (قبة الساعات) في شرق المسجد رجل رث الثياب ما عليه الا مزق مردمة وخلقان بالية يرنو بعينه الى الناس تارة ، وينظر الى المسجد اخرى فيقرأ فيه تاريخا جليلاً يقرأه في هذه القبة الباذخة قبة النسر وهي (من اعجب مباني الدنيا ومن اي جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة في الهواء منيفة على جميع مباني البلد (وليس في دمشق شيء أعلى ولا أبهى منظراً منها) .

وهذه المنارة العالية التي يسميها الناس (منارة عيسى) لما جاء في الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق ويعجب من سموقها وارتفاعها وهذه المنارة الغريبة التي بناها المسلمون فأجادوا بنيانها ووضعوا فيها العجائب من براعة الزخرف ودقة النحت والضبط والاحكام والمنارة الشمالية (منارة العروس) وقد ازينت واوقدت فيها المصابيح وقام في شرفتها المطلة على الصحن الموقت ليعلن دخول العشاء .

ودخل المسجد قروي له مسألة فسأل عن مجلس المفتين حتى دل عليه عند قبة عائشة فجاء فعرض عليهم مسألته فلم يجد عند واحد منهم جوابها فذهب يدور على الفقهاء والمحدثين يسألهم فلم يفز منهم بطائل فيئس منهم وهمّ بالخروج من المسجد ... والفقير ينظر اليه ويعجب من حاله وحالهم ، وعز عليه ان ينصرف آيساً فاشار اليه فلما جاءه قال : اعرض علي مسألتك .

فضحك القروي وصاح : انظروا يا قوم الى هذا المجنون يزعم انه

Marfat.com

يجيبني عن مسألتي وقد اعجزت المفتين والفقهاء واصحاب الحديث فأقبل الناس على الصوت وطفقوا يتكلمون فقال قائل : دعه فأنه مجنون وقائل لا عليك ان تسأله فلعل عنده علماً وقائل سله واحمل جوابه الى المفتين فانظر ما هم قائلون ؟

ثم سكتوا وسكت كل من في المسجد وانقطعت أصوات القـــراء والمدرسين والذاكرين ولم يبق فيهم متكلم لانها قد تكلمت فوق رؤوسهم النبوة وسمعوا (الله اكبر) تدوي في نواحي المسجد تهبط عليهم مـن المآذن كانما هي هابطة من السماء فيها روعة الوحي وجلال الدين وجمال الايمان فتقوضت المجالس ورصت الصفوف وتحاذت المناكب وقال الامام الله اكبر فماتت الدنيا في نفوسهم وأمحت منها الشهوات وطمست فيهـا الميول لأنه مهما يكن من كبير فالله اكبر ولا إله إلا الله .

فلما قضيت الصلاة عادوا الى القروي فقالوا له اذهب فسل صاحبك فذهب اليه فقال :

يا هذا زعمت انك قادر على الجواب فهل انت على قولك ؟ قال : استعين بالله . قال : وقد اعجزت المفتين وحيرتهم أفأنت تستطيع ان تجيب عليها ؟

قال : استعين بالله .

قال : هي كذا وكذا وقال : الجواب كيت وكيت وابتدر الفقير الباب وخف الناس بالقروي فقالوا : هل اجابك ؟ بمَ اجابك قل لنـا بماذا اجابك ؟

فقال : وما انا بقائل لكم حرفاً حتى القى المفتين وأسرع وأسرع معه الناس الى المفتين وقد عادوا الى مجلسهم فقال : أرأيتم ذلك الفقير ؟ قالوا : نعم . قال : قد أجابني عن مسألتي .

فضحكوا من جفائه وجهالته وقالوا : بمَ اجابك ؟ قال بكذا وكذا.

Marfat.com

فلما سمعوه وأخذ منهم الجد مأخذه ونظر بعضهم الى بعض وكلهم مشدوه حائر لا يدري مم يعجب أمن كثرة علم الرجل مع رثاثة هيئته أم من رثاثة هيئته مع كثرة علمـــه ثم انتهوا فقالوا : ويحكم ادركوا الرجل ان له لشاناً وما نظنه الا آية من آيات الله جاءت ترينا حقيقة العلم وسمو الفقر وجلال التواضع وأدركوا الرجل فقالوا : قد خرج .

قالوا : او ليس فيكم من يعرفه ؟

فقال رجل من القوم والله ما رأيناه إلا في السميصاتية [1] وقد نزلها منذ ايام فكان ينظف كنفها ومراحيضها ويتخذ مجلسه على الباب حتى اذنوا له بالدخول وما رأيناه الا عاكفاً على صلاة او مشتغلاً بتسبيح ولم يكلم احداً .

قال المفتون : ويحكم قوموا بنا اليه .

فلما دخلوا عليه قالوا له : من انت ؟

قال : رجل من الناس .

قالوا : قد سمعنا جوابك وانا نسألك بالله الذي لا إله إلا هو الا ما اخبرتنا من انت .

قال : انا لله وانا اليه راجعون امـــا وقد اقسمتم فانا ابو حامد الغزالي .

فصاحوا حجة الاسلام وانكبوا على يديه يقبلونها ويسألونه ان يعقد لهم مجلساً في الغد ثم انصرفوا .

فلما كان الغد نظروا فإذا الشيخ قد فارق دمشق .

علي الطنطاوي

«١» الخانقاه السيميصاتية وراء جدار الاموي الشمالي حيال الحديقة التي فيها اليوم قبر صلاح الدين الايوبي وهي قديمة قالوا انها كانت منزل عمر بن عبد العزيز وقد انشئت في السنين الاخيرة انشاء جديداً لتكون مدرسة نظامية لتدريس العلوم الاسلامية .

Marfat.com

وفود العرب على كسرى

- ١ -

حدث ابن القطامي عن الكلبي قال :

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم لا يستثني فارس ولا غيرها .

فقال كسرى — وأخذته عزة الملك — يا نعمان يا نعمان لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ونظرت في حال من يتقدم علي مـــن وفود الامم فوجدت الروم لها حظ في اجتماع ألفتها وعظم سلطانهـــا وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها .

ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة انهار بلادها وثمارها وعجيب صناعاتها وطيب اشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات ايديها وفروسيتها وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها ملكاً يجمعها والترك والخزر — على ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف [1] والمثار والحصون ومـا هم رأس عمارة الدنيا مـــن المساكن والملابس — لهم ملوك تضم قواصيهم وتدبر امرهم . ولم أر للعرب شيئاً مـــن خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة ومع ان مما يدل على مهانتها وذلهـــا وصغر همتها محلتهم التي هم بها مـــع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون

---

(١) أرض فيها خصب وزرع .

نسخة مجانية

Marfat.com

أولادهم من الفاقة [١] ويأكل بعضهم بعضاً من الحـــاجة قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها فافضل طعام ظفر بـه ناعمهم لحوم الابل التي يعافهـــا [٢] كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها . وان قرى [٣] احـــدهم ضيفاً عدها مكرمة وان أطعم أكلة عدها غنيمة — تنطق بذلك اشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ما خلا هذه التنوخية التي اسس جدي اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها فجرى لها ذلك الى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثاراً ولبوساً [٤] وقرى وحصوناً وأموراً تشبه بعض امور الناس (يعني اليمن) ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا ان تنزلقوا فوق مراتب الناس .

قال النعمان : « اصلح الله الملك حق لأمة [٥] الملك منها ان يسمو فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها ، الا ان عندي جواباً في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له فان أمنني من غضبه نطقت به » قال كسرى قل فانت آمن قال النعمان :

أما امتك — ايها الملك — فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها واحلامها وبسطة محلها ورجبوحة [٦] عزهـا ومـا اكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك ، واما الامم التي ذكرت فاي امة تقرنها بالعرب الا فضلتها . قال كسرى : بماذا ؟ قال النعمان :

بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها .

فأما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك وقادوا الجند ولم يطمع فيهم طامع ولم يذلهم نائل ، حصونهم

« ١ » الفقر . « ٢ » يكرهها ويزهد فيها . « ٣ » اكرمه وقدم له الطعام وغيره . « ٤ » المراد منه هنا الدرع . « ٥ » يحق لها ويجدر بها . « ٦ » سعة العيش ورغده .

Marfat.com

ظهور خيلهم ومهـــادهم الارض، وسقوفهم السماء ، وجنتهم [١] السيوف وعدتهم الصبر ، اذ غيرها من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور .

واما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة والصين المنحفة والترك المشوهة والروم المقشرة .

واما انسابها واحسابها فليست امة من الأمم الا وقـــد جهلت آباءها واصولها وكثيراً من اولها ، حتى ان احدهم ليسأل عمن وراء ابيه دنيا [٢] فلا ينسبه ولا يعرفه وليس احد من العرب الا يسمي آباءه اباً فأباً احاطوا بذلك احسابهم وحفظوا انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعى الى غير ابيه .

واما سخاؤها فأن ادناهم رجلاً تكون عنده البكرة والناب [٣] عليها بلاغة [٤] في حموله [٥] وشبعه وريه فبطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة [٦] ويجتزىء بالشربة فيعقرها [٧] له ويرضى ان يخرج عن دنياه فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر .

واما حكمة ألسنتهم فأن الله تعالى اعطاهم في اشعارهم رونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشياء وضربهم للأمثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الاجناس ثم خيلهم افضل الخيل ونساؤهم أعف النساء ولباسهم افضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجـــارة جبالهم الجزع [٨] ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر ولا يقطع بمثلهـا بلد قفر .

واما دينها وشريعتها فانهم متمسكون به حتى يبلغ احدهم نسكه

---

(١) الترس ونحوه يتخذ للوقاية . (٢) يقال هو ابن عمي دنيا أي لحا. (٣) المسن من الابل. (٤) الكفاية . (٥) جمع حمـــل كالاحمال . (٦) القطعة من الشيء . (٧) بكسر القاف أي بضرب قوائمها بالسيف ليذبحها . (٨) الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض .

Marfat.com

ان لهم اشهراً حرماً وبلداً محرماً وبيتاً محجوجاً يلتمسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل ابيه او اخيه وهو قادر على أخذ ثأره وادراك رغمه [١] منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله باذى .

واما وفاؤها فان احدهم يلحظ اللحظة ويومىء بالايماءة فهي ولث [٢] وعقـــدة لا يحلها الا خروج نفسه وان احدهم يرفع عوداً من الارض فيكون رهنا بدَينه فلا يغلق رهنه [٣] ولا تخفر ذمته [٤] وان احدهم ليبلغه ان رجلا استجار به وعسى ان يكون نائياً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي اصابته او تفنى قبيلته لما اخفر مـــن جواره وانه ليلجا اليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه واموالهم دون ماله .

اما قولك ايها الملك يئدون اولادهم فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث انفة من العار وغيرة من الازواج .

واما قولك ان افضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها الا احتقاراً له فعمدوا الى اجلها وافضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها أكثر البهائم شحوماً واطيبها لحماً وأرقهـا البانا واقلها غائلة [٥] واحلاها مضغة وانه لا شيء من اللحمان يعـــالج ما يعالج به لحمها الا استبان فضلها عليه .

واما تحاربهم واكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجـــل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا أِنست من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وانه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون اليهم أمورهم

«١» اذلاله والرغم القسر والاذلال . «٢» العهد . «٣» استحقه المرتهن . «٤» لا ينقض عهده . «٥» الشر .

Marfat.com

وينقادون لهم بأزمتهم وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا ن يكونوا ملوكاً اجمعين مع انفتهم من اداء الخراج .

واما اليمن التي وصفها الملك فإنما اتى جد الملك الذي أتاه عند غلبة الجيش له على ملك متسق وأمر مجتمع فأتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً قد تقاصر عن ايوانه وصغر في عينه ما شيد من بنائه ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال الى مجال ولوجد من يجيد الطعان ويغضب للاحرار من غلبة العبيد الاشرار .

فعجب كسرى لما أجابه النعمان به وقال : انك لاهل لموضعك من الرياسة في أهل اقليمك ولما هو افضل ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة .

٢

فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من نقص العرب وتهجين [١] أمرهم بعث إلى اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين والى الحرث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين وإلى خالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين والى عمرو بن الشريد السلمي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي والحارث بن ظالم المري فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم :

قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت ان يكون لها غوراو يكون انما اظهرها لأمر أراد ان يتخذ به العرب خَولا كبعض طماطمته [٢] في تأتيهم الخراج اليه كما يفعل بملوك الامم الذين حوله فقص عليهم مقالات كسرى وما رد عليه .

فقالوا : ايها الملك وفقك الله ما أحسن ما رددت وابلغ ما حججت

---

(١) التقبيح . (٢) الذين في السنتهم عجمة مفرده طمطم وطمطمي وطمطماني .

Marfat.com

به فمرنا بأمرك وادعنا بما شئت .

قال : انما انا رجل منكم وإنما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم . وليس شيء أحب إلي مما سدد الله به أمركم وأصلح به شأنكم وادام به عزكم ، والرأي ان تسيروا بجماعتكم — ايها الرهط — وتنطلقوا إلى كسرى فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ما ظن او حدثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه فإنه ملك عظيم السلطان كثير الاعوان مترف معجب بنفسه ولا تنخذلوا [1] له انخذال الخاضع الذليل وليكن أمر بين ذلك تظهر بـــه وثاقة حلومكم وفضل منزلتكم وعظيم اخطاركم وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام اكثم بن صيفي لسنى حاله ثم تتابعوا على الأمر مـــن منازلكم التي وضعتكم بهـا فإنما دعاني الى التقدمة اليكم علمي بميل كل رجل منكم الى التقدم قبل صاحبه فـــلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعناً فإنه ملك مترف وقادر متسلط .

ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك لكل رجل منهم حلة وعممه عمامة وختمه بياقوتة وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية [2] وفرس نجيبة [3] وكتب معهم كتاباً « اما بعد فإن الملك القى الي من العرب ما قد علم واجبته بما قد فهم بهـا احببت ان يكون منه على علم ولا يتاجلج في نفسه ان امة من الامم التي احتجزت دونه لملكتها وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها في شيء من الامور التي يعززها بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة وقد أوفدت — ايها الملك — رهطاً من العرب لهم فضل في احسابهم وانسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك وليغمض عن جفاء ان ظهر من منطقهم وليكرمني بإكرامهم وتعجيل سراحهم وقد

---

(١) لا تمشوا بتثاقل . (٢) نسبة الى مهره وهي منطقة تنسب اليها الابل النجيبة .
(٣) البعير أو الفرس العتيق الكرم .

Marfat.com

نسبتهم في أسفل كتابي هذا الى عشائرهم » .

فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا اليه كتاب النعمان فقرأه وأمر بإنزالهم الى ان يجلس لهم مجلساً يسمع منهم فلما ان كان بعد ذلك بأيام أمر الرؤساء ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ثم دعا بهم على الولاء (١) والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام الترجمان يؤدي اليه كلامهم ثم اذن لهم في الكلام .

فتكلم كل رجل بما حضره وكسرى يسمع فيقبل ما يعجبه ويقوّم ما يراه معوجاً حتى انتهوا فقال :

قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم وتفنن فيه متكلموكم ولولا اني اعلم ان الادب لم يثقف اودكم (٢) ولم يحكم امركم وانه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة فنطقتم بما استولى على السنتكم وغلب على طباعكم — لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به وأني لأكره ان أجيبه وفودي او احنق صدورهم والذي احب اصلاح مُدْبركم وتألف شواذكم والاعذار الى الله فيما بيني بينكم وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من خلل فانصرفوا الى ملككم فأحسنوا مؤازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم واقيموا اودكم واحسنوا أدبهم — فإن في ذلك صلاح العامة .

---

(١) التوالي من والى . (٢) الاعوجاج .

نسخة مجانية

Marfat.com

سفينة الصحراء

كان الجمـــل من أهم الدواب التي استأنسها الانسان ليستخدمها في خدمة أغراضه المختلفة على مر العصور ، فقد كان هذا الحيوان وما زال يستخدم في مناطق كثيرة كدابة من دواب الحمل ووسيلة من وسائل النقل عبر الفيافي والقفار ، وكان عماداً لقوافـــل التجارة عبر الصحراء العربية ، وبين البحرين الأبيض والأحمر ، وبين مصر والسودان ، وفي غيرها من طرق القوافل ودروبها ، كما انه يستخدم في اعمال الزراعـــة والحرث في كثير من مناطق القارة الافريقية وكذلك في آسيا . والنوق لم تبخل على الانسان بما تدره من لبن كان له غذاء مستساغاً . اما وبر الجمل او صوفه فقد صنع منه الانسان أردية وأغطية تقيه قارس البرد ولافح الريح ، ومن جلود الإبـــل صنع الاعراب خيامهم التي يهجعون اليها طلباً للراحة واتقاء للقيظ .

ومن غريب ما يطالعنا به علماء الجيولوجيا ان العائلة التي تنتمي اليها الجمال ظهرت اول ما ظهرت في امريكا الشمالية ثم مـا لبثت حيوانات تلك العائلة ان انتشرت على مر الملايين من السنين الى امريكا الجنوبية والى آسيا عبر قناطر أرضية كانت تصل بين هـــذه القارات في تلك العصور ، على ان الاسلاف التي كانت تقطن امريكا الشمالية مـــا لبثت ان لحقها الانقراض جميعاً ولم يبق بأمريكا الجنوبية على قيد الحياة سوى أقارب للجمل تمثلها أنواع اللاما التي تقطن مرتفعات جبال الأنديز والتي يستخدمها الاهالي ايضاً كدواب للحمل كما انهم يصنعون من وبر بعض انواعها اردية ومعاطف ثمينة .

Marfat.com

ولم يبق على قيد الحياة من انواع الجمال في القارتين الافريقية والاسيوية سوى نوعين همـــا الجمل العربي ذو السنام الواحد والمعروف في شبه جزيرة العرب وبلدان الشرق الاوسط وشمال افريقيا المسمى (الدروميداري) اما النوع الآخر فهو يقطن بلدان آسيا الوسطى وهو ذو سنامين وجسمه

الجمـــل سفينة الصحراء

مغطى بشعر طويل كثيف يقيه شدة البرد مما يجعله أكثر ملاءمة للحياة في المناطق المرتفعة الباردة ، وتقتصر الاشارة في هذا المقال على النوع الاول او الدروميداري .

والابل تعمل في خدمة الانسان منذ ما يقرب من خمسة آلاف عام ، فقد كان الجمل معروفاً في الصين القديمة كما كان البابليون يستخدمونه

Marfat.com

منذ ثلاثة آلاف سنة . وقد تردد ذكر الجمل في كتب التوراة في اكثر من موضع .

والجمل على ما يبديه من صبر وهدوء واستسلام عنيد صعب المراس لا يرضى سوء المعاملة كما ان له ذاكرة قوية فهو يحمـــل الضغينة لفترة طويلة ويظل يتحين الفرص للأخذ بثأره ويتخير لذلك لحظة يكون فيها غريمه غافلاً عن أمره .

وقد حبيت الابل بصفات نادرة جعلت منها حيوانات مثالية لا غنى للانسان عنها في مواطنها الصحراوية وفي المناطق القاحلة ، فأصبح الجمل ذا قيمة اقتصادية عظيمة في بعض بلاد افريقيا وآسيا ، فهو حيوان قوي يستطيع ان يتحمل شظف العيش وطول الحرمان ، ومن الصفات التي يتحلى بها الجمل ويوائم بها حياته في الصحراء فتساعده على تحمل ما في تلك الحياة من قسوة وجود صفين مـــن الرموش الطويلة حول العينين تعمل هذه الرموش المزدوجة عـــلى وقاية العين من حبات الرمال التي تذروهـــا العواصف الصحراوية كما ان المنخرين مزودان بشعر كثيف ، ويسهل على الحيوان اغلاقهما اذا ما عصفت الريح واشتد زئيرها ، وارجل الجمل طويلة وأخفافه عريضة مفلطحة مما يساعده على الخطو فوق الرمال الناعمة وبكل قدم اصبعان فقط والقدم مزود بوسادة سميكة مرنة تتفلطح الى الجانبين عندما تطأ القدم الارض ، ويتصل بكل قدم من الامام ظفران صغيران ، امـــا السنام الذي يعتلي ظهر الجمل فهو عبارة عـــن كتلة من النسيج الدهني المختزن يلتجأ اليه الحيوان فيستغل ما به مـــن مواد دهنية اذا ما نقص الغذاء او تعذر عليه العثور على ما يقتات به ، ويختلف حجم السنام باختلاف الظروف التي تمر بالحيوان ، فهو يضمر جداً ويكاد يختفي بعد فترات من العمل الشاق او قلة الغذاء ، ويكبر حجمه ويصبح مكتنزاً بعد فترات من الراحة والغذاء الكافي .

Marfat.com

وينتمي الجمل الى مجموعة الحيوانات المجترة وهـــو يشترك مع تلك الحيوانات في ان معدته مقسمة الى عدة تجاويف تقوم كل منهـا بوظيفة معينة في مراحل هضم الطعام ، على ان جدار احدى تجاويف المعدة في الجمل به تركيب لا يوجد في اي من المجترات الاخرى اذ يحتوي على مجموعات من الحجرات الصغيرة تعرف بالأكياس المائية ، وتنشأ الأكياس المائية نتيجة لنمو حواجز رأسية واخرى افقية تبرز من جدار المعدة الداخلي وتتقاطع فتحصر بينها تلك الأكياس ، ولكل كيس غطاء عضلي يمكن بواسطته اغلاق فوهته المطلة على فراغ المعدة .

وتعتمد المدة التي يقضيها الجمل دون ان يشرب الماء عـــلى الظروف المحيطة بـــه . فهو يستطيع اثناء شتاء ممطران يستغني تماماً عن شرب الماء مكتفياً بما يحصل عليه من عصارة تحتويها النباتات الصحراوية التي يتغذى عليها والتي تكون غنية بالماء خلال فصل المطر . على ان فصول الشتاء في المناطق الصحراوية متباينة من حيث شدة المطر . وقد يمر الشتاء كله دون ان تجود السماء بقطرة ماء وبذلك تكون النباتات الصحراوية جافة عجفاء . وفي هذه الحالة لا بد للجمال ان تشرب الماء بين حين وآخر . وإذا اقتصر اغتذاء الحيوان على الاعشاب الجافة فإنـــه يتحمل الانقطاع عن شرب الماء لمدة اسبوعين في فصل الشتاء ، وفي خلال هذه المدة يفقد الجمل الماء من أنسجة جسمه عن عدة طرق مثله في ذلك مثل غيره من الحيوانات الثديية . فهو يفقد ماء يستهلك في تكرين السائل البولي كما يتبخر الماء مـــن رئتيه في اثناء التنفس وبذلك ينقص وزن الحيوان يومياً بمقدار ما فقده جسمه من ماء . فإذا ما قدم للحيوان ماء بعد انقضاء الاسبوعين الذين انقطع خلالها عنه فإنه يشرب منه مقداراً يعادل ما فقده من وزن جسمه فيعود وزنه إلى ما كان عليه .

ولا شك ان هناك ظلاً من الحقيقة في ان الجمـــل يختزن الماء في

Marfat.com

سنامه . اذ ان الحيوان عندما يلجأ الى استغلال ما بالسنام من دهـــن مختزن في انتاج الطاقة اللازمة لحياته فإن بعض ما يحتويه ذلك الدهن من عنصر الهيدروجين يتأكسد باتحاده بالاوكسجين مكوناً الماء . على ان كمية الماء الناتجة عن هـــذه العملية من الضآلة بحيث لا يمكن ان تفي بحاجة الحيوان خاصة وانه يعود فيفقدها مع هواء الزفير الخارج مـــن الرئتين في عملية التنفس .

وقد ثبت أن أهم العوامل التي تجعل للجمل القدرة عـــلى تحمل العطش هو قدرته على تحمل النقص الشديد في الماء الموجود بأنسجة جسمه وانه في خلال ذلك لا يفقد الماء من سائله الدموي إلا بنسبة ضئيلة جداً وهو يختلف في هـذا الشأن عن معظم الحيوانات الثديية الاخرى والتي تفقد نسبة كبيرة من الماء الموجود في دمائها اذا تعرضت لنفس الظروف مما يؤدي الى الموت السريع إذا لم يبادر الحيوان الى تجرع الماء .

ونخلص من ذلك الى ان الجمل يحتاج الى كميات من الماء تقل كثيراً عن تلك التي تحتاجها معظم الثدييات الاخرى الا انه لا بد له ان يشرب الماء إذا كان ما يغتذي عليه من نباتات صحراوية خلواً منه .

رمسيس لطفي

« باختصار »

Marfat.com

عروة وعفراء

هلك حزام وترك ابنه عروة صغيراً في حجر عمـــه عقال ، وكانت عفراء تربا لعروة يلعبان جميعاً ويكونان معاً حتى الف كل واحد منهما صاحبه الفاً شديداً ، وكان عقال يقول لعروة لما يرى من الفهما : ابشر فان عفراء امَتك ان شاء الله .

فكانا كذلك حتى كبرا فلحقت عفراء بالنساء ولحق عروة بالرجل فأتى عروة عمة له يقال لها هند ، وقال لها في بعض ما يقول : يا عمة إني لمكلمك في أمر عفراء واني منك لمستحي ، ولكن لم افعل هذا حتى ضقت ذرعاً بما انا فيه .

فذهبت عمته الى اخيها فقالت له: يا اخي قد اتيتك في حاجة احب ان تحسن بهـــا فان الله يأجرك لصلة رحمك بي . فقال لها : قولي فلن تسألي حاجة الا رددتك بها . قالت : تزوج عروة ابن اخيك بابنتك عفراء . فقال : ما عنه مذهب ولا هو دون رجل يرغب فيه ولا بنـــا عنه رغبة ، ولكنه ليس بذي مال وليست عليه عجلة .

فطابت نفس عروة وسكن بعض السكون ، وكانت امها سيئة الرأي فيه تريد لابنتها ذا مال ووفر .

فلما تكاملت سن عروة وبلغ أشده عرف ان رجلاً من قومه ذا يسار ومال كثير يخطبها . فأتى عمه فقال : يا عم قد عرفت حقي وقرابتي واني ولدك وربيت في حجرك، وقد بلغني ان رجلاً خطب عفراء فان اسعفته بطلبته قتلتني وسفكت دمي فأنشدك الله ورحمي وحقي. فرق له وقال: يا بني انت معدم وحالنا قريبة من حالك ولست مخرجها الى سواك وامها

Marfat.com

قد أبت ان تزوجها الا بمهر غال .

فضرب في الارض يبتغي الرزق ثم جاء الى امها فألطفها وداراها ، فأبت ان تجيبه الا بما تحتكمه من المهر وبعد ان يسوق شطره اليهـــا ، فوعدها بذلك وعلم انه لا تنفعه قرابة ولا غيرها الا المال الذي يطلبونه فعمل على قصد ابن عم له موسر وكان مقيماً بالري فجاء الى عمـــه وامرأته فأخبرهما بعزمه فصوباه ووعداه الا يحدث أمراً حتى يعود .

وصار في ليلة رحيله الى عفراء فجلس عندهـــا هو وجواري الحي يتحدثون حتى أصبحوا ثم ودعها وودع الحي وشد على راحلته وصحبه في طريقه فتيان كانا يألفانه وكان طول سفره ساهماً بكلماته فلا يفهم — فكره في عفراء — حتى يردا عليه القول مراراً .

وسار الى ان قدم على ابن عمه فلقيه وعرفه حاله وما قدم له فوصله وكساه وأعطاه مائة من الابل فانصرف بها إلى اهله .

وقد كان رجل من أهل الشام من انساب بني أمية نزل في حي عفراء فنحر ووهب وأطعم وكان ذا مال فرأى عفراء وكان منزله قريباً من منزلهم فأعجبته وخطبها الى ابيها فاعتذر اليه وقال : قد سميتها إلى ابن أخ لي يعد لها عندي وما اليها لغيره سبيل فقال : اني ارغبك في المهر قال : لا حاجة لي بذلك فعـــدل الى امها فوافق عندها قبولا لبذله ورغبت في ماله فأجابته : ووعدته وجاءت الى عقال وقالت : اي خير في عروة حتى تحبس ابنتي عليه وقد جاءها الغني يطرق بابها ؟ والله ما تدري أحي عروة أم ميت ؟ وهل ينقلب اليك بخير أو لا ؟ فتكون قد حرمت ابنتك خيراً حاضراً ورزقاً سنياً فلم تزل به حتى قال لها : فان عاد لي الاموي خاطباً أجبته .

فوجهت اليه ان عد اليه خاطباً فلما كان من غد نحر جزراً عدة واطعم ووهب وجمع الحي معه على طعامه وفيهم ابو عفراء فلما طعموا اعـــاد

Marfat.com

القول في الخطبة فأجابه وزوجه وساق اليـــه المهر وحولت اليه عفراء وقالت : قبل ان يدخل بها .

يا عرو ، ان الحي قد نقضوا عهد الاله ، وحاولوا الغدرا

فلما كان الليل دخل بها زوجها ، وأقام فيهم ثلاثاً ثم ارتحل بها الى الشام وعمد ابوها الى قبر عتيق فجدده وسواه وسأل الحي كتمان أمرها ، وقدم عروة بعد ايام فنعاها ابوها اليه وذهب به الى القبر فمكث يختلف اليه اياماً وهو مضنى هالك حتى جاءته جارية من جواري الحي فأخبرته الخبر فتركهم وركب بعض ابله واخذ معه زاداً ونفقة ورحل الى الشام فقدمها وسأل عن الرجل فأخبر به ودل عليه فقصده وانتسب اليه في عدنان فأكرمه وأحسن ضيافته فمكث اياماً حتى أنسوا به .

ثم قال لجارية لهم : هل لك في يد تولينيها ؟ فقالت : نعم . قال : تدفعين خاتمي هذا الى مولاتك فقالت : سوأة لك؟ اما تستحي لهذا القول فأمسك عنها ثم عاد عليها وقال لها : ويحك هي والله بنت عمي وما احد منا الا وهو اعز على صاحبه من الناس ، فاطرحي هذا الخاتم في صحنها فان أنكرت عليك فقولي لها اصطبح ضيفك قبلك ولعله سقط منه .

فرقت له الجارية وفعلت ما امرها به ، فلما شربت عفراء اللبن رأت الخاتم فعرفته فشهقت ثم قالت : اصدقيني الخبر فصدقتها فلما جاء زوجها قالت له : اتدري من ضيفك هذا ؟ قال : نعم فلان ابن فلان (للنسب الذي أنسبه له عروة) فقالت : كلا والله بل هو عروة بن حزام بن عمي وقد كتمك نفسه حياء منك فبعث اليه فدعاه وعاتبه على كتمانه نفسه اياه وقال له: بالرحب والسعة نشدتك الله ان رمت هذا المكان أبداً وخرج وتركه مـــع عفراء يتحدثان واوصى خادماً له بالاستماع عليهما واعادة ما تسمعه منها عليه .

Marfat.com

فلما خلوا تشاكيا ما وجدا بعد الفراق ، فطالت الشكوى وهو يبكي احر بكاء ، ثم اتته بشراب وسألته ان يشربه فقال : والله ما دخل جوفي حرام قط ولا ارتكبته منذ كنت ولو استحللت حراماً لكنت قد استحللته منك ، فانت حظي من الدنيا وقد ذهبت مني ، لقد ذهبت بعدك فما أعيش ، وقد اجمل هذا الرجل الكريم واحسن وانا استحي منه ووالله لا أقيم بعد علمه مكاني واني لأعلم اني راحل الى منيتي فبكت وبكى وانصرف .

فلما جاء زوجها أخبرته الجارية بما دار بينهما قال : عفراء امنعي ابن عمك من الخروج . فقالت : لا يمتنع هو والله اكرم واشد حياء من ان يقيم بعد ما بينكما فدعاه وقال له : يا اخي اتق الله في نفسك فقد عرفت خبرك وانك ان رحلت تلفت ووالله لا امنعك من الاجتماع معها أبداً ، ولئن شئت لأفارقنها ولأنزلن عنها لك فقال له : جزاك الله خيراً واثنى عليه وقال : انما كان الطمع اليها آفتي ، والآن قد يئست وحملت نفسي على الصبر فان اليأس يسلي ، ولي أمور لا بد من رجوعي اليها فان وجدت بي قوة على ذلك والا عدت اليكم وزرتكم حتى يقضي الله من امري ما يشاء ، فزودوه واكرموه وشيعوه فانصرف فلما رحل عنهم نكس بعد صلاحه وتماسكه واصابه غشي وخفقان فكان كلما اغمي عليه القي على وجهه حماراً لعفراء زودته اياه فيفيق .

ولقيه في الطريق ابن مكحول عراف اليمامة فرآه وجلس عنده وسأله عما به وهل هو خبل او جنون ؟ فقال له عروة : ألك علم بالأوجاع ؟ قال : نعم ، فانشأ يقول :

فما خبَل عندي ولا بيّ جنـــة ولكن عمي يا أخيّ كـــذوب
اقول لعراف اليمامـــة داوني فـــانك ان داويتني لطبيب
فيا كبداً أمست رفاتاً كانمـــا يلذّعها بالموقـــدات طبيب

Marfat.com

عشية لا عفـراء منك بعيدة ... فتسلو ولا عفراء منك قريب
فوالله لا انساك ما هبَّت الصبا ... ومـــا حقبتها في الرياح جنوب
واني لتعروني لذكراك هزة ... لهـا بين جلدي والعظـام دبيب

وقال يخاطب صاحبيه بقصته :

خليلي من عليا هلال بن عـامر ... بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني
ولاتزهدا في الاجرعندي واجملا ... فأنكما بي اليوم مبتليان
ألما على عفراء انكما غـــدا ... بشحط النوى والبين ممترفان
فيا واشي عفرا دعاني ونظرة ... تقر بها عينـــاي ، ثم كلاني
اغركما مني قميص لبستـــه ... جديد وبرداً يمنـــه زهيان
متى تكشفا عني القميص تبينـا ... بي الضر من عفراء يا فتيـــان
وتعترفـــا لحماً قليلاً وأعظـــما ... بلين وقلباً دائم الخفقان
على كبدي من حب عفراء قرحة ... وعيناي من وجدي بها تكفان
فعفراء أرجى الناس عندي مودة ... وعفراء عـني المعرض المتواني
فيا ليت كل اثنين بينهما هـوى ... مـن الناس والانعام يلتقيان
فيقضي حبيب من حبيب لبانـة ... ويرعاهمـــا ربي فلا يربان
هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى ... واني واياهـــا لمختلفان
تحملت من عفراء ما ليس لي به ... ولا للجبـــال الراسيات بدان
كأن قطاة علقت بجناحهـــا ... على كبدي من شدة الخفقـــان
وقد تركتني لا أعـــي لحدث ... حديثاً وان ناجيته ونجاني
جعلت لعراف اليمامـــة حكمة ... وعراف نجد ان همـــا شفياني
فقالا نعم تشفى من الداء كله ... وقامـــا مع العواد يبتدران
فما تركا من رقية يعلمـــانها ... ولا شربة الا وقد سقياني

نسخة مجانية

Marfat.com

وما شفيا الداء الذي بي كله ولا ذخرا نصحاً ولا ألواني
وقالا : شفاك الله والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوع يدان
فويل على عفراء ويلاً كأنـه على الصدر والاحشاء حد سنان
احب ابنة العذري حباً وان نأت ودانيت فيها غير ما متدان
فيا رب انت المستعان على الذي تحملت من عفراء منذ زمان

ثم توفي وهو راجع من الشام ، ولما بلغ عفراء موته قالت لزوجها : قد كان من خبر ابن عمي ما بلغك ووالله ما عرفت منه قط الا الحسن وقد مات في وبسببي ولا بد لي من ان اندبه فأقيم مأتماً عليه . قال : افعلي فما زالت تندبه ثلاثاً حتى توفيت في اليوم الرابع ، وبلغ معاوية ابن ابي سفيان خبرهما فقال : لو علمت بحال هذين الحرين الكريمين لجمعت بينهما .

قصص العرب

Marfat.com

المربد

المربد ضاحية من ضواحي البصرة في الجهة الغربية منها مما يلي البادية بينه وبين البصرة نحو ثلاثة اميال كان سوقاً للابل وهو واقع على طريق من ورد البصرة من البادية ومن خرج من البصرة اليها ويظهر انه نشأ سوقاً للابل انشأه العرب على طرف البادية يقضون فيه شؤونهم قبل ان يدخلوا الحضر او يخرجوا منه .

وقد كان للعرب في بادية العراق قبـــل الفتح الاسلامي ونزلت فيه قبائل من بكر وربيعة، وكوّنوا فيه امارات المناذرة في الحيرة فكان هذا الاقليم معروفاً لهم قبل الاسلام، وكانت الرحلات من البادية الى العراق ومن العراق الى البادية في حركة مستمرة، ومعلوم ان البصرة انما خططت في الاسلام في عهد عمر بن الخطاب، ونزل بها العرب على منازلهم من يمنية ومضرية، ولكن يظهر ان المربد كان قبل ان تخطط البصرة وكان قبل الاسلام .

واخباره في الجاهلية منقطعة او معدومـــة مما يدل على قلة خطره اذ ذاك، انما كان له الخطر بعد ان فتح العرب العراق وسكنوه وخططوا البصرة، فقد انشئت فيه المساكن بعد ان كان مربداً للابل فقط، واتصلت العمارة بينه وبين البصرة . وقد كان المربد في الاسلام صورة معادلة لعكاظ، كان سوقاً للتجارة وكان سوقاً للدعوات السياسية وكان سوقاً للأدب .

وليس يهمنا هنا أثره التجاري وانما يهمنا أثره السياسي والادبي وهما مرتبطان بعضهما ببعض اشد الارتباط فلا داعي للتفريق بينهما، فقد كانت

Marfat.com

الأحزاب السياسية تنتج أدباً من خطب وشعر ، وكانت الخطب والشعر تقوي الأحزاب السياسية وتساعد في تكوينها والحروب بينهما .

كانت أهم أخبار المربد في عصر الخلفاء الراشدين ما كان بعد قتل عثمان بن عفان من سير عائشة ام المؤمنين الى البصرة فأنها نزلت بفناء البصرة ورأت ان تبقى خارجها حتى ترسل الى أهلها تدعوهم بدعوتها وهي المطالبة بدم عثمان ، وبعبارة اخرى الخروج على علي ، وكان معها طلحة والزبير ، ثم سارت الى المربد معهما وخرج اليها من قبل دعوتها وخرج الى المربد كذلك عامل عليّ على البصرة وهو عثمان بن حنيف ومن يؤيده ، وأصبح المربد وهو يموج بمن أتى من الحجاز ومن خرج من البصرة مجالاً للخطباء ممن يؤيد عائشة ومن معها ومن يؤيد علياً وعامله ، اصحاب عائشة في ميمنة المربد واصحاب علي في ميسرته .

وهكذا ينتقل المربد الى مجمع حافل فيه الدعوات السياسية مؤيدة بالحجج والبراهين وفيه معرض البلاغة من خطب طويلة وجمل قصيرة متينة وفيه الجدل والمناظرة وبحث أهم الاحداث في ذلك العصر وهو مقتل عثمان بن عفان ولم تفد هذه الحرب اللسانية فانتقلت الى حرب بالسلاح وأصبح المربد ساحة للقتال .

وكان العصر الأموي أزهى عصور المربد ذلك لان العرب كانوا قد هدأوا من الفتح واستقرت الممالك في أيديهم وأصبح العراق مقصد العرب يؤمه من أراد الغنى وخاصة البصرة . جاء في الطبري ان عمر بن الخطاب سأل انس بن حجية وكان رسولاً الى عمر من العراق فقال له عمر كيف رأيت المسلمين : فقال انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة فرغب الناس في البصرة فأتوها وكان المربد باب البصرة يمر به من ارادها من البادية ويمر به من خرج من البصرة الى البادية ويقطنه قوم

Marfat.com

من العرب كرهوا معيشة المدن كما يقصده سكان البصرة يستنشقون فيه هواء البادية فكان ملتقى العرب يحيون فيه حياة تشبه حياة الجاهلية من مفاخرة بالانساب وتعاظم بالكرم والشجاعة .

وكان الامويون على وجه العموم يعيشون عيشة عربية ويحتفظون بعربيتهم ان اخذوا شيئاً من الحضارة صبغوه بصبغتهم وحولوه الى ذوقهم وكذلك فعل عرب البصرة أرادوا ان يكون لهم من مربد البصرة ما كان لهم من سوق عكاظ في الحجاز فبلغوا غايتهم وأحيوا العصبية الجاهلية .

ورأينا المربد في العصر الاموي يزخر بالشعراء يتهاجون ويتفاخرون ويعلي كل شاعر من شأن قبيلته ومذهبه السياسي ويضع من شأن غيره من الشعراء ومذاهبهم السياسية .

ومن أجل هذا خلف لنا المربد أجل شعر أموي من هذا النوع فكثير من نقائض جرير والفرزدق والاخطل كانت أثراً من آثار المربد قيلت فيه وصدرت عما كان بينهم من منافرة وخصومة . يروي الاغاني ان جريرا والفرزدق اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما الهجاج والاخطل وكعب بن جميل (الخ) في خبر طويل .

كان كل من جرير والفرزدق يلبس لباساً خاصاً ويخرج الى المربد ويقول قصائده في الفخر والهجاء ، والرواة يحملون الى كليهما ما قاله الآخر فيرد عليه .

وكان لكل شاعر من شعراء المربد حلقة ينشد فيها شعره وحوله الناس يسمعون منه .

وكان الناس يخرجون كل يوم الى المربد يعرف كل فريق مكانه فيجلس فيه ينتظر شاعره . فقد روى الاغاني ايضاً ان جريراً بات يهاجم بالشعر في هجاء الفرزدق والراعي فما زال كذلك حتى كان السحر وقد قالها ثمانين بيتاً في بني نمير فلما ختمها بقوله :

فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

Marfat.com

كبر ثم أصبح حتى اذا عرف ان الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا بدهن فادهن ولف رأسه ودعا غلامه فأسرج له حصاناً وقصد مجلسهم وانشدها فنكس الفرزدق وراعي الابل .

ونرى بجانب هؤلاء الفحول أعني جريراً والفرزدق والاخطل طائفة أخرى من كبار الرجاز يقصدون المربد وينشدون رجزهم .

كذلك نرى ذا الرمة يقف بالمربد وعنده جماعة مجتمعة وهو قائم عليه برد قيمته مائتا دينار وينشد بعض قصائده فيقف خياط فينقد شعره نقداً شديداً ويسخف بعض تشبيهاته فيمتنع ذو الرمة عن الذهاب الى المربد حتى يموت الخياط . والامراء والولاة قد يتدخلون فيسكتون بعض الشعراء وقد يهيجون بعضهم على بعض خدمة لاغراض حزبية أو سياسية .

وهكذا كان المربد في العهد الاموي معهداً كبيراً انتج ادباً غزيراً من جنس خاص وكاد هذا الشعر يكون امتداداً للشعر الجاهلي لاتحاد الاسباب والبواعث فأما الشعر الغزلي كشعر عمر بن ابي ربيعة وأمثاله فليس له كبير اثر في المربد لانه فوق النزال والمهاجاة والمفاخرة فليس مجاله حياة المربد التي وصفناها .

والمربد في العصر العباسي يؤدي غرضاً آخر غير الذي كان يؤديه في العهد الاموي ذلك ان العصبية القبلية ضعفت في العصر العباسي بمهاجمة الفرس للعرب وأحس العرب بما هم فيه جميعاً من خطر من حيث هم أمة لا فرق بين عدنانيهم وقحطانيهم فقوي نفوذ الفرس وغلبوا العرب على امرهم وبدا الناس في المدن كالبصرة يحيون حياة اجتماعية هي أقرب الى حياة الفرس من حياة العرب وانصرف الخلفاء والامراء على مثل النزاع الذي كان يتنازعه جرير والفرزدق والاخطل وظهرت العلوم تزاحم الادب والشعر وفشا اللحن بين الموالي الذين دخلوا في الاسلام وأفسدوا حتى على العرب الخالصة لغتهم فتحول المربد يؤدي غرضاً يتفق وهذه

Marfat.com

الحياة الجديدة .

أصبح المربد غرضاً يقصده الشعراء لا ليتهاجوا ولكن ليأخذوا عن اعراب المربد الملكة الشعرية يحتذونهم ويسيرون على منوالهم فيخرج الى المربد بشار وأبو نواس وأمثالهما ويخرج الى المربد اللغويون يأخذون اللغة عن اهله ويدونون ما يسمعون .

والنحويون يخرجون الى المربد يستمعون من أهله ما يصحح قواعدهم ويؤيد مذاهبهم فقد اشتد الخلف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة في النحو وتعصب كل لمذهبه وكان أهم مدد لمدرسة البصرة هو المربد وفي تراجم النحاة تجد كثيراً منهم من كان يذهب الى المربد يأخذ عن أهله ويخرج الادباء الى المربد يأخذون الادب من جمـــل بليغة وشعر بليغ وأمثال وحكم مما خلفه عرب البادية وتوارثوه عن آبائهم كما فعل الجاحظ يقول ياقوت : ان الجاحظ اخذ النحو عن الاخفش وأخذ الكلام عن النظام وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد .

وبعد هذه الحياة الحافلة عفى أثر المربد ولم نعد نجد له ذكراً ذا قيمة وأخنى عليه الذي اخنى عـــلى عكاظ ومات بموته معهدان ادبيان اتصلت حياة الثاني منهما بحياة الأول فقامـــا نحو ستة قرون يخرجان شعراً وأدباً ونقداً كان من تراث العرب .

احمد امين

« باختصار »

Marfat.com

حاكم زاهد

رب آتني من لدنك حكمة ، وهيء لي من امري رشدا ، وارزقني قناعة لا تنفد ورضا بنعمتك لا يتزعزع ، رب قد وهبت جزيلاً واعطيت كثيراً فأعني على شكرك ، فأني لا أقدر ان أقوم ببعض حقك .

بمثل هذا الدعاء كان عمير بن سعد يدعو ربه وهو قادم من ولايته على حمص الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فقد استدعاه بعد ان ولاه بعام ليسأله عن شؤون الولاية وصالح الشعب .

قدم عمير من حمص الى المدينة في ملبسه الخشن وسمته [1] الزاهد فان الولاية لم تغير شيئاً من زهادته بل لعلها زادته تقشفاً وزهادة ، وجاب الطريق الطويل الشاق على مركب خشن وبغير وسائل تكفل بعض الراحة لكنه كان بهذا راضي النفس ، ولو أنه اراد غيره لقدر عليه .

وبعد الرحلة الشاقة دخل على عمر في ملبسه القشيف وخفيه البالين وبيده عكازته وعلى ظهره قصعته ومزوده [2] وأدواته [3] فسلم وجلس فدهش عمر من مرآه وقال له : ما بك يا عمير ؟ أولايتك ذات جدب وندور خير ؟ أم أهلوها أصحاب سوء لا يدفعون الخراج ؟ .

فدهش عمير بن سعد وقال : ولمَ تظن ذلك يا امير المؤمنين ؟ قال عمر : لأن مرآك يحماني على ذلك .

قال عمير : وما الذي انكرت من مرآي ، وقد جئت اليك أحمل الدنيا جميعها ؟

---

(١) سمته : مظهره . (٢) المزود : وعاء الزاد . (٣) الادواه : وعاء طهور .

Marfat.com

فابتسم عمر قائلاً : وما معك من الدنيا ؟

قال عمير : هذه عكازتي اتوكأ عليها وأسوق بها ناقتي وادفع بهـــا عدواناً تصدى لي .

قال عمر : هيه .

قال عمير : وهذه قصعة أتوضأ فيها لصلاتي واغسل فيهـــا رأسي وآكل طعامي .

قال عمر : حسن ثم ماذا ؟

قال عمير : وفي هذه الأدواة أحمل ماء شربي وطهوري ، وفي هذا المزود أحمل طعامي .

فلما سمع عمر حديث عمير اغرورقت [1] عيناه ثم بكى .

فدهش عمير وقال له : ماذا يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ لم يكن معي شيء غير هذا فأحدثك عنه او اطلعك عليه .

ولمـا سمع عمر ذلك رفع يديه الى السماء وقال : اللهم اجعلني من الراغبين في الآخرة والزاهدين في الدنيـــا ، اللهم الحقني بصاحبي غير مفتضح ولا مبدل ، اللهم صل على نبيك الذي هدانا بعد ضلالة وارض عن ابي بكر الصديق .

ثم التفت الى عمير وقال : ما صنعت في عملك يا عمير ؟

فقال عمير : أخذت الزكاة من اهـل الزكاة ، وقبضت الجزية من اهل الجزية .

قال عمر : وما الذي فعلته بها ؟

قال عمير : قسمتها بين الفقراء والمساكين وابناء السبيل .

«١» اغرورقت : دمعت عيناه .

Marfat.com

قال عمر : وماذا بقي عندك ؟

قال عمير : والله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لأتيتك به .

قال عمر : وكيف حال المسلمين واهل الذمة ؟

قال عمير : اسأل الله ان يكون ظني حقاً ، لقد تركتهم وهم جميعاً راضون ليس لأحد منهم حاجة ولا مظلمة .

قال عمر : قـــد عرفت ذلك من قبل فأردت ان استوثق منك عد يا عمير الى عملك راشداً .

قال عمير : استأذنك يا امير المؤمنين ان ازور اهلي واقضي بينهم بضعة ايام .

قال عمر : لك ذلك .

ذهب عمير الى اهله بعيداً عن المدينة ولم يكن احد منهم يعلم بقدمه فتلقته زوجته في شوق وقابله أبناؤه في لهفة ، وكان هو مثلهم شوقاً ولهفة .

ثم نظرت زوجته اليه فقالت : ما هذا عمير ؟ لقد تركتنا بحال خير من حالك هذه ، ما هذا القميص الخلق ؟ وما هذا الرداء البالي ؟ وما هذه النعل التي لا تكاد تستر القدم ؟ ألم يكن في الولاية من المال ما يجعلك أبر بنفسك وأرعى لسمعتك ؟

قال عمير : وهل كانت الولاية مغنماً يا نائلة ؟

قالت زوجته : لست أقصد ان تتخذها مغنماً فأين عطاؤك ؟ وفيم كنت تنفقه ؟

قال لها : عطائي انفقته في سبيل الله فاشتريت آخرتي بدنياي فاغتاظت زوجته ولكنها جاهدت ان تكتم غيظها وقالت : ألسنا أحق بمالك من الذين اخذوه ؟ قال لها : ان عندكم ما يكفيكم أما أولئك فلا يملكون شيئاً .

وحينئذ جرى صبي من ولده اليه وجلس على حجره وقال له :

Marfat.com

— اين الطرفة [١] التي جئت بها إلي يا أبي ؟

فتبسم عمير وقبّل جبين ابنه وقال له : نسيتها هذه المرة وسآتيك بها في المرة القادمة .

فانبرت زوجته قائلة : المرة القادمة ؟ وهل سنعيش الى المرة القادمة .

فقال عمير : في غير اكتراث ان سنعيش جاءت الطرفة وان متنا فما كان نقصاننا اياها هو الذي عجل بالموت وما كان حصولنا عليها ليؤخر في اجلنا ساعة او ليغني عنا في القبر فتيلا [٢] .

قالت الزوجة في ضجر : افّ من احوالك يا عمير انك لقاس على نفسك فلا تقس على صغارك هكذا .

قال عمير : واني بهم لرحيم .

قالت : أية رحمـــة ؟ تؤثر بمالك من لا نعرف وتحول بين نفسك وزرجتك وولدك وبين ما أحل الله لك من المال كأنك لم تقرأ قول الله تعالى : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ » ؟ ولم تسمع قوله تعالى : « وَأَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ » .

فرد عليها بقوله : لا يا نائلة لقـــد قرأت ذلك وفهمته وليس فيما أتيت تحريم لكنك غافلة عن قوله تعالى : وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً» . وعن قوله تعالى . وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [٣] وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » فقطبت جبينها وقالت : لكن جيراننا لا يفعلون ما تفعل فقال لها : وما لنا وجيراننا ؟ لكل اناس في حياتهم منزع .

قالت في تهكم : لست أقدر على فهمك .

«١» الطرفة: الهدية الثمينة الفذة. «٢» الفتيل: الخيط الذي في شق النواة. «٣» الخصاصة: الفقر.

Marfat.com

فقال لها في صوت قوي : بل تقدرين لكن هواك مع الدنيا ومع متاعها الزائل . دعينا من هذا الآن وقومي لتحضري لنا طعاماً فإني جائع .

وقامت نائلة لتحضر الطعام وأخذ عمير يلاطف ابناءه في حنان وشوق ومسرة برؤيتهم ، وبعد قليل جاءت نائلة لهم بكسر من خبز الشعير وادام بالزيت ، وقالت له : هذا خير ما عندنا نقدمه اليك يا ابا زيد .

فقال : الحمد لله على نعمائه خبز وادام كثير من الفقراء لا يجدون الخبز .

فقالت نائلة : لكأنك علمت بحاجتنا اليك فجئت اليوم ، فانه لم يبق مما تركت لنا إلا طعام بضعة ايام .

فقال لها : حمداً لله .

ومـــا هي الا لحظات حتى كان رسول عمر بن الخطاب يقرع باب عمير ، فقد دهش عمر من حال عمير وأراد أن يزداد من أمره ثقة فبعث الى رجل حصيف [1] اسمه حبيب وقال له : اختبر لي عمير بن سعد بهذه الدنانير المائة ، فانزل عنده ثلاثة ايام لترى حاله فإن وجدته في ضيق فادفع اليه مائة الدينار على انها عطاء له من بيت المال .

فلما قرع حبيب باب الدار أذن له فدخل ودعاه عمير الى الطعام فلبى وأقام عند عمير ثلاثة ايام لم ير له طعاماً هو واسرته الا خبز الشعير . وطعاماً مأدوماً بالزيت ، وكان حبيب لم يأخذ بمثل هـذا العيش الخشن ثلاثة ايام متوالية فضاق بالضيافة الكريهة ايما ضيق وكاد يعود الى عمر قبل ان يكمل الايام الثلاثة ، وأحس كأن عمر بن الخطاب قصد مـــن ارساله الى عمير ان يعاقبه او يمرنه على الزهادة .

لذلك ما كان اليوم الثالث ينقضي حتى قال لعمير : هذه مائة دينار

«١» حصيف : كامل العقل .

Marfat.com

بعثني بها اليك عمر عطاء لك من بيت المال ، فقد همه حالك [١] اي رأى وهو يجب ان توسع بها على عيالك .

وسمعت زوجة عمير الحديث ورأت الدنانير تبرق من خلال الصرة ، فندمت في نفسها على جدالها لزوجها وودت لو انها كانت قد صمتت حتى يكون لها في نظر زوجها فضل الصمت والصبر والرضا ، واخذت تقي نفسها بتوسعة تعوض ما وجدت من الضيق .

لذلك اسرعت حين قال لهـــا عمير يا نائلة آتني بفروك الخلق [٢] ، وحسبت انه يريد ان يريه لحبيب ليعلم حاجة البيت الى مال ، وجاءت بفروها الخلق منشوراً بين يديهـــا لتظهر ثقوبه ويتضح بلاه وقالت في بشاشة ها هو ذا يا ابا زيد فرو خلق عمره عندي عشرة أعوام أنسيت امرأة صبرة ؟

وما راعها الا أن عميراً اقبل على الفرو يمزقه قطعاً قطعاً ويصف بعضهـــا الى بعض وهي تنظر اليه لا تريد ان تسأله عما يفعل وحبيب ينظر اليه لا يدري ماذا يريد . ثم جعل يصر الدنانير في القطع خمسة خمسة وهي تقول في نفسها . لعله يقسمها لتنفق كل صرة منها في زمن .

لكنه خيب ظنها بقوله : اشهد الله ان هذه الصرر لفلان وفلان وفلان وجعل يسمي من يعرف من الفقراء . ثم بعث اليهم وسلمهم الصرر على مرأى من زوجته الحانقة وحبيب المدهوش .

فاستأذن حبيب وعاد الى عمر يقول جئتك يا أمير المؤمنين من عند أزهد الناس وما عنده من حطام [٣] الدنيا كثير ولا قليل ونقص عليه ما شاهد في ثلاثة الايام وما سمع ، فرفع عمر يديـــه الى السماء قائلاً : الحمد لله ان جعل في المسلمين من يؤثر على نفسه ويعني نفسه بشؤون الشعب ويشتري آخرته بدنياه .

احمد محمد الحوفي

---

(١) همه : أهمه ، احزنه . (٢) الخلق : البالي (٣) حطام الدنيا : بقايا متاعها .

المطالعة الثانوية ١ ـ ١٨

Marfat.com

مروءة ووفاء

خرج النعمان بن المنذر ملك الحيرة يوماً يتصيد على فرسه اليحموم فأجراه على اثر عير [1] فذهب به الفرس في الارض ولم يقدر عليـــه ، وانفرد عن أصحابه وأخذته السماء فطلب ملجأ يلجأ اليه فدفع الى بناء فاذا فيه رجل من طيء يقال له حنظلة ومعه امرأة له فقال لهما : هل من مأوى ؟ فقـــال حنظلة : نعم فخرج اليه فأنزله ، ولم يكن للطائي غير شاة وهـــو لا يعرف النعمان ، فقال لامرأته : أرى رجلاً ذا هيئة وما اخلقه ان يكون شريفاً خطيراً فما الحيلة ؟ قالت : عندي شيء من طحين كنت ادخرته فاذبح الشاة لأتخذ من الطحين خبز [2] ملـّة .

واخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه ، وقام الطائي الى شاته فاحتلبها ثم ذبحها فاتخذ من لحمها مرقة مضيرة [3] واطعمه من لحمها وسقاه من لبنها واحتال حتى وجد له شراباً فسقاه وجعل يحدثه بقية ليلته .

فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه ثم قال : يا اخا طيء اطلب ثوابك انا الملك النعمان . قال افعل ان شاء الله .

ثم لحق الخيل فمضى نحو الحيرة ، ومكث الطائي بعد ذلك زماناً حتى اصابته نكبة وجهد وساءت حاله ، فقالت له امرأته : لو أتيت الملك لأحسن اليك فأقبل حتى انتهى الى الحيرة ، فوافق يوم بؤس النعمان فاذا هو واقف في خيله في السلاح .

فلما نظر اليه النعمان عرفه وساءه مكانه فوقف الطائي المنزول به بين

---

(١) العير الحمار الوحشي . (٢) الملة الرماد الحار والجمر وخبز الملة ما يصنع فيها .
(٣) المضيرة ان يطبخ اللحم باللبن البحت الصريح حتى ينضج اللحم .

Marfat.com

يدي النعمان فقال له : انت الطائي النزيل به ؟ قال : نعم . قال : أفلا جئت في غير هذا اليوم ؟ قال : أبيت اللعن وما كان علمي بهذا اليوم ؟ قال : والله لو سنح لي في هذا اليوم قابوس ابني لم اجد بداً من قتله فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدا لك فانك مقتول . قال : أبيت اللعن وما اصنع بالدنيا بعد نفسي ؟ قال النعمان : انه لا سبيل اليها قال : فان كان لا بد فأجلني حتى ألمّ بأهلي فأوصي اليهم وأهيىء حالهم ثم انصرف اليك . قال النعمان : فأقم لي كفيلاً بموافاتك ، فالتفت الطائي الى شريك[1] بن عمرو وهو واقف بجنب النعمان ، فقال له :

يا شريكاً يا بن عمرو هل من الموت محاله[2]
يا اخاً كل مضاف يا اخا من لا اخا له[3]
يا اخا النعمان فك اليوم ضيفاً قد أتى له

فأبى شريك ان يتكفل به فوثب اليه رجل من كلب يقال له قراد ابن جدع فقال للنعمان : أبيت اللعن هو علي قال النعمان : أفعلت؟ قال : نعم . فضمنه اياه ثم أمر للطائي بخمسمائة ناقة فمضى الطائي الى اهله وقد جعل الاجل حولاً من يومه ذلك الى مثل ذلك اليوم من قابل فلما حال عليه الحول وبقي من الاجل يوم قال النعمان لقراد : ما اراك الا هالكاً غداً فقال قراد :

فان يك صدر هذا اليوم ولّى فان غدا لناظره قريب

فلما اصبح النعمان ركب في خيله ورجله متسلحاً كما كان يفعل حتى

---

(١) كان شريك هذا رديف النعمان يجلس عن يمينه ويشرب بعده ويخلفه اذا غزا .
(٢) محالة : حيلة . (٣) المضاف الذي احيط به والذي الجيء وأخرج واثقل بالشر .

نسخة مجانية

Marfat.com

في الغريين [١] فوقف بينهما وأخرج معه قراداً وأمر بقتله فقال له وزراؤه ليس لك ان تقتله حتى يستوفي يومه فتركه وكان النعمان يشتهي ان يقتل قراداً وبقلت الطائي من القتل فلما كادت الشمس تجب [٢] وقراد قائم مجرد في ازار على النطع [٣] والسياف الى جنبه اقبلت امرأته وهي تقول:

ايا عين ابكي لي قراد بن اجدعا	رهيناً لقتل لا رهيناً مودعـــا
أتته المنايا بغتة دون قومـــه	فأمسى أسيراً حاضر البيت اضرعا

فبينما هم كذلك اذ رفع لهم شخص من بعيد وقد امر النعمان بقتل قراد فقيل له ليس لك ان تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو؟ فكف حتى انتهى اليهم الرجل فاذا هو الطائي.

فلما نظر اليه النعمان شق عليه مجيئه فقال له: ما حملك على الرجوع بعد انفلاتك من القتل؟ قال الوفاء: قال: وما دعاك الى الوفـــاء؟ قال: ديني. قال النعمان: وما دينك؟ قال: النصرانية. قال النعمان: فاعرضها علي فعرضها عليه فتنصر النعمان وأهل الحيرة اجمعون وترك القتل منذ عام ذلك اليوم وأبطل تلك السنة وأمر بهدم الغريين وعفا عن قراد والطائي وقال: والله ما أدري ايهما أوفى وأكرم أهذا الذي نجا من القتل فعاد ام هذا الذي ضمنه؟ والله لا اكون الأم الثلاثـــة فأنشا الطائي يقول:

ما كنت اخلف ظنه بعد الذي	اسدى إلي من الفعال الخـــالي
ولقـــد دعتني للخلاف ضلاتي	فابيت غـــير تمجدي وفعالي
اني امرؤ ضمني الوفاء سجيـــة	وجزاء كل مكارم بـــذال [٤]

---

(١) زعموا ان النعمان غضب ليلة على نديمين له وهو سكران فأمر أن يحفر لكل منهما حفرة ويلقى فيها حياً فنفذ أمره فلما افاق سأل عنهما فأخبر بخبرهما فأمر ان يبنى على قبرهما بناء جميل وسمى البناءين الغريين وجعل لنفسه كل سنة يومين يوم بؤس ويوم نعيم فيقتل يوم بؤسه أول من يلقاه ويحسن الى اول من يلقاه يوم نعيمه بمائة ناقة. (٢) تجب: تغيب. (٣) النطع بساط من جلد. (٤) كارمه فكرمه كنصره غالبه في الكرم فغلبه فيه.

Marfat.com

العلم والغذاء

عندما تجرب عضة الجوع وهي وسيلة الطبيعة في اخبارك بانك في حاجة الى الغذاء ، ذلك ان الأكل بنظام احد الاشياء التي يجب علينا جميعاً ان نقوم بها لكي نبقى احياء اصحاء .

ويعتبر جسمك من بعض الوجوه شبيهاً بآلة ، فهو في حاجة الى الغذاء لكي يظل عاملاً ، وبعض اجزاء الجسم يجب أن تصلح من حين لآخر كما ينبغي ان تبنى اجزاء جديدة ، ولكن جسم الانسان يختلف عن الآلة في كونه يستطيع ان يعوض اجزاءه ويقويها بنفسه .

وتكمن الطاقة والمواد الضرورية للنمو والاصلاح في الغذاء ، غير ان الاغذية تختلف كثيراً في تركيبها ، فقد تنقص بعض الاغذية واحداً او اكثر من الاشياء التي يحتاج اليها جسمك ، ولكي يظل جسمك صحيحا اي في صحة جيدة ينبغي لك ان تأكل الانواع الصحيحة من الأغذية ان تأكل مقادير وافرة من الغذاء .

ولكن كيف تحصل على الطاقة ؟ اننا نحصل عليها من اتحاد الغذاء الذي تأكله باوكسجين الهواء الذي تتنفسه ، فجسمك يشبه من هذه الناحية الآلة البخارية ، ففي الآلة البخارية يولد احتراق الفحم الطاقة الحرارية التي تولد البخار الذي يدير الآلة ، ففي جسمك يحترق الغذاء ليولد الحرارة التي تدفىء جسمك وتعينك على الحركة هنا وهنالك .

ويتركب جسمك من ملايين لا حصر لها من وحدات دقيقة تسمى بالخلايا : فأنت اذا نظرت الى بناء الآجر من بعيد لا يمكنك ان ترى

Marfat.com

او تتبين قوالب الآجر التي يتركب منها البناء ، غير انك اذا اقتربت من البناء فإنك سوف تلاحظ وترى الوحدات الصغيرة ، اي قوالب الآجر . وذراعك والاجزاء الاخرى من جسمك ، كذلك تبدو كأنها كتلة مصمتة واحدة ، واذا حدث ان فحصت مقطعاً من ذراعك تحت المجهر المركب فإنك قد ترى انها تتركب من وحدات صغيرة جداً ، هـــذه الوحدات هي الخلايا .

وتساعد كل خلية القيام بعمل جسمك ، فهي تتسلم غـــذاء مهضوماً وتحوله الى مادة حية ، ومن ثم تنمو وعندما تصل الى حجم معين قد تنقسم وتكون خليتين ، وعندما تنمو الخليتان الى حجم الخلية الأم فإنها قد تنقسمان ، وبهذه الطريقة المستمرة من نمو الخلايا وانقسامهـــا تكبر الكائنات الحية في الحجم وتزيد في الوزن ، فالغذاء كما ترى ضروري لهذه العملية الحيوية . وان اجزاء من جسمك لا بـــد ان تعوض فمثلاً تموت الخلايا الموجودة على سطح جلدك وتحل محلها خلايا جديدة كما ان بعض اجزاء جسمك في حاجـــة الى اصـــلاح فعندما يصلح الجراح عظمة من عظام الجسم كسرت فهو يضع طرفي العظمة عند الكسر الى جوار بعضهما ثم يضع العضو في قالب من الجبس وعندئذ تنمو الخلايا العظمية وتلتئم العظمة في النهاية والغذاء مطلوب لتكوين خلايا جديدة .

ومجمل القول ان الغذاء يمد الجسم بالطاقة اللازمة التي يستخدمها في القيام بعمله ويمده بالمواد اللازمة للنمو ويمده بالمواد اللازمة لإصلاح الاجزاء التي اعتراها أذى ومن ثم يعوضها .

والاطعمة التي نحتاج اليها كثيرة منها الخبز واللحم والجبن والبيض واللبن والفواكه والخضر المختلفة وكل هذه الاطعمة جيدة ولكنها ليست كلها متشابهة في التركيب فكل من هذه الاغذية يتركب من واحد او اكثر من ستة انواع من المواد الغذائية وهي الفحمائيات (الكربوايدرات)

Marfat.com

ثم الدهن والزبوت ثم البروتينات ثم الاملاح المعدنية ثم الفيتامينات ثم الماء وجسمك يتغذى من هذه الانواع الستة من المواد الغذائية وانت تحصل على الطاقة من بعض منها ولكي يمكنك ان تختار الاطعمة اختياراً موفقاً يجب عليك ان تعرف تركيب اغذيتنا الشائعة .

فالفحمائيات توجد في السكر والارز والزيت والمكرونة والخبز والفاصوليا الجافة والتفاح وهي تمدنا بالطاقة الحرارية التي تحفظ اجسامنا دفيئة كما انها تساعد الجسم على القيام بعمله فهي كالفحم تؤدي عمل الوقود الذي يجعلنا نسيّر عجلة الحياة .

والدهون والزيوت توجد في زيت كبد الحوت وزيت الزيتون والزبد والفول السوداني والجبن وهي تمدنا بالطاقة الحرارية اللازمة للجسم كما انها افضل الاغذية التي تمدنا بالطاقة لارتفاع كمية الدهن الموجودة فيها .

والبروتينات وتوجد في الجبن والفول السوداني والفاصوليا المجففة ولحم البقر والسمك وبيض الدجاج ولحم الدجاج والخبز وتمدنا بالانسجة اللازمة لبناء الجسم فالبروتينات اذن هي المواد الاساسية التي تبنى بهـــا اجسام النباتات والحيوانات كما انهـــا تمدنا بالطاقة الحرارية ولكنها اساساً بناءة للجسم ولذلك فصغار الناس النامية اجسامهم في حاجة اليها اكثر من آبائهم الذين وقفت اجسامهم .

والاملاح المعدنية كالكلسيوم والفسفور وهما لازمان لبناء عظام واجسام قوية وقد يؤدي نقصها الى لين في العظام وتسويس في الاسنان ونقص في النمو كما ان الفسفور لازم لبناء المخ والاعصاب وهذان العنصران يوجدان في اللبن واللحوم والجبن والحبوب .

ومن الاملاح المعدنية الحديد والكالسيوم والصوديوم وهي اساسية في بناء الدم وتوجد في الكبد واللحوم الحمراء وصفار البيض والسبانخ .

Marfat.com

ومن الاملاح اللازمة للجسم ملح الطعام والماء ويوصي الاطباء بأن تشرب من اربعة الى ستة اكواب يومياً .

والفيتامينات وهي متعددة الانواع وتوجد في الخضر واللبن والبيض والفواكه وزبت كبد السمك والزبد واللحم وهذه الفيتامينات تمنع الانسان من ان يصاب بمرض (البري بري) و (الاسقربوط) وتسويس الاسنان ومرض البلاجرا ولين العظام وتساعد على نمو الجسم وتزيد من مقاومته للاصابات بالجراثيم وتساعد على الهضم وعلى تكوين العظـــام القوية وعلى حفظ الاسنان قوية .

ومن يتتبع الارشادات الآتية تساعده على بقاء جسمه سليماً .

تناول ثلاث وجبات يومياً بانتظام ، كُلْ من الفحيائيات ضعفين او ثلاثة اضعاف ما تاكله من البروتينات والدهنيات مجتمعة .

تناول طعاماً متنوعاً يحتوي على اصناف من الاغذية النباتية والحيوانية لكي تشبع شهيتك العادية .

تناول كثيراً من الخضر كل يوم وأن يكون من بينها نبات مورق أخضر .

تناول كثيراً من الفواكه كل يوم وينبغي ان يؤكل البرتقـــال والجريب فروت والليمون والطماطم طازجة ذلك ان الطهو يفسد فيتامين ج الذي بها .

اشرب رطلين ونصف رطل على الاقل من اللبن يومياً وعلى البالغين ان يشربوا نصف هذه الكمية على الاقل يومياً .

تناول يومياً بعض الاغذية مثل خـــبز القمح وكعك السن (النخالة) او الفواكه او الخضر ذات الألياف الكبيرة ذلك ان مثل هذه تعمـــل على ملء الامعاء الغليظة بمواد غير مهضومة فتنبهها لإفراغ محتوياتهـــا بانتظام .

Marfat.com

تناول بين الحين والآخر اغذية ذات قيمة حرارية عالية مثل الكعك بأنواعه وبخاصة بين الوجبات او قبيل ميعاد الوجبة الرئيسية، وينبغي ان تؤكل مثل هذه الاشياء كنوع من الحلوى فلا تفقد الشهية للأغذيـــة الأساسية ، وأخيراً اشرب كثيراً من الماء .

هذا هو العلم ، وهذا هو دوره في كشف الاغذية اللازمة للجسم ، وفائدة كل غذاء ، فما أعظم العلم وما اجل فائدته .

باختصار من كتاب « العلم في حياتنا اليومية »

نسخة مجانية

Marfat.com

الحطيئة والزبرقان بن بدر

قدم الزبرقان بن بـــدر على عمر بن الخطاب في سنة مجدبة ليؤدي صدقات قومه فلقيه الحطيئة بقرقرى [1] ومعه اولاده وامرأته فقال له الزبرقان -- وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة — اين تريد ؟ قال : العراق فقد حطمتنا هذه السنة قال : وتصنع ماذا ؟ قال : وددت ان اصادف بها رجلاً يكفيني مؤونة عيالي واصفيه مدحي ابداً .

فقال له الزبرقان: قد اصبته فهل لك فيه يوسعك لبناً وتمراً ويجاورك احسن جوار واكرمه ؟ فقال له الحطيئة هذا (وأبيك) العيش ومـــا كنت أرجو هذا كله . قال: قد اصبته، قال : عند من ؟ قال : عندي، ومن انت ؟ قال : الزبرقان ... الزبرقان بن بدر ، قال : وأين محلك ؟ قال : اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس وسل عن القمر [2] حتى تأتي منزلي .

ثم كتب الى امه وكان اسمها ام شذرة ان احسني اليه واكثري له من التمر واللبن وكان الحطيئة دميماً سيء الخلق لا تأخذه العين ومعه عيال كذلك فلما رأت ام شذرة حاله هان عليها وقصرت به [3] .

ونظر بنو بغيض وبنو انف الناقة [4] الى مـــا تصنع به ام شذرة فأرسلوا اليه ان ائتنا فأبى عليهم وقال : ان من شأن النساء التقصير

---

(١) قرقرى ارض باليمامة فيها قرى وزروع كثيرة ونخيل وهي ما سميمم بضرمى (٢) الزبرقان: البدر وسمي به الحصين بن بدر لحسنه وكان رسول الله قد استعمل الزبرقان على صدقات قومه وأقره ابو بكر . توفي ايام معاوية سنة ٤٥ هـ وكان فصيحاً شاعراً . (٣) قصرت به لم تكرمه ولم تبلغ ما يرضيه . (٤) كانت بغيض وانف الناقة ينازعون الزبرقان الشرف .

Marfat.com

والغفلة ولست بالذي أحمل على صاحبها ذنبها فلما ألح عليه بنو انف الناقة قال لهم : لست بحامل على الرجل ذنب غيره فان تركت وجفيت تحولت اليكم فاطعموه ووعدوه وعداً عظيماً .

فلما لم يجبهم دسوا الى هنيدة زوجة الزبرقان ان الزبرقان انما يريد ان يتزوج ابنة مليكة — وكانت جميـــلة كاملة — فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة وهي في ذلك ثداريه ثم ارادوا النجعة [١] فقالت له ام شذرة قد حضرت النجعة فاركب انت وأهلك هذا الظهر الى مكان كذا وكذا ثم اردده الينا حتى نلحقك فانه لا يسعنا جميعاً فأرسل اليها : بل تقدمي انت فأنت أحق بذلك ، ففعلت .

وتثاقلت عن رده اليه وتركته يومين او ثلاثة وألح بنو انف الناقة عليه وقالوا له : قد تركت بضيعة ، فلما ألحوا عليه اجابهم . فقال : اما الان فنعم انا صائر معكم ، وتحمل معهم فضربوا له قبة وربطوا لكل طنب من اطنابها جلة [٢] هجرية وأراحوا [٣] عليه ابلهم واكثروا له من التمر واللبن واعطوه لقاحاً [٤] وكسوه .

فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته فركب فرسه وأخذ رمحه وسار حتى وقف على ناديهم فقـــال : ردوا على جاري فقالوا : ما هو لك بجـــار وقد اطرحته وضيعته فأم [٥] ان يكون بين الحيين حرب فحضرهم اهل الحجا من قومهم ولاموا بغيضاً وقالوا : اردد على الرجل جاره فقال : لست مخرجه وقد آويته وهو رجل حر مالك لأمره فخيروه فان اختارني لم اخرجه وان اختاره لم اكرهه .

فخيروا الحطيئة فاختار بغيضاً ورهطه فجاء الزبرقان ووقف عليـــه

---

(١) النجعة : طلب الكلأ في موضعه . «٢» الجله : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكنز فيه، وهجرية : نسبة الى هجر وهي ارض البحرين ويكثر فيها التمر . «٣» اراحة الابل: ردها في العشى . «٤» القاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب . «٥» الم : قرب .

Marfat.com

وقال له : ابا مليكة افارقت جواري عن سخط وذم ؟ قال : لا فانصرف وتركه .

وجعل الحطيئة يمدحهم من غير ان يهجو الزبرقان وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول : لا ذنب للرجل عندي حتى ارسل الزبرقان الى رجل من النمر بن قاسط فهجا بغيضاً .

فحينئذ قال الحطيئة — يهجو الزبرقان — ويناضل عن بغيض — قصيدته التي يقول فيها :

والله ما معشر لاموا امرأ جنباً [1] في آل لاي بن شماس بأكياس
ما كان ذنب بغيض لا ابا لكم في بائس جاء يحدو آخر الناس
لقد مريتكم [3] لو ان درتكم [4] يوماً يجيء بها مسحي وابساسي [5]
وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم كيما يكون لكم متحي [6] وامراسي [7]
لما بدا لي منكم عيب انفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسي
ازمعت يأساً مبيناً من نوالكم ولن ترى طارداً للحر كالياس
ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ذا فاقة حل في مستوعر شاسي [8]
جاراً لقوم اطالوا هون منزلة وغادروه مقيماً بين ارماس [9]
ملوا قراه وهرته [10] كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم [11] الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

«١» الجنب : الغريب . «٢» جمع كيس اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه . «٣» مرى الناقة يمريها مسح ضرعها والمراد مداراتهم ومدحهم ليدروا عليه العطاء . «٤» الدرة اللبن «٥» الابساس : التلطف بالناقة عند الحلب بان يقال لها بس بس تسكيناً لها لتدر . «٦» المتح نزع الماء من البئر ، «٧» الامراس وضع حبل البئر في البكرة بعد ان انزلق منها . «٨» المستوعر المكان الوعر والشاسي المكان الغليظ المرتفع . «٩» الرمس القبر وجمعه ارماس والهون المذلة اي تركوه كالميت . «١٠» هرته الكلاب : نبحته وهو كناية عن انه كان غريباً مضطهداً بينهم . «١١» الطعام المطعوم والكاسي المكسو .

Marfat.com

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب فرفعه عمر اليه واستنشده فقال عمر : ما اسمع هجاء ولكنها معاتبة فقال الزبرقان : او ما تبلغ مروءتي إلا ان آكل وألبس ؟ فقال عمر : علي بحسان فجيء به فسأله : فقال أتراه هجاه ؟ فقال : نعم وسلح عليه فحبسه عمر فقال في الحبس قصائد يستعطف بها عمر فلم يلتفت اليه حتى قال :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ [١] زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذي من بعد صاحبه القت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر [٢]
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح تغشاهم بها القرر [٣]
اهل فداؤك كم بيني وبينهم من عرض داوية [٤] تعمى بها الخبر

فبكى عمر حين قال « ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ » فقال عمرو ابن العاص ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اعدل من رجل يبكي على تركه الحطيئة فقال عمر : علي بالكرسي فأتى به فجلس عليه ثم قال : اشيروا علي في الشاعر فإنه يقول الهجر وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم . ما اراني الا قاطعاً لسانه ثم قال : علي بالطست فأتي بها ثم قال : علي بالمخصف [٥] علي بالسكين لا بل علي بالموسى فهو أوحى [٦] فضج الحطيئة وقال : اني والله يا أمير المؤمنين قد هجوت ابي وامي وامرأتي ونفسي فتبسم عمر ثم قال : ما الذي قلت ؟ قال : قلت لابي وامي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وابا بنيك فساءني في المجلس

---

(١) ذو مرخ : واد بالحجارة . (٢) الاثر واحدها اثره ومعناها الاستئثار والمكرمة .
(٣) القرر جمع قرة وهي البرد . (٤) الداوية الفلاة الواسعة . (٥) خصف النعل : خرزها والمخصف آلة الخرز وكان عمر يريد ان يخرز لسانه . (٦) اوحى : اسرع .

Marfat.com

قلت لأبي خاصة :

فبئس الشيـــخ انت لدى تميم وبئس الشيخ انت لدى المعالي

وقلت لأمي خاصة :

تنحي واجلسي مني بعيـــداً اراح الله منك العالمينـــا
اغربالا [١] اذا استودعت سراً وكانوناً [٢] على المتحدثينـــا
حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينـــا

وقلت لامرأتي :

اطوّف ما اطوّف ثم آوي الى بيت قعيدتـــه لـكاع

وقلت لنفسي :

ابت شفتاي اليوم الا تكلماً بسوء فما أدري لمن انا قائله
أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

فقالوا : لا يعود يا امير المؤمنين واشاروا اليه ان قل لا اعود فقال : لا اعود يا امير المؤمنين فقال : له النجاء ثم قال له عمر : يا حطيئة كأني بك عند فتى من قريش قد بسط لك نمرقة [٣] وكسر لك اخرى وقال : غننا يا حطيئة فطفقت تغنيه بأعراض الناس .

قال ابن أسلم فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط له نمرقة وكسر له اخرى وقال : غننا يا حطيئة فجعل يغنيه فقلت له يا حطيئة اتذكر قول عمر ؟ ففزع وقال : يرحم الله ذلك المرء اما انه لو كان حيا ما فعلت .

قصص العرب

---

(١) الغربال : النمام . (٢) الكانون الثقيل الوخم من الناس، وقيل الكانون الذي يجلس حتى يتحمى الاخبار والاحاديث . (٣) النمرقة : الوسادة .

Marfat.com

صاحب النقب

ليتك ابصرت ذلك الجمع الغفير من الجند ، يحيط بالحصن المنيع في ارض الروم ، لترى فيهم عجباً ... اولئك هم ابنـــاء الجزيرة ونبت صحرائها . اولئك هم العرب من جنوه أمية وان قائدهم المغـــامر يدفعهم الى الموت حين يندفع امامهم على صهوة جواده ليسبقهم اليه ؟ انه مسلمة بن عبد الملك القائد الشجاع الباسل الذي لم يعرف الهزيمة فيما خاضه من حروب .

ولكن ما لهذا الحصن يستعصي عليهم . لقد صمد لهجماتهم المتوالية ولم يزعزع جدرانه وابل مجانيقهم ، كأنما هو جبل من الحديد لا تحركه قارعه .

ويح مسلمة بن عبد الملك ماله لم يدر كيف يصنع اتراه نفذت حيلته : اتراه سيولي الادبار ليشمت به حاسدوه ويقولوا : افل نجم ابي سعيد ؟ هيهات ان يقع ذلك . بل الموت اقرب منه .

وها هو الليل يرخي سدوله والقائد الحائر يجلس وحيداً في خيمته حين استأذن عليه جماعة من قواده يشيرون بان يندب من فرسانه من يبيع نفسه لله بثواب الشهادة في سبيله . ويتقدمون جميعاً الى جدار هذا الحصن ليحدثوا فيه نقباً يدخل منه من يفتح الباب لرفاقه ويكون من وراء ذلك الفوز المرتقب ...

وكان ما اشار بـــه اولئك القواد وتقدم الفتية المغامرون يتلقون بصدورهم

Marfat.com

سهام العدو من فوق الاسوار وجعلوا يتناقصون عند كل خطوة يخطونها ثم تمكنوا اخيراً من احداث ذلك النقب . وتقدم واحد منهم فألقى بنفسه فيه وما لبث ان فتح الله الباب على يديه فاذا هو يقف عنده ويكبر بأعلى صوته ليتقدم خلفه الجيش الاموي فاتحاً مظفراً .

واكبر القائد ذلك الفتى المغامر واعجب به اعجاباً ليس بعده اعجاب وازمع ان يرفع امره الى الخليفة لينال الحظوة عنده وآلى على نفسه ان يكرمه اكراماً يجعله به قدوة لغيره من الجند ليتشبهوا به ويقلدوه. وما كاد ينتهي مـــن امر ذلك الحصن حتى انصرف الى البحث عن ذلك الفتى الجريء المقدام (صاحب النقب) .

وارسل من يسأل عنه القواد فلم يجد فيهم من يعلم عنه شيئاً ارسل من يبحث عنه بين الجنود أنفسهم فلم يجد فيهم من يعرفه . فجعل مناديه ينادي في الجنود صباح مساء : (الا من كان منكم صاحب النقب فليتقدم الى قائد الجند ليصله بما يعلي قدره وليوصي به عند أمير المؤمنين فيرفعه فوق المكان الذي هو فيه .. »

وواظب على ندائه ذلك اياماً ولكن صاحب النقب لم يستجب لذلك النداء كأنما هو ارتقى الى السماء او غاص في جوف الارض .

وها هي ذي ليلة حالكة الظلمة يجلس فيها الامير الى نفر من خاصة اتباعه يحدثهم عـــن صاحب النقب وعجبه من امره وكيف انه تخلف عن اجابة ندائه وهو إنما يدعوه ليكرمه ويحدث عنه امير المؤمنين . وقال أحدهم وهو يظن انه قد اهتدى الى ما لم يصل اليه علم احد : ايها الامير . لمَ لا يكون (صاحب النقب) ملك من السماء أمدك الله به فأدى مهمته على أتم وجه ثم مضى في سبيله واني لك ان تجد له اثراً ولو كان بشراً سوياً لما تخلف عن دعوة الامير والظفر بصلته فهل عسيتك ان تجد غازياً قد خرج الا طالباً للشهادة في سبيل الله او طالباً

Marfat.com

لغنم يصيبه . وما دامت لم تكتب له الشهادة فما له لا يقبل مكافأة الامير على ما صنع ؟

ولم يشف حديث الرجل غلة الامير كما لم يجد في حديثه ما يكشف له عما استغلق عليه . وانصرف القوم حين امتد بهم الليل وبقي الامير وحيداً في خيمته وكان يتأهب للرقاد حين استأذن رجل يضع اللثام على وجهه لم يصرح عن اسم ولا كنية . واذن له وهو مرتاب في امره وما كاد يقف بين يديه حتى قال له : « افلا احدثك عن صاحب النقب ؟ فقال — وقد اعتدل في جلسته » بلى والله . حدثني بأبي انت قال : وان لي عليك شرطاً قال : وما شرطك ؟ قال : ان لا تسألني عن امري ولا تحاول ان تكشف عن اسمي فظنه عابر سبيل تطوع للكشف عن صاحب النقب فقال : لك ذلك ... فأخبرني من صاحب النقب ؟ فقال « انا هو » فعجب من امره غاية العجب وقال : وما حملك على هذا التكتم ؟ فقال ايها الامير انما صنعت ما صنعته يوم النقب تقربا الى الله وزلفى بين يديه واني لأطمع ان ينالني رضوانه فما لك تسأل عن ثواب الله بثوابك ؟ ناشدتك الله الا ما تركتني وشأني ...

وانصرف الرجل والامير يعجب من امره اشد العجب . وجعل (صلاة

Marfat.com

ابن عبد الملك [١] بعد ذلك اليوم لا يقف موقفاً للصلاة بين يدي ربه الا دعاه من قلب خاشع ضارع :

(اللهم اجعلني مع صاحب النقب بين يدي رحمتك ...)

ذلك هو صاحب النقب المؤمن الصادق الايمان ، حين يجاهد في سبيل الله ، ويكون جهاده خالصاً لله وحده ...

---

(١) يعتبر مسلمه بن عبد الملك من كبار القواد زمن الدولة الاموية وقد حرمه عبد الملك ابوه من الخلافة لان أمـــه كانت جارية كما تقول بعض الروايات وكأنما اراد الخليفة ان يكون عربياً خالصاً لا تعيبه هجنة الانتساب لغير العرب .

وقد ولاه اخوه (الوليد) حرب الروم فوقف لهم بالمرصاد وفتح من بلادهم طرسوس وعمورية وهرقلة وكثيراً ما أغار عليهم المرة بعد المرة حتى ارهبهم وادخل الرعب في قلوبهم ولما كانت خلافة اخيه سليمان ارسله لفتح القسطنطينية فحاصرها مدة عام ونصف ثم رجع عنها بامر من عمر بن عبد العزيز الذي كان لا يميل الى الحروب .

ولما بويع هشام بن عبد الملك) بالخلافة ولاه على الجزيرة فأرغل في ارمينية وكان اهلها قـد اغاروا قبل ذلك على حدود الجزيرة فكانت له مع العدو هناك مواقف رائعة دحره فيها امامه لا يلوي على شيء .

Marfat.com

من معجزات الهجرة

قال :

ـ هل لك يا سراقة في مائة من الابل ؟

ـ قال سراقة ما احوجني الى عشرين فكيف السبيل الى مائة ؟

ـ قال ترد على قريش صاحبها فقد خرج من مكة حين مكرت به قريش وأجمعت على قتله مهاجراً الى المدينة فبثت قريش عيونها في سبل مكة وشعابها ، وبعثت رسلها فنفضوا الصحراء نفضاً فما وقعوا له على أثر فعادوا الى قريش بالاياس منه فأذنت قريش في العرب ان من رد علينا محمداً فله مائة من الابل وقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علي آنفاً واني لأراهم طلبة قريش ... فهل لك ان نلحق بهم فتردهم الى مكة ونأخذ مائة الناقة فنقسمها بيننا .

فرقص قلب سراقة فرحاً ولعب به الطمع وكان سراقة بن مالك الجعشمي رجلاً متعفرتاً متشيطناً فعقد النية على ان يستأثر وحده بالغنيمة حتى تكون خالصة له فقال لصاحبه :

ـ ما هؤلاء من تريد هؤلاء بنو فلان ينشدون ضالة لهم فصدق الرجل وانصرف وذهب سراقة ليجلس في ندى قومه كما كان يجلس كل عشية فما اطمأن به مجلس وما وعى من احاديث القوم شيئاً وإنما كان يخيل اليه انه يرى قطاراً طويلاً من الابل يمر امامه ويدور من حوله فيخفق لمرآه قلبه وتتحلب اشداقه ثم طمي به الطمع فبرح النادي الى بيته يلوص بعينه آفاق المستقبل ويقلب أوجه المكن ويفكر في مائة الناقة .

ايلكها حتى تكون طوع أمره يصرفها كما يشاء فتلد وتتكاثر فينحر

Marfat.com

منها و يطعم الجائع ويقري الضيف ويرفد الوافد فيسير ذكره في العرب وتمتدحه الشعراء وتثني بمدائحه الركبان ؟ ام هو لا ينالها ولا يفيد من مفرد الا لذع الشمس وبرح العطش وطول التعب ؟

واشتد به التفكير حتى ما يكاد يخرج منه ولا يكاد يستقر على الرأي طائعة حتى ينتقل الى غيره ، لمَ لا اذهب ؟ اني سأجدهم فاردهم على قريش ... ولكن ألم تعجز رسل قريش عن ان تهتدي اليهم ؟ فكيف أهتدي انا ؟ بسل سأجدهم اني سالك كل طريق يؤدي الى المدينة .. ولكن يا للسخف ، ألم تسلك رسل قريش هذه الطرق كلها ؟

ولما أضناه التردد ازمع ان يستفتي الحظ ويهتدي بالمصادفة — فأخرج ازلامه فاستقسم بها وحاول يشتف الغيب مـــن خلالها ان خرج الزلم الذي اكره (لا يضره) لم تكن النياق لي وان خرج الذي احب (يضره) كانت لي ان الحكم للأزلام .

وضرب بيده فخرج الزلم الذي يكره فتألم واشتد ذلك عليه لأنه انما عمد الى الالزام ليستمد منهـــا العزم على الذهاب لا الرغبة في القعود ثم قال :

انها أول مرة وهي للشيطان واني ضارب الثانية ان الثانية لآلهتنا وضرب الثانية فخرج الزلم الذي يكره فقال لنفسه : مالي : وهل يقنع امرؤ بمرتين ؟ ان المعوّل على الثالثة وضرب الثالثة فخرج الزلم الذي يكره فتصبب على جبينه العرق البارد فألقى الازلام حنقاً وأمر غلامه ان يسرج فرسه ويقوده الى بطن الوادي .

وتريث سراقة حتى اذا تصرم الليل اسحر سالكاً طريق المدينة فسار فيه الى الصباح فلم يقع من القوم اثر فعاد ادراجه يتبع طريق الساحل فلا يلقى فيه احداً حتى زالت الشمس وحميت الظهيرة وتسعرت الارض واحرق جوفه العطش وكان ينهزه الطمع فيمدو فرسه عدواً شديداً حتى

Marfat.com

يرى الاكام هي التي تسير عن يمينه وشماله يأخذ بعضها بسفوح بعض ثم يدركه القنوط فيدع الفرس يمشي متباطئاً متخاذلا ... حتى اذا بلغ منه التعب والعطش والجوع واليأس نظر فاذا عند الغار من جبل ثور محمد وصاحبه فصبت القوة في عضلاته وعادت اليه الحمية والنشاط فصاح في الفرس فانطلق نحو الغار كالسهم المرسل .

قال ابو بكر رضي الله عنه .

فقلت هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله فبكيت فقال : ما يبكيك؟

قلت ما والله على نفسي ابكي ولكن ابكي عليك فدعا عليه رسول الله ﷺ وقال : اللهم اكفناه بما شئت ، فساخت فرسه في الارض الى بطنها :

فلما رأى سراقة ما رأى وثب عن الفرس وقد طار الخوف بالمه وابراه الفزع داء الطمع وصاح :

— يا محمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله ان ينجيني مما انا فيه فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب ، فدعا له رسول الله ﷺ فانطلق راجعا الله وكلمه فكان من قوله له :

— كيف بك يا سراقة اذا لبست سواري كسرى ؟

ورجع سراقة وقد اجتمعت عليه منذ ذلك اليوم المتناقضات من الافكار والعواطف وهاج في نفسه الطمع والخوف والامل واليأس فجعل يقول في هذه البادية ويصرخ كمن به جنة ولم لا يجن ؟ وقد كان يأمل ان ينال الغنى ففاته ما كان يأمل وقد فتحت فاها لتبلعه الارض فنجا ولم يصدر بعد هذا كله الا بوعد دونه خرط القتاد وخرق النار وخوض البحار .

— ماذا ؟ أيعدني محمد سواري كسرى شاهنشاه ملك الملوك وهو يقطع الصحراء هارباً من قومه مختفياً في غار ؟ !

Marfat.com

ليس معه الا رجل واحد ، ايبتلع هذا الغار ملك كسرى وجبروته وجلاله ؟ اتنتصر هذه الصحراء على ملك كسرى وجنانه وانهاره ؟ ايغلب هذان المهاجران كسرى على خزائنه وجنوده وبلاده ؟ ولو ان العرب اجتمعت كلها ورمت من قوس واحدة ما نالت من كسرى منالا على انها لن تجتمع العرب قط ومن ذا الذي يجمع مضر بن نزار وقحطان وبكراً وتغلب وعبساً وذبيان واين يذهب ما بينها من دماء؟

اما ان قريشاً كانت ادرى بصاحبها حين قالت عنه ما قالت فما اراه يعجبه ان ينجو من قريش ويفلت من اذاها حتى يكون له ملك كسرى انه والله ما يريد الا ان يتركنا نحن ايضاً مجانين .

وانطلق يقهقه ويصرخ :

ويح لك يا سراقة ! ستلبس سواري كسري شاهنشاه ملك الملوك . والفرس ينفر من صراخه فيطير على وجهه حتى اختفى وراء الاكام

ومرت السنون .

وكان يوم صائف متوقد فر سراقه من حره الى حائط له فما استقر فيه حتى سمع منادياً منادي :

— يا سراقة بن مالك الجعشمي يا سراقة ، فصاح ان لبيك وانطلق يؤم الصوت اذا رسول عمر يدعوه ان اجب امير المؤمنين .

واذا الشمس بين يدي عمر تأخذ الابصار ببريقها ولمعانها واذا بين يديه تاج كسرى ومنطقته .

قال عمر :

— هلم يا سراقه اتذكر خبر الغار وسواري كسرى شاهنشاه ملك الملوك ؟

— قال : نعم .

Marfat.com

ـ قال قد اذهب الله بالاسلام ملك كسري فلا كسرى بعد اليوم هات يديك .

فالبسه السوارين وقال : ارفعهما ، فقال :

ـ الله اكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز والبسهما سراقة ابن مالك اعرابياً من بني مدلج .

يا سراقة لقد انتصر المهاجران على كسرى وقيصر وكان لهما ملك الارض ، يا سراقة لقد اضاء النور الذي انبثق من بطن مكة الدنيا جميعاً يا سراقة لقد ظفر الغار بالعراق والشام وغلبت الصحراء العالم يا سراقة لقد كان ملك كسرى وقيصر كبيراً قوياً ولكن الله مع الذين آمنوا والله اقوى ... والله اكبر .

علي الطنطاوي

نسخة مجانية

Marfat.com

من امثال العرب

ان العصا من العصية

قالوا : ان نزار بن معد كان له اولاد اربعة فلما حضرته الوفاة دعاهم واشار الى نصيب كل منهم في ميراثه وأوصاهم اذا اختلفوا ان يترافعوا الى حكم اسمه الأفعى الجرهمي فلما مات تنازعوا فذهبوا الى الافعى ليحكم بينهم في طريقهم رأى الاول عشباً قد رعى فقال : ان البعير الذي رعى هذا العشب اعور وقال الثاني : انه لأزور (اي مائل الشق) وقال الثالث انه لأبتر (اي مقطوع الذنب) وقال الرابع انه لشرود .

ولم يسيروا قليلا حتى قابلهم رجل يبحث عن جمله الضال فأخبروه بتلك الاوصاف فاتهموهم بأنهم وجـــدوه وأخذوه وخاصموهم الى الأفعى الجرهمي وساروا حتى وصلوا الافعى فأنكروا أخذ الجمل فلما سألهم كيف وصفوه بتلك الاوصاف ولم يروه ؟ قال الاول : رأيته رعى جانباً وترك جانباً فعلمت أنه أعور . وقال الثاني : رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدته فعلمت انه أزور لأنه افسده بشدة وطئه عليه . وقال الثالث : عرفت انه ابتر لأن بعره كان مجتمعاً ولو كان له ذيل لقذف به البعر . وقال الرابع : عرفت انه شرود لأنه كان يرعى في المكان الملتف النبت ثم يتركه الى مكان أخبث منه نبتاً فقال : الحكم للرجل هؤلاء ليسوا اصحاب بعيرك ثم سألهم من يكونون ؟ فلما أخبروه بانهم اولاد نزار بن معد قال : أتحتاجون الى حكم وأنتم كما ارى ؟ ان العصا من العصية اي انهم يشبهون اباهم كما ان الغصن الكبير أصله من غصن صغير .

وهكذا يقال في مشابهة الفرع لاصله .

Marfat.com

انفك منك وان كان اجدع

قالوا : كان للربيع بن كعب المازني فرس كريمة وكان له اخ احمق اسمه كميش وكان هناك رجل داعية من بني مالك اسمه قراد يريد اختطاف هذه الفرس فقدم على اصحابها واقام بينهم وهم لا يعرفون من هو .

وذات يوم دفع الربيع الفرس الى أخيه ليأتي بها اهله فركب قراد ناقته واعترض كميشاً وقال له : هل لك في قطيع من الوحش لم ار مثله سمناً وعظماً وفي قافلة معها كثير من الذهب ؟ فقال كميش : ومن لنا بذلك ؟ قال : انا لك به ولكنه لا يدرك الا على فرسك هذه . فقال كميش : فدونكها فاذهب واعطاه الفرس واعطاه قراد الناقة وقال له : امسك انت براحلتي وانتظرني في هـذا المكان الى مثل هذه الساعة من غد ، ثم ركب الفرس وذهب بها .

ولم يعد قراد في الموعد فانصرف كميش الى اهله فلما رآه اخوه صاح بـــه : اين الفرس ؟ فقال كميش : تحولت ناقة . فصاح اخوه : واين السرج ؟ قال : لم اذكر السرج فصرعه الربيع ليقتله ، فاجتمع الناس يمنعونه وقال رجل منهم : اترك مـا فاتك يا ربيع ودع اخاك فانما منك وان كان اجدع .

اي لا تستطيع ان تبرأ منه وان كان قبيحاً ، كما لا تستطيع ان تبرأ من اخيك وان كان أحمق ، وهكذا يقال لكل من يقطع ذويه .

فإن الانسان لا يستطيع ان ينفصل من انفه او يتبرأ من عضو من اعضائه مهما كان ذلك العضو .

Marfat.com

زر غبا تزدد حبا

اذا زار المرء اهله او اصدقاءه يوماً وترك يوماً ، او اسبوعاً وترك اسبوعاً فقد زار غبا .

قالوا : كان معاذ الخزاعي فارس خزاعة ، وكان يكثر من زيارة اخواله من قبيلة اخرى وكان اخواله يكرمونه ما نزل فيهم ويحتفون به .

وذات يوم زار معاذ اخواله واستعار منهم فرساً وعاد به الى قومه فتحداه رجل من قومه ليسابقه على ان من يسبق يأخذ فرس الآخر فسبقه معاذ واخذ فرسه ثم اراد ان يزيد من غيظه فطعن الفرس بالسيف فقتله فشتمه الرجل ، فضربه معاذ فقتله ثم لحق بأخواله فأقام فيهم زمناً .

وذات يوم خرج معاذ مع بني اخواله للصيد فحمل على حمار وحش فلحقه ابن خاله وطلب منه ان يترك له الحمار فأبى فقال له ابن خاله : اما والله لو كان فيك خير ما تركت قومك .

وسمع معاذ ما قاله ابن خاله ، وتأثر له وأحس بأن طول اقامته بين اخواله قد أدى الى ملالهم اياه واجترائهم عليه فقال : (زر غبا تزدد حبا) .

وهكذا خلق الانسان ملولاً يسأم المنظر الواحد ويزهد لون الطعام الواحد اذا بعد عن الشيء اشتاق اليه واذا حرمه تلهف عليه يفارق اهله فتشتد رغبتهم في رؤيته فاذا عادوا طفأوا منه شوقهم اصبح لا يثير شوقاً ولا لهفة .

ولكي يزيد حب المرء للشيء ينبغي تركه حيناً فتجد النفس اليه حنيناً ولذلك يقال (زر غبا تزدد حبا) .

والشاعر العربي يقول :

عليك بأغباب الزيارة انها اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا

Marfat.com

لامر ما جدع قصير انفه

اذا قطع احد انف امرىء او اذنه او يده او شفته فقد جدع ذلك الأنف او الأذن او اليد او الشفة .

قالوا : كان الملك جذيمة الابرش قد قتل ابا الزباء فلما ارادت الثأر منه رأت ان تاخذه بالحيلة فارسلت اليه برغبتها في الزواج منه وضم ملكها الى ملكه ، فانخدع وسار اليها رغم نصح رجل مجرب يدعى قصير بن سعد اللخمي ، ورغم تذكيره اياه بانه قتل اباها ولا يؤمن ان يكون ما تعرضه خدعة لتثأر منه .

ولما اقترب جذيمة من بلاد الزباء احاط به جندها وأسلموه اليها ، فقتلته وتولى ملكه بعده ابن اخته عمرو بن عدي .

فعزم على الثأر الخاله واشتشار قصيراً فيما يصنع ، وكانت الزباء قد سالت كاهنة عن هلاكها فاخبرتها انه سيكون على يد عمرو بن عدي فاحتاطت لذلك .

وأشار قصير على عمرو قائلا : اجدع انفي واضرب ظاري بالسياط حتى يحدث آثاراً ودعني اذهب اليها .

فابى عمرو ان يصنع بقصير ما اشار به فجدع قصير انفه بيده واحدث بظهره آثاراً واضحة ، فكانت العرب اذا رأته على هذه الحالة عجبت ولكنها كانت تعرف قصيراً ومكره ، وتعلم أنه ما صنع ذلك بنفسه الا لامر عزم عليه وان كانوا لا يعرفون ذلك الامـــر فصاروا يقولون : لامر ما جدع قصير انفه ؟

ثم سار قصير الى الزباء وأوهمها بان عمراً غضب عليه وما زال بها حتى وثقت به وأخذ يحتال حتى ادخل عليها عمراً فقتلها .

وهكذا يقال في كل امر ينبىء مظهره عن شيء ولا يعرف ما يكون ذلك الشيء وفي عمل كل ماكر وتدبيره وفي كل تدبير يعمله المرء ليصل من ورائه الى غاية يخفيها في نفسه .

نسخة مجانية

Marfat.com

وافق شن طبقة

قالوا : كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له شن . اراد ان يتزوج فعزم ان يطوف بأحياء العرب حتى يعثر على امرأة في مثل دهائه وعقله فبينما هو في بعض مسيره اذ وجد رجلا في الطريق يريد الموضع الذي يريده هو فسارا معاً وبينما هما يسيران قال له شن : اتحملني ام احملك ؟ فدهش الرجل وقال : يا جاهـــل انا راكب وانت راكب فكيف احملك او تحملني ؟

فسكت شن عنه ثم سارا حتى بلغا قرية فاذا بزرع قد قرب حصاده فقال شن للرجل : اترى هذا الزرع أكل ام لا ؟ فقال الرجل يا جاهل ترى نبتاً مستحصداً فتقول اكل ام لا ؟

فسكت شن حتى دخلا قرية فلقيتهما جنازة فقال شن للرجل : اترى صاحب هذا النعش حياً ام ميتاً ؟ فقال الرجل : ما رأيت اجهل منك أترى جنازة وتسأل عنها اميت صاحبها ام حي ؟ فسكت عنه شن ثم أراد مفارقته فابى الرجل ان يتركه حتى يذهب معه الى منزله فمضى شن معه .

وكان للرجل بنت يقال لهـا طبقة فلما دخل عليها ابوها سألته عن ضيفه فقص عليها ما حدث معه فقالت : يا ابت ما هذا بجاهل . اما قوله اتحملني ام احملك فأراد اتحدثني ام احدثك حتى نقطع طريقنـــا ونسهلها بالحديث .

واما قوله اترى هذا الزرع اكل ام لا فأراد هل باعه اهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟

وأما قوله في الجنازة فقد اراد هل ترك الميت عقباً يحيا بهم ذكره ام لا ؟

Marfat.com

فخرج الرجل فقعد مع شن فحادثه ساعة ثم قال له : اتحب ان افسر لك ما سألتني عنه ؟ قال نعم . فلما فسر قال شن : ما هذا من كلامك فاخبرني عن صاحبه ؟ فقال الرجل : صاحبه ابنتي فقال شن : هذه هي التي ابحث عنها وخطبها فزوجها الرجل اياها وحملهـا شن الى اهله فلما رأوا عقلها ودهاءها قالوا . (وافق شن طبقة) .

وهكذا يقال في الصديقين المتفقين والزوجين المؤتلفين وفي كل شيئين متماثلين متوافقين .

محمد عبد الغني حسن

عبد السلام العشري

Marfat.com

الملاريا

هناك من الشواهد ما يدل على ان افريقية هي مهد الملاريا ، فيها نشأت ومنها انتقلت الى سائر انحاء العالم ، حيث سببت متاعب كثيرة لأمم بلغت اوج المجد ، ولا نبالغ اذا قلنا انها كانت من اهم العوامل التي هدمت الامبراطورية الرومانية والاغريقية ، اذ انتشرت فيهما انتشاراً ذريعاً ، وقد دلت الاحصاءات على ان ما احدثته من الخسارة في الأرواح يربو كثيراً على ما احدثه اي مرض وبائي آخر ، وقد كانت لحسن الحظ من اكبر العوامل التي منعت الاوروبيين من استعمار مناطق كثيرة ، كما انها عاقت او افنت بعثات علمية هامـــة وليس ببعيد عهدنا ببعثة (لفنجستون) في مجاهل افريقيا وبعثة (ستانلي) التي لحقتها وما سببته لها الملاريا من المتاعب .

توصف الملاريا دائماً بأنها مرض من امراض المناطق الحارة ، وليس معنى هذا انها لا تظهر الا في هذه المناطق ، ولكنها تنتشر فيها اكثر مما تنتشر في المناطق الاخرى ، وذلك للفرق الشاسع في المعيشة وأسباب الراحة والمدنية بين سكان المناطق الحارة وغيرها ، ولعلها في غابر الزمان ايام كانت معيشة الاوروبيين لا تختلف كثيراً عن معيشة سكان اواسط افريقيا الآن منتشرة في اوروبا انتشارها في المناطق الاستوائية او على الأقل في فصل الصيف ، ان جو انكلترا نفسه لم يمنع المرض من ان ينتشر فيها حتى اواخر القرن التاسع عشر .

والملاريا انواع مختلفة منها الخبيث وغير الخبيث ، وقد كان النوع الاول ولا يزال الى عهدنا هـــذا يصعب تمييز من الحميات الاخرى ،

Marfat.com

وللتحقق منه كان الأطباء كثيراً ما يلجأون الى استشارة المعمل ، وكثيراً ما كان يختلط عليهم الملاريا بحمى التيفوس او التيفود او الحمى الصفراء .

ويظهر ان الناس منـــذ عهد قديم كانوا يعرفون العلاقة الوثيقة بين الملاريا والمستنقعات ، لهذا كانوا ينسبونها الى هواء المستنقعات الفاسد ، وربما كان هذا هو السبب في تسميتها باسم (ملاريا) اي الهواء الفاسد ، وكانوا يعرفون انهم اذا ما جففوا هذه المستنقعات قل انتشارها ، وقد زعم بعضهم ان حيوانات صغيرة جداً لا تراهـــا العين تنشأ في هـــذه المستنقعات فاذا ما وصلت الى الأنف أحدثت المرض ، وكان هذا الزعم الذي وافق الحقيقة منهم (رمية من غير رام) اذ الواقع ان الذي يسبب الملاريا هو كما سنرى طفيلي صغير جداً ذو خلية واحـــدة يعيش على كرات الدم الحمراء اما فيما يختص بطريقة العدوى فقد كانوا بعيدين كل البعد عـــن الحقيقة ، فناقل الملاريا هو البعوض ولم يعرف ذلك الا من عهد قريب .

حوالي سنة ١٨٧٥ م زعم عالم ألماني وآخـــر ايطالي انهما وفقا الى معرفة جرثومة الملاريا ووصفاها بأنها جرثومة مستطيلة حاملة للبذور تعيش في الارض والمستنقعات ، ومنها تنتشر في الجو حيث تصل الى الفم او الانف فتنمو في الجسم ويحدث المرض ، وزعموا ايضاً انهما سقيا الكلاب بالماء الملوث بهذا الجراثيم فأصيبت بحمى متقطعة وتضخم في الطحال وهي اعراض لا تختلف عن اعراض هذا المرض في الانسان .

ولمـــا لحظ ان اكثر الناس تعرضاً للعدوى هم الذين يضطرهم عملهم الى البقاء خارج منازلهم بعد غروب الشمس قالا ان ذلك يرجع الى انه في هذا الوقت يتكون ضباب منخفض لا يزيد ارتفاعه عن قامة الرجل وان هذا الضباب يحمل الجرثومة (الميكروب) او بذوره فضلاً عـــن انه في هذه الحالة يحيط به غشاء من الماء يحميه ويزيد في ضراوته وهو

Marfat.com

تعليل يبين لنا كيف ان الناس حتى اكثرهم ثقافة يتلمسون احياناً الاعذار ويحاولون خلق الاسباب لتعليل فكرة علقت بأذهانهم مهما كان نصيبها من الخطأ .

اما الكاشف عن الجرثومة الحقيقية فهو طبيب عسكري فرنسي يدعى (لافيزان) رأى في نماذج الدم المأخوذة مـــن مرضى الملاريا طفيليات صغيرة جداً ذات خلية واحدة داخل خلايا الدم الحمراء ، ورأى أيضاً حبيبات صغيرة جداً قاتمة لم يكن بها عهد من قبل فظن — ولم يجزم — انه كشف عن جرثومة الملاريا وليتاكد من ذلك — شان الباحث المدقق — ذهب الى الجزائر حيث المرض اكثر انتشاراً ، وأعاد الفحص على مئات النماذج من دم المرضى فكان في كل مرة يشاهد الصورة نفسها ، فلما وثق بحثه تقدم في سنة ١٨٨٠ م الى (اكاديمية) العـــلوم في باريس برسالة قصيرة عن سبب الملاريا فقوبل كشفه اول الامر كغيره مـــن الاستكشافات العظيمة خصوصاً اذا كان صاحبها غير معروف — بالشك ، كما قوبـــل في بعض المجتمعات بالاستهزاء والسخرية ، ولكن العالم الطبي ما لبث ان تحقق من صحة كشفه وتوالت الرسائل العلمية تؤيد هذا الكشف ولعل نجاحه هذا احقد رؤساءه عليه فعملوا على ابعاده عن البحث ، وخيروه بين ان يقبل الترقية الى وظيفة ادارية او يستقيل فرفض العرض الاول كما كان ينتظر من رجل مثله ، وترك الجيش وانضم الى معهد (باستير) حيث استمر يعمل الى ان وافته المنية سنة ١٩٢١ م بعـــد ان حصل جائزة (نوبل) .

لم يحل الكشف عن طفيلي الملاريا مشكلة نقلها ولكن هذا ايضاً مـــا لبث ان كشف القناع عنه .

ويرجع الفضل في ذلك الى طبيب انكليزي يدعى (رونالدروس) ولو ان طبيباً ايطالياً يدعى (جراسي) نازعه شرف السبق الى هـــذا

Marfat.com

الكشف ، غير ان العالم الطبي يكاد يجمع على الاعتراف بأسبقية (روس) على الرغم من ان جل بحثه كان منصباً على ملاريا الدجاج ، الا ان الشبه بين المرضين كبير ، فـــاذا كان (جراسي) قد طبق نتائج روس على ملاريا الانسان فهو لم يأت بجديد .

وكان (روس) كذلك طبيباً عسكرياً بدأ حياته العملية في الجيش البريطاني بالهند ، ولكنه لم يكن مغرماً بالطب بل كان شديد الكره له ولعله اضطر الى دراسته اضطراراً تحقيقاً لرغبة أبداها والده .

كان شديد الولع بالأدب وله قصائد وقصص كثيرة ، وهي وان لم ترفعه الى مرتبة الأدباء الذين تنبأوا له بمستقبل باهر في عالم الأدب ، وكان على وشك ان يهجر الطب ويحترف الادب لولا انه تزوج وأصبح رب اسرة ، وزادت تبعته واشتدت حاجته الى المال فخشي ان يغامر بمركزه في الجيش وهو في ذلك الحين مورد رزقـــه الوحيد ، سافر الى الهند تصحبه زوجه ومجهره الذي اشتراه بما ادخره من مال ، ولم يكن مألوفاً ان يحمل طبيب عسكري مثل هـذا الجهاز ، فتهكم عليه زملاؤه وسخروا منه ، وقـــد املى لهم في التهكم به ان المجهر كان عتيقاً لم عرض على طالب طب مبتدىء لرفض ان يشتغل به .

ولم يكد روس يستقر في مكتبه حتى اخذ يلهو بما سماه زملاؤه ألعوبته ، اي بمجهره العتيق مهملا عمله الرسمي ، وأثار غضب رؤسائه اللذين نهوه واضطهدوه وهددوه بالنقل بل بالطرد من خدمة الجيش ان هو لم يقلع عن هذا اللهو ، ولكنه لم يكن بالرجل الذي يخضع بسهولة للوعيد او التهديد ، وحدث ان انتشرت الملاريا في الهند في ذلك الوقت فرأى الفرصة سانحة في البحث في طريقة عدواها ، وكان هناك رأي ابداه العلماء الالمان والفرنسيون والانكليز والايطاليون ، وهو انها تنتقل بالبعوض ولكنه كان رأياً لا يستند الى برهان قاطع ولم يؤيد بتجارب

Marfat.com

عملية تثبت صحته ، فأخذ يفحص عن الآلاف من الحشرات بانواعها المختلفة دون جدوى .

ولما خبت نار وباء الملاريا استعاض عنها بملاريا الدجاج واستمر على هذا الحـــال ثلاث سنوات ، اصيب في اثنائها بالملاريا ثم بالكوليرا التي كادت تقضي عليه ، وقـــد ضعف بصره من كثرة استعمال المجهر الذي تلفت عدساته وبلغ به القدم مبلغاً جعله يكاد لا يصلح للعمل ، واخيراً حدث ان فحص يوماً عن بعوضة من (الانوفيل) فوجـــد في الخلايا المبطنة لمعدتها طفيلي الملاريا .

هنا كاد يطير لبه من الفرح وقـــام من فوره وكتب قصيدة طويلة ارسلها الى زوجه يصف ما وصل اليه ويشكر العناية الالهية التي قدرت له ان يكشف سراً هاماً من اسرار الطبيعة وان جهده لم يذهب سدى .

قوبل كشف روس في اول الامر ببعض الشك — كما تعود مـــن معاصريه — ولكن سرعان ما ثبتت صحته ، وأشاد العلماء بقيمته ورأى بعينه ثمرة بحثه ، ورأى الملاريا تمحى من جهـــات كثيرة ، رآها تدبر من تلك البقاع ادباراً ، ورأى ان اماكن كانت مقـــبرة للناس أصبحت بفضل كشفه جنة يعيش سكانها عيشة سعيدة ممتلئين صحة وقوة بعد ان كانوا ضعفاء قد انهكهم التعب وأذبلهم المرض بما امتصه من دمـــائهم طفيلي الملاريا .

منح روس جائزة (نوبل) كما منحهـــا (لافيزان) من قبل لكشفه عن الطفيلي ، ومما يدل على قيمة الكشف ان يحصل اثنان اشتغلا بالبحث فيه على اكبر جائزة علمية في فترة قصيرة ، ولو ان مستكشف (الكينين) قاتل طفيلي الملاريا عاش في عصر جائزة نوبل لحصل عليها كذلك .

للدكتور محمد عبد الحميد جوهر

Marfat.com

هل الحروب تطوي الحضارات

ما من شك في ان للحروب كائنة ما كانت تأثيرها الا بالنسبة الى الجموع المتقابلة في الجبهات والميادين فحسب وإنمـــا بالنسبة الى سواهم أيضاً وأعني اولئك الذين يسمونهم في لغة هذا العصر (السكان المدنيين) ومن الواضح الذي لا يحتاج الى دليل ان الغالب والمغلوب متساويان امام هذا التأثير .

فأول ظاهرة من ظاهرات هذا التأثير وأهمها هو ما يتكبده كل من الفريقين المتحاربين من خسارة مؤلمة في الارواح فمهما كانت الحرب المشتبكة بين فريقين من الناس بسيطة جداً او مهما كانت (بدائية) ، فالذي لا شك فيه أن خسارة الارواح فيها محققة .

الحرب شيء بغيض كل البغض لدى كل الناس

حتى اولئك السباقون الى ميادينها الذين اذا ما حمي الوطيس يظهرون ما يظهرون من بسالة واقدام ومن تضحية بالنفس واقبال على الموت حتى اولئك الابطال بحق انما يخوضون غمار الوغى اضطراراً لا اختياراً ... وانمـــا يقدمون الى الحرب في شجاعة ورغبة وحماس لا حباً في الحرب وإنما لأن السبب او الفكرة او بعبارة اخرى الايمان الذي يدفعهم اليها يحتم عليهم هذا الاقدام وهذه الرغبة وهذا الحماس اما شعور البغض للحرب مـــن حيث هي فأحسب انه ما يزال كامناً في نفوسهم كمونه الذي لا يمكن ان يحول ذلك لأن نفوسهم لم تخرج عن كونها نفوساً انسانية لديها من الاحساس بحب الحياة ما يركز فيها هذا الشعور وسرعان ما ينتهي ما يخوضون غماره من حرب وتنتهي دوافـع ذلك ودواعيه حتى ينكشف

Marfat.com

وجه الحق ويتجلى للميان هذا البغض الغريزي المكبوت ويطفو من عقل الانسان الباطن الى عقله الواعي هذا العقل الذي تعود دائماً ان ينظر الى الاشياء كما هي على ضوء من التأمل والتفكير .

الحرب شيء بغيض كل البغض لدى كل النفوس .

قال عنهـــا اشهر قواد الحروب في العصور الحديثة نابليون بونابرت (انها عمل بربري وحشي) وقال عنها قائد شهير آخر (لو شهدت يوماً من ايام الحرب لتوسلت الى الله ان لا يريك يوماً ثانياً منها) وقال عنها هذا القائد أيضاً (ليس أفظع من الانكسار في المعركة الا الانتصار فيها) وقال عنها لريس نابليون (ما الحرب الا أعمال بربرية منظمة وهي من بقايا الهمجية مهما اختلفت مظاهرها وأشكالها)

الحرب شيء بغيض كل البغض لدى كل النفوس .

ولكنها ماذا ؟

انها الشر الذي لا بد منه في هذه الحياة وقد شاء الله بحكمته الساميه ان تكون الحياة ميداناً للنقائض والاضداد ليتحقق فيها التوازن ويعمل حمله ناموس التنازع على البقاء ويتم التمايز بين الشيء ونقيضه بين الخير والشر ، بين الكمال والنقص ، بين القوة والضعف ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين الامن والخوف ، بين الشدة والرخاء ، الى آخر ما هنالك من الاضداد والنقائض .

لا بد من وجود الحرب اذن وليكن ما يكون .

لا بد من وجود الحرب اذن بالرغم من شعور البغض العميق بازائها وبالرغم عما تجره وراءها من اخطر النتائج وأشد الاضرار وبالرغم من تحديها لهذا الانسان في اسمى ما يقدسه ويحرص عليه من مثل عليا ومن افكار وفلسفات ومن حضارة وعمران وعلوم وفنون .

ولكنا نسأل هنا ما هو مدى تأثير الحروب في الحضارة يا ترى ؟

Marfat.com

وهل صحيح ان الحروب تطوي الحضارات ام ان الامر على النقيض ؟

اما ان يكون الرد هنـا ايجاباً فقد لا يعدم الباحث في هذا الصدد ادلة من التاريخ يستخرجها لاول وهلة من هنا ومن هناك لاثبات الدعوى وكسب القضية .

هو ذا تاريخ الحروب جميعهـــا في كافة العصور القديمة والوسيطة والحديثة وفي الشرق وفي الغرب ماثل امامنا هو ذا تاريخ الامم المتحضرة التي خلدها التاريخ من يونانية ورومانية وفينيقية وقرطاجنية واسلامية وسواها فماذا ليت شعري سيجد الباحث في هذا التاريخ من ادلة افناء الحروب للحضارات ؟

الواقع ان تاريخ كل هذه الشعوب الشهيرة مملوء بالحروب وبالدمـــاء والواقع ان بعضاً من هذه الشعوب (فينيقيا) و (قرطاجنة) فقد كان من نتائج الحروب المتتابعة عليها ان قضت عليها القضاء الاخير وطوت حياتها طياً من هذا الوجود .

ولكن أحقاً ان مـا دوّنه التاريخ من اصول الحضارتـين : الفينيقية والقرطاجنية قـد قضي عليه ايضاً وطوته تلك الحروب طياً واصبح في خبر كان ؟

وهل حقاً ان حضارة اليونان القديمة قد طويت من الوجود منذ اليوم الذي غلب فيه اليونانيون على أمرهم ودخلوا تحت سلطة روما بعد ان أنهكتهم حروبهم المتوالية مع الرومانيين ؟

وحضارة الرومان وحضارة مصر في العصر القديم ثم حضارة الاسلام في العصر الوسيط ، كل هـــذه الحضارات العظيمة قد اصيبت بأضرار من الحروب ، ولكن هل طوت كل هذه الحروب كل تلك الحضارات ؟

لقد أضرت الحروب حقاً بكل تلك الأمم ، وألحقت بها من فادح

Marfat.com

النكبات ما قضى على البعض منها نهائياً وما قضى على البعض الآخر منها بعض الشيء ، وليس من شك في ان اعظم ما اصيبت به هذه الشعوب الأخيرة جمعياً هو ان الحروب التي نكبت بها قضت في طليعة ما قضت عليه على أهم آثار حضارتها ومظاهر عمرانها ، وهذا هو وحده ما عنيناه حينما قلنا ان الباحث قد لا يعدم دليلاً من التاريخ على اثبات الدعوى التي تقول بأن الحروب لا بد ان تطوي الحضارات .

ولكننا بعد ان نفكر قليلاً سنرى ان القضاء على آثار حضارة مـا ليس معنـــاه القضاء الأبدي على اصول تلك الحضارة ، ان حضارة اي شعب لا بد ان تنتقل الى الشعوب الاخرى سواء أظل هذا الشعب عائشاً في الوجود ام اصبح من تلك الشعوب التي طواها التاريخ . ان حضارات مصر وفينيقيا وقرطاجنة واليونان والرومان ثم حضارة الاسلام في عصره الذهبي ما زالت اصولها قائمة الى يومنا هذا ، وهل حضاره اوروبا الراهنة الا مزيج من تلك الحضارات ؟

قد تختلف حضارة اليوم عن كل ما تقدمها من الحضارات وقد تمتاز عليها بشتى المظاهر والعلوم والفنون ولكنها قد ضمت ولا جدال بـــين شتى مظاهرها وعلومها وفنونها خلاصة من كل حضارة سابقة وقد يكون هذا وحده هو سر تفوقها المشاهد الملموس .

وقد تطوي الحروب أمماً وشعوباً وقد تطوي من تلك الشعوب والأمم ما قد يكون في اوطانها من مظاهر حضارتها في الوقت الذي تكون الانسانية قد هضمت فيه اصول تلك الحضارة واخذت منها عنصرهـــا الجوهري ، وفي الوقت الذي تغدو فيه تلك الحضارة ميراثاً للعالم اجمـــع وملكاً لكل امة في الوجود .

وكما ان الحروب لا يمكن ان تطوي الحضارات فهي ايضاً لا يمكن ان تعوق سيرها واستمرارها وتقدمها ، بـــل انه في كثير من الظروف

Marfat.com

تكون الحروب اكبر معوان لانتشار الحضارة . ان الحاجة ام الاختراع كما يقولون ، والحروب بطبيعتها تشجع نواحي الاختراع والابتكار في كل شيء ، الحروب تدعو بطبيعتها الى تقدم الصناعات الحربية على اختلاف انواعها والى التفنن والاكثار فيها من كل جديد ، وتقدم هذه الصناعات يدعو بطبيعة الحال الى تقدم سائر فروع الصناعات الاخرى .

والحروب بطبيعتها أكبر مساعد على تقدم الزراعة وانتشارها ، لأن الأمة المحاربة او المستعدة للحروب تحاول دائماً وبكل الوسائل ان تزرع اكبر مساحة ممكنة من اراضيها لكيلا تبقى اذا جد الجد عالة على سواها ولكي تغدو قادرة على تمويل بلادها وعلى الصمود أمام اي حصار يوجهه اليها الأعداء .

وكلما استمر تقدم الفنون الصناعية والزراعية استمر تقدم العلم الذي هو العنصر الهام لدى كل الحضارات .

والحروب ايضاً تساعد بطبيعتها على سرعة انتقال الحضارة من بلاد الى بلاد ، ذلك لأن اختلاط كل فريق من المتحاربين في الميادين او في بلاد الفريق الآخر يدعو الى هذا الانتقال .

وفي تاريخ الحروب الاسلامية الاولى ثم في تاريخ الحروب الصليبية المشهورة اعظم الشواهد على هذا الذي نقول .

حروب الاسلام وفتوحاته الاولى ساعدت من غير شك على اقتباس الحضارات التي كانت قائمة في البلدان التي غزاها المسلمون ، ومن هـــذا الاقتباس ومن هذا الامتزاج والتصاقب بين عناصر تلك الحضارات وبين الروح الاسلامية ، والتعاليم الاسلامية والعادات الاسلامية تكونت تلك الحضارة الاسلامية العظيمة التي شع نورها في العالم في الوقت الذي كانت فيه سائر الممالك الاخرى تتخبط في ليل دامس من الجهل والاضمحلال .

والحروب الصليبية ساعـــدت ولا جدال على اقتباس اوروبا لأصول

Marfat.com

الحضارة الاسلامية . ان تلك الحروب الطاحنة المدمرة ، تلك الحروب التي كانت بلاء على الشرق وعلى العرب وعلى الاسلام كانت في الوقت نفسه اول عوامل انتقال الحضارة من الشرق الى الغرب ، وكانت السبب المباشر لكل ما نشاهده اليوم من مظاهر الحضارة العصرية وتقدمها واتساعها .

وبعد فهذا هو تأثير الحروب في الحضارات .

لا يمكن ان تطوي اولاهما اخراهما بأية حال من الاحوال .

ولا يمكن ان تعوق اولاهما اخراهما من البقاء والاستمرار وفوق هذا جميعه نستطيع ان نزعم ان في بقاء الحروب واستمراراها بقاء واستمراراً لكل الحضارات .

وهذه هي الحقيقة المرة مع الاسف الشديد .

او هذه هي المشكلة كما يقول شاعر الانكليز شكسبير .

من كتاب (من تاريخنا)
للاستاذ محمد سعيد العامودي

Marfat.com

اعظم الوفاء[1]

هذا هو امرؤ القيس بن حجر الكندي يحترق غيظاً ويلتهب موجدة لانه لم يستطع ان يثأر من بني اسد قاتلي ابيه ملك كندة ثاراً يشفي نفسه ويبيح له ما حرم عليها من نساء وخمر وطيب . فهو منذ مقتل ابيه في شغل بالثأر له وقد حارب بني أسد في مواقع عدة وقتل كثيراً منهم لكنه لم يقنع الا بإبادتهم وبوراثته ملك ابيه عليهم على حين ان اخواله وانصاره من بكر وتغلب رأوا فيما بلغه من النصر شفاء لنفسه ومقنعاً فتخلوا عن مناصرته في حرب طاغية يريد امرؤ القيس الا يلقي سلاحها.

وجهد امرؤ القيس في ان يستديم الانصار القدامى وجهد في ان يستميل انصاراً جدداً ووعد هؤلاء واولئك وعوداً شتى فذهبت جهوده عبثاً .

وآنئذ شعر بلوعة لم يشعر بمثلها قط واحس بضعف الفرد الذي يريد ويعجز عن تحقيق ما يريد .

فلم يجد بداً من الحيلة السياسية ليصل بها الى ملك ابيه فهو يعلم ان الدولة الرومانية طالما طمحت الى ان يكون لها بقلب الجزيرة العربية منطقة نفوذ وولاء كما ان لها بالشام منطقة نفوذ وولاء لتحد من نفوذ الدولة الفارسية خصمها العتيد[2] وليس من صالح الرومان ان يكون للفرس نفوذ على الحيرة وعلى البحرين وعلى اليمن على حين ان الرومان لا ولاء لهم الا بأمارة غسان في الشام وليس من مصلحة الرومان ان تتفتح سبل التجارة واسواقها في بلاد العرب لخصومهم الفرس ولا يحدون لتجارتهم

«١» الاصل في الاغاني للاصفهاني وغرر الخصائص الواضحة لأبي اسحاق الوطواط ١٩ ، والمستطرف ١ – ٣٠١ للابشيهي . «٢» العتيد : الحاضر المستعد .

Marfat.com

في بلاد العرب مثل هذا المجال .

وحينئذ فكر امرؤ القيس في ان يفد على قيصر امبراطور الروم ليستنصر به على اعدائه ويستعين بقوته على استرجاع الملك ولن يضيره ان يكون حليفاً له لقاء ما سيقدم له من عون وتأييد .

ولكنه شغل بعض الوقت بسلاحه الذي حارب به فليس من الرأي وبعد النظر ان يتجه الى القسطنطينية ويخلف اوزار [١] الحرب من دروع وسيوف ورماح وقسي فلعله ان يحتاج اليها اشد الحاجة اذا ما عاد وليس من اليسير ان تقع في ايدي خصومه او في ايد تبدأه بالخصام .

فماذا يصنع ؟

أيحمل السلاح معه في رحلته انه اذا يكلف نفسه شططاً [٢] لانه يريدها سفرة سريعة خفيفة وهو على ثقة من طول الشقة وجهد الرحلة، ولقد يتصدى له في طريقه طامعون في أسلحته فيباغتونه بل انه لو اراد ان يحمل سلاحه ما استطاع لانه حينذاك يحتاج الى ابل والى رجال والى زاد وماء وهذا يكلفه أمراً إداً [٣] .

وليس من اللائق ان يقدم الامبراطور مستنجداً ومعه ما يملك من سلاح لم يغن عنه شيئاً وان الامبراطور ليملك من صنوف الاسلحة مالا يعد سلاح امرىء القيس بالنسبة اليها شيئاً مذكوراً .

أيخبىء أسلحته في كهف او يدفنها في الرمال ، انه اذاً لاحمق يدع قوته للصروف والظروف ويعرضها للتلف او للضياع .

لم يبق الا ان يودعها رجلا شهماً اميناً ذا وفاء ، حتى اذا ما عاد استردها كما اودعها .

وليس احد أجدر بثقته من السموأل بن عادياء ، ولم تكد هذه الخاطرة

«١» اوزار الحرب : سلاحها . «٢» الشطط : مجاوزة القدرة والحد .
«٣» اداً : فظيعاً .

Marfat.com

تمن له حتى جمع سلاحه ووفد به على السمؤال بحصنه الابلق وكشف له عن رغبته فهش له ورحب وعاهده على ان يحفظ الوديعة حتى يعود فيستردها وارسل معه الى قيصر كتاباً يؤيده فيه ، فشكر له الأمير واثنى عليه الثناء المستطاب .

هذا هو امرؤ القيس بن حجر يجتاز الدروب على ناقته وقد لف على رأسه عمامة من الحرير الابيض كأنها ظلة تقية وهج [١] الشمس وبوسطه حزام من الجلد الفاخر يتدلى منه خنجر مرصع المقبض وعلى يمينه سيفه المركوز في الرحل وقـــد ارخى لناقته زمامها فأخذت ترقل [٢] وتخطف الخطى خطفاً وهو يهتز على خطواتها السراع هزات منتظمة تذكره ببعض ما أنشد من قصائـــد اللهو والمراح [٣] وتذكره ببعض ما قرض [٤] من قصائد الجد والثأر والوعيد لبني اسد والهجاء لشاعرهم عبيد بن الابرص وهو في خلال ذلك كله يتخيل لقاء قيصر ويزور [٥] من الكلام مـــا يستميله به الى نصرته وتأييده ويحلم بالملك المسترد والمجد العائد ، فتبرق عيناه بريق الظفر ويمني نفسه باذلال بني اسد فيبتسم ابتسامة الرضا .

وبعد سفر طويل مجهد هبط القسطنطينية ورأى معالم حضارتها فلم تشغله طويلاً لأنه كان عنها في شغل بنفسه . ثم استأذن على قيصر فأذن له وتلقاه بقبول حسن ، وأخذ الامير العربي يزين للامبراطور مـــا في محالفته وتأييده من خير للدولة الرومانية وضر بخصومها الفرس ومناه بأن يمد رقعة كندة حتى اليمن ثم يحتل اليمن والبحرين ويطرد الفرس واولياء الفرس . فاستجاب الامبراطور لرغبة امرىء القيس وامر باعداد جيش لجب [٦] يسير به الامير العربي الى كندة .

واذ كان امرؤ القيس في حبرة [٧] من دنو آماله وفي تجواله بمدينة

«١» الوهج : الاشتعال. «٢» ترقل : تسرع . «٣» المراح : الفرح والاختيال . «٤» قرض الشعر : قاله . «٥» يزور : يعد وينمق . «٦» لجب : كثير . «٧» حبرة : فرح .

Marfat.com

القسطنطينية يشهد معالمها ويتملى [١] بالنظر الى قصورها وحدائقها ومتاجرها وحسانها ويعالج القريض في تصوير بعض ما أعجبه وبعض ما شاهده [٢] ويمي نفسه بالملك والمجد كقوله :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقـــن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انمـــا نحاول ملكاً او نمـــوت فنعذرا

وقوله :

ولو ان ما اسعى لادنى معيشة كفاني — ولم اطلب — قليل من المال
ولكنما اسعى لمجـــد مؤثل [٣] وقد يدرك المجـــد المؤثل امثالي

بينما كان كذلك اذا به يفاجأ بما صوح [٤] امله وقوض عمله ، اجل فقد تنكر له قيصر بعد المودة وأقصاه بعد التقريب وارتاب فيه بعد الثقة فكف جيشه عن السفر مع الامير العربي الطموح . ولم يجد الامير العربي عسراً في تعليل ما حدث لانه رأى خصمه الطماح الاسدي يتردد على قصر الامبراطور فمن الطبيعي انه قد حذر الامبراطور المخاطرة بجيشه في البيداء القاحلة الآكلة وخوفه مطامع امرىء القيس بما شاء له الحقد والعداء من ضعف ولهو ومجون واستهانة به من قومه ومن العرب اجمعين .

وكان الطماح يعتمد على تأييد من ملك غسان العربي حليف قيصر فقد كتب معه كتاباً الى الامبراطور يشهد فيه بما قاله الطماح .

فلمـــا يئس امرؤ القيس لم يطق البقاء بعاصمة دولة الروم وعـــاد أدراجه الى بلاده يحمل بين جنبيه هماً لا طاقة له باحتماله وكيف يحتمل

«١» يتملى بالنظر : يديمه . «٢» شدهه : ادهشه . (٣) مؤثل : عريق . (٤) صوح امله : اذهبه من صوحت الريح البقل والنبت اي جففته .

Marfat.com

الحزن على والده القتيل بأيدي اتباعه الاسديين وضياع الملك الطويـــل العريض من يديه وشماتة اعدائه فيه ثم كيف يحتمل انتصار خصمه الطماح الاسدي عليه في ميدان السياسة بعد ما كان النصر بينهم سجالا [١] في ميدان الحرب وكيف له ان يعود الى العرب خائب المسعى مسلوب الامل بعد ان اينع أمله وبعد ان تسامع العرب بمجيئه برحيله الى قيصر ليستعيد ملكه كانت هذه الآلام تضطرم كلها في نفس الشاعر العربي الامـــير وكان خياله يزيدهـــا ضرماً [٢] واشتعالاً فلم يقدر على مقاومة الجدري الذي اصيب به في طريقه قبل ان يبلغ حدود الجزيرة العربية وتهرأ [٣] جلده منه وسمي بسببه ذا القروح وهنالك قضى نحبه [٤] واستراح .

وتناقل الناس خبر موتـــه وعلم به الامير العربي الغساني فطمع في أسلحته المودعة عند السموأل بن عادياء .

فكتب اليه يطلبها فرفض فسار اليه في منسر [٥] من جنده حتى وصل حصنه الابلق .

كان الحصن منيعاً لا يستطيع احد ان يخترقه او يتسلقه فطالب الامير الغساني من السموأل ان يسلمه اسلحة امرىء القيس بأمر من قيصر الروم فأبى السموأل وقال له : لن اسلم الوديعة ولن اخفر [٦] الذمة .

فقال له الغساني : لقد مات امرؤ القيس بديار الروم وقـــد كلفني الامبراطور ان أرث سلاحه .

فأجابه السموأل أعلم انه مات هنالك ولكني أعلم ان الامبراطور لا حق له في وراثته واعلم انك لست من وراثه .

فاستشاط [٧] الامير الغساني وهدده بتقويض الحصن فرد عليه السموأل في طمأنية وفي حزم : الحصن امامك فافعل ما تريد اما الاسلحة فلن تنالها

---

(١) الحرب سجال : يتبادل الفريقان النصر فيها . (٢) ضرماً : اشتعالا . (٣) تهرأ جلده : المراد تساقط . (٤) قضى نحبه : مات . (٥) منسر : خيالة . (٦) اخفر : اخون . (٧) استشاط : امتلأ غضباً .

Marfat.com

لاني لن اخذل ميتاً أو لاني ثقفه حياً .

عندئذ كان فتى من ابناء السموأل في طريقه الى الحصن عائداً من الصيد فأمسكه الامير الغساني وشد وثاقه وصاح بالسموأل قائلاً : هـــذا ابنك سآمر جندي بقتله ان لم تسلم الاسلحة .

يا له من حرج تطير من هوله النفس شعاعاً [١] ابن يذبح على مرأى من ابيه او ذمة تخفر .

أيهما أقرب الى الطاعة وأولى بالاحتمال .

لقد كان في مقدور السموأل ان يتخفف من الحفاظ على الوديعة لان مودعها مات ولانها لم تعد صالحة لتحقيق ما كان يبتغيه منها ولانه مكره الآن على تسليمها لمن يدعي أنه الاولى بها ولا لوم عليه اذا ما آثر حياة ابنه على وفاء من اليسير ان يتحلل منه .

لكن السموأل لم يجب على التهديد القاتل الا بما يليق بالرجل العظيم قال للامير الغساني : دونك ابني فاذبحـــه اذا طابت بذبحه نفسك فلن تنال مـــن ذبحه الا ان توصم [٢] بالوحشية والعتو [٣] وبشاعة الذكرى ولعنة الله والناس اما انا فسأشتري الوفاء وحسن الاحدوثه بأبني على حبي له واعزازي وسيتحدث الناس من بعدي وبعدك بأنني :

وفيت بأدرع الكندي . اني اذا ما خان اقوام وفيت

وكأنما كان الامير الغساني يكاد يراجع نفسه وينكفىء عن الحصن ، ويخلي ابن السموأل لولا ان احد اتباعه نخس الفتى بشباة [٤] سيفه نخسة المغيظ فصاح الفتى قائلاً : ما هكذا يفعل الشجعان تكنفونني وتتجرأون علي وأنتم ذوو عَدد وعُدد هلا خليتم بيني وبين سيفي لانازلكم فاريكم

---

(١) تطير شعاعاً : تطير متفرقة . (٢) توصم : تعاب . (٣) العتو : الطغيان .
(٤) شباة : طرف .

Marfat.com

شجاعة الابطال ؛ لست أدري ألصوص انتم ام طلاب حرب . وتقبض [١] في وثاقه ليستجمع قواه ثم انفلت ليقبض على سيفه ويسيف [٢] به الامير الغساني فأدركه احد اتباعه بضربة فصلت عنقه .

كان السموأل يرى بعينيه ويسمع باذنيه فيتقطع قلبـــه قطعاً لكنه احتسب ابنه وصبر .

وبعد بضعة اشهر جاءه ورثة امرىء القيس فسلم اليهم الدروع والسلاح راضي النفس بما صنع ذائع الصيت بالوفاء والشهامة والحفاظ على العهد .

احمد محمد الحوفي

---

(١) تقبض تجمع . (٢) يسيف : يضرب بالسيف .

Marfat.com

العالم والقنبلة الذرية

القنبلة الذرية اغرب ما كشفت عنه عقول العلماء من مخترعات في هذا العصر ، ولهذا نسب العصر اليها فقيل (العصر الذري) كما انها اخطر ما عرف من أسلحة الحرب في الفتك والتدمير ، ويكفي في تصور طاقتها على الابادة والتخريب ان تعرف ان قنبلة ذرية واحدة كافية لأن تمحو من الوجود مدينة كاملة فتبيدها :

ويعيش العالم اليوم منها على حال سيئة من القلق والفزع ، فلا ينعم بعيش ولا تقر له عين ولا يطيب له مقام ، وانى له ذلك ومصيره في يد القدر لا يدري متى يحين حينه وتوافيه نهايته ، وقد يكون مصيره في كلمة ينبس بها زعيم من زعمـــاء الدول التي تملك القنبلة الذرية في حالة من الاضطراب الدولي يؤذن بها العالم بالحرب ، فاذا الدنيا جميعها نار تلظى وجحيم يستعر : الارض والسماء واليابس والماء والسهل والجبل والقوي والضعيف والشيخ والطفل والعالم والجاهل ويصبحون وليس لهم ملجأ ولا معاذ لا تعصمهم الجبال الصم ولا الحصون الشم ، واذا العالم في مثل هول القيامة الذي صوره القرآن الكريم قال تعالى : (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ، إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) وقال عز من قائل: (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) .

لقد كانت الحرب قبل ذلك سهلة القياد مخطومة بالزمام محدودة الشر محصورة الاثر ، في الامكان ان تحصر ميادينها ولا يصطلي بنارها الا بعض الشعوب

Marfat.com

اما اليوم فالكون كله ميدانها والفضاء نار ذراته عيدانها ، ليس لشعب ان يقول (ما لي بها او ما انا منها) وكيف ؟ وليس للنجاة من طوفانها سبيل .

تلك هي حال العالم اليوم يمسي ويصبح في فزع وهول ويتخيل للشر ألوناً وللبلاء صوراً وأشكالاً تطير لها النفوس شعاعاً وترجف منهـــا القلوب فزعاً ، وقـــد فسدت لذلك أعصاب الناس واضطربت افكارهم اذ تتراءى لخيالهم صور الدمار والفناء الذي اصاب هيروشيما وناكازاكي اول مدينتين القيت عليهما القنابل الذرية وتهمس في آذانهم ارواح ضحاياهما فيفرقون ويذهلون وتعاودهم في النوم اطيافها المزعجة فينبو مقامهم يقظه ومناماً .

والقنبلة الذرية مشكلة العصر يجهد العلماء والساسة والمشفقون على الحضارة انفسهم لحلها ووقاية العالم من شرها وصيانة الحضارة من خطرها ويعقدون لذلك المؤتمرات ويدرسون ما يعرض بشأنها من المقترحات وبرغم مواصلة السعي ومضاعفة الجهد لم توفق الدول حتى اليوم الى قرار يريح العالم ويدفع اخطارها عن اذهان الناس بل ما زالت بعض الدول تتنافس في انتاجها وتقوم بالتجارب المتوالية لتحسين صناعتها ومضاعفة قوتها وزيادة اخطارها وما زالت لذلك سحب الفزع تخيم على الدنيا بأسرها وتنشر في آفاقها الرعب والقلق .

وكان بعض الناس اليوم وهم يعيشون في ذلك الهول ويسخطون على العلم والعلماء وينعون على الحضارة والمتحضرين ويتساءلون (اهذه غايـــة العلم وحظ العالم منه ؟ اهذه ثمرة الحضارة ونصيب الجنس البشري منها ؟) .

ان كان كذلك فقد كان اجدى عليه واجلب لسعادته ان يعود القهقرى الى حياة الجهالة الاولى ويساكن الحيوان في الادغال والوحوش في الكهوف ويضرب بين الجبال والرمال ويحيا حياة بدائية اولى حيث

Marfat.com

يطمئن به العيش وتقل عنه الاخطار .

ولكننا نقول لهؤلاء المتشائمين المنغضين رؤسهم سخرية واستهزاء : رويدكم ايها الساخرون وارفقوا بالعلماء وانصفوا العلم فإن العلم كالنار له جوانب من الخير كضوئها وجانب من الشر كإحراقها والعلم وان تحفظ عن القنبلة الذرية التي لها قوة الابادة والتدمير فإن الكشوف الذرية لها جوانب من الخير عظيمة القيمة يقدرها الخبيرون بها الواقفون على سرها فالاطباء يعقدون عليها الآمال في شفاء كثير من الامراض لولاها لاستعصت على العلاج والطب ورجال الاقتصاد يتوقعون من استعمالها عهداً من الرخاء والرخاء صعيداً حيث يكون لطاقتها اكبر الاثر في تيسير وسائل النقل وتخفيض نفقاته لو وجهت وجهة سليمة نافعة عندئذ تقوم في البواخر والسيارات وسائل الالات مقام الوقود وتغني عنه وتكفي العالم نفقاته الباهظة التي يكابدها الان والتي يستطيع من بعد ان ينفقها في شؤون اخرى تعود عليه بالخير وتنشر فوقه من الرخاء والرفاهية ظلا وارفاً ظليلاً كما سيكون لهذه الطاقة الذرية اثر كبير في شؤون التغذية اذ يستحدث بواسطتها مواد غذائية جديدة تفوق المواد المعروفة في قيمتها وفائدتها كما انها تستخدم في حفظ المواد الغذائية نفسها مدداً طويلة وحينئذ يستطيع الناس ان ينتفعوا بمقادير منها كبيرة كانت من قبل يعبث بها التلف ويصيبها التغير والفساد .

للكشوف الذرية اذن جانب من الخير وجانب من الشر كما اسلفنا ، وبيد رؤساء الدول الذين يتحكمون في مصائرها ويقررون الحروب وانواع الأسلحة التي تستخدم فيها توجيه هذه القوى الذرية الى احد الجانبين . وهم المسؤولون امام التاريخ وامام الضمير الانساني عن سلام العالم وحياته وحضارته .

الى هؤلاء الرؤساء ينبغي ان تتوجه الشعوب عامة وشعوبهم خاصة .

Marfat.com

بالانذار والتحذير لأن الاخطار الذرية ستصيب البعيد والقريب والقوي والضعيف على السواء ولن يكون من بعدها غالب او مغلوب .

فعلى هؤلاء الرؤساء ان يقدروا مسؤليتهم التاريخية في انقاذ البشرية ويعالجوا الموضوعات السياسية باخلاص وحزم وبروح انسانية لا تتعصب للأوطان ولا تعرف القوميات ولا تسعى للظفر الدنيء .

ولعل الدول المتعادية تتكافأ امكانياتها الذرية فيكون ذلك سبيلاً للحد من اندفاعها نحو جانب الشر ووسيلة لتفضيلها جانب الخير فتبقي على الناس سلامهم وأمنهم وطمأنينتهم وحياتهم وتتجه وجهة البناء والانشاء لا وجهة الهدم والافناء ، وتستخدم القوى الذرية في الشؤون العمرانية من طبية او اقتصادية او غيرها لتهيء للناس رخاء ورفاهية يكونان سبباً في عهد أمن وسلام بدلا من هذا النضال والقتال .

والقنبلة الذرية بعد ذلك آية كبرى لمن شك في وجود الله او الطعن في دينه ، فقد أوقفنا العلم على ان الله اودع في اصغر مخلوقاته — وهي الذرة اكبر طاقة كهربائية ذات خطر كبير ، فما بالنا بالاسرار الطبيعية الاخرى في كونه الواسع مما عسى العلم ان يكشف عنه . وهكذا يبدو للانسان جهله وضآلة مداركه بجانب قوة الله العظيم وعلمه وقد صدق الله تعالى حيث يقول : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

Marfat.com

نسيبة بنت كعب المازنية

سيدة امتلأت كرماً ونبلا وفاضت شجاعة وحماسة ، وازدانت بكل ما يزين المرأة من قلب رقيق وحساسة قوية وعطف شديد ، كما تحلت باقدام الرجال وحزمهم .

خرجت هي وزوجها زيد بن عاصم وولداها عبد الله وحبيب في ذلك النيف والسبعين من الانصار يوم العقبة الثانية يريدون رسول الله المصطفى يبايعونه مستخفين لئلا يؤذيهم الجاهلون ، فبايعوه والناس نيام في ثلث الليل الاخير في اليوم الاوسط من ايام التشريق من السنة الثالثة عشرة للبعثة ، وعادوا الى المدينة وجوههم تطفح بالبشر بما نالوا من خـــير ، وقلوبهم ترقص بما نفحهم الحق سبحانه من نوره من نعمة الايمان ونور الهدى .

كان يوم أحـــد — يوم تلك الغزوة التي كاد ان يقضى فيها على المسلمين — فأظهرت نسيبة — رضوان الله عليها — من رباطـــة الجأش والاستبسال في القتال ما لم يكن للابطال المذاويد من فرسان العرب المغاوير .

فقـــد التحم الجيشان وكانت الدائرة — اول الامر — على المشركين فمال المسلمون على الغنائم وشغلتهم الاسلاب فتجمع المشركون ثانية وزحفوا عليهم زحفة اطارتهم كل مطار ولم يبق حول رسول الله الا نفر قليل فيهم ابو بكر وعمر وعلي وسعد وطلحة والزبير ونسيبة وزوجها وابناها وما ان رأت نسيبة دم المصطفى يسيل على وجهه ، ورباعيته قد كسرت ودخلت حلقة المغفر في رأسة حتى طرحت قربتها التي كانت تسقى منها العطاش وانتضت مهنداً تقاتل دون الرسول ببسالة واقدام فائقين حتى

Marfat.com

قال رسول الله ﷺ فيها : « مَا الْتَفَتُّ يَمِيناً وَشِمَالاً إلاّ وَأنَا أرَاهَا تُقَاتِلُ دُونِي » .

ولقد جرح ابنها عمارة في عضده اليسرى ضربه رجل كأنه الرقل (النخلة) ومضى عنه فجعل الدم ينزف فقال رسول الله : اعصب جرحك ، فأقبلت امه ومعها حقائب في حقويها قد اعدتها للجراح ، والنبي واقف ينظر ، فضمدت جرحه وقالت : انهض بني فضارب القوم فجعل النبي يقول : « ومن يطيق ما تطيقين يا ام عمارة » واذا بضارب ابنها يظهر ، فقال المصطفى : « هذا ضارب ابنك » فاعترضت له وضربت ساقه فبرك ، فابتسم الرسول وقال : « استقدت يا ام عمارة » ثم اخذت تعد الرجل بالسلاح حتى أتت عليه فقال رسول الله ص: « الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك » وقد جرحت اثني عشر جرحاً وهي لا تعي حتى ضربها ابن قمئة ضربة غائرة في عنقها ، فنادى رسول الله : « عمارة امك امك » اعصب جرحها بارك الله عليكم من اهل بيت ، مقام امك خير من مقام فلان وفلان ، فلما سمعته قالت : « ادع الله ان نرافقك في الجنة » فقال . « اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة فقالت : « ما ابالي ما اصابني في الدنيا » .

ولنستمع اليها تحدثنا هي عن بلائها في ذلك اليوم « قالت : خرجت اول النهار وأنا انظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت اباشر القتال عنه بالسيف وأرمي من القوس حتى خلصت الجراح الي » قالت راوية الحديث فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت من اصابك بهذا ؟ قالت ابن قمئة أقماه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى

Marfat.com

الله عليه وسلم اقبل يقول دلوني على محمـــد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له انا ومصعب بن عمير واناس ممن ثبت مع رسول الله فضربني بهذه الضربة ولقد ضربته ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان .

وهناك موقف آخر من مواقف بطولتها الخالدة يوم خرج خالد بن الوليد في جيش فيه ولداها لقتال مسيلمة الحنفي ، فأسر مسيلمة ابنهـا حبيباً فعذبه وأراد فتنته عن دينه ولكن انى لهذا الشهم الكريم سليل تلك السيدة الكريمة الباسلة التي غرست فيه الشمم وقوة الايمان يوم ان ارضعته ، انى له ان يفتن في دينه او يصبأ عن عقيدته .

روى ابن هشام في السيرة ما نصه « وابنها حبيب الذي أخذه مسيلمة صاحب اليمامة فجعل يقول له : اتشهد ان محمـــداً رسول الله فيقول : نعم ، فيقول : افتشهد اني رسول الله فيقول له : اسمع فجعـــل يقطع منه عضواً عضواً حتى مات في يده لا يزيد على ذلك ، اذا ذكر رسول الله آمن به وصلى عليه واذا ذكر مسيلمة قـال له : اسمع فلما بلغها هذا خرجت الى اليمامة مع المسلمين فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً ما بين طعنة وضربة » .

هذه هي نسيبة بنت كعب التي كانت مثلا عالياً في التضحية والإقدام والبسالة والنبل ، على انها ما كانت لتقصر على هذا فقد كان لها نصيب وافر من العلم فقد روت عن النبي ﷺ وحدثت كما في الاصابة .

الاستاذ محمد اسعد
(بتصرف)

Marfat.com

ايام العرب

(حرب البسوس)

كانت العرب العدنانية بدواً أميين قد تأصلت في نفوسهم طبائع البدو من النجدة وحب الغزو والميل الى الانتقام والأخـــذ بالثأر كان العربي منهم حين يفتح عينيه لا يرى إلا تألق الأسنة ولا يسمع الا صهيل الخيل وزئير الوحش ولم يكن لهم حمى يلجأون اليه الا ظهور خيلهم ومقابض سيوفهم فرسخت فيهم صفات الفروسية وقوة المراس وكثر الفتك والنهب وما كان لهم مقام بأرض وإنما كانوا يبتغون الماء ويرتادون منازل العشب ليرعوا انعامهم التي عليها بلاغهم في حمولهم وشبههم ويدعون [illegible] المرعى وتدافعوا على النجعة . نشبت دواعي الخلاف التي كانت [illegible] تنتهي بالاحتكام الى السيف فانتشرت بينهم العداوة وفشت فيهم الضغائن وتخطف بعضهم بعضاً واحتمت بعض قبائلهم بالحلف وبقيت بعض القبائل الاخرى متجمرة (١) في نفسها ممتزة بعصبيتها وكان هذا أحد العلل التي أدت الى هذه الايام او الغارات المشهورة .

ومن هـــذه الايام « حروب ربيعة » التي اشهرها حرب البسوس وكانت بين بكر وتغلب وهاجها مقتل كليب بن ربيعة . ذكر صاحب العقد الفريد ان كليباً هذا قـــاد معداً كلها يوم خزازى (٢) فقضى بهم جموع اليمن وهزمهم وخلصت معـــد من ولاية التبابعة يومئذ فاعترفوا

---

(١) الجمرة : القبيلة التي تعتز بعصبيتها ولا تحالف غيرها وهي من التجمر بمعنى التجمع وجمرات العرب ثلاث : ضبه . وغير . وعبس . وبعضهم يزيد رابعة وهي بنو الحارث بن عبد المدان .

(٢) خزازى — كحبالى : موضع كانوا يوقدون عليه ناراً غداة الغارة .

Marfat.com

لكليب بالسيادة عليهم وأعطوه قسم الملك وتاجه وغبر بذلك حيناً من دهره حتى دخله زهو شديد وبقي على قومه لما هو فيه من عزة وانقياد معد له حتى كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ، وضربت العرب بعزته المثـــل فقالوا : « أعز من كليب » واتفق ان مرت ابل له الى موردها بناقة البسوس بنت منقذ التميمية وهي خالة جساس بن مرة بن بكر وكانت جارة له فلما رأت الابل نازعت عقالها حتى قطعته ووردت الماء معها ورآها كليب فرمى ضرعها بسهم وراحت ترغو على صاحبتها فخرجت الى جساس فأخبرته بكلامها حتى خرج كليب وهو غـــار فقتله ووقعت الحرب وتشمر عدي بن ربيعة وهو مهلهل للأخذ بثـــأر أخيه وكرهت قبائل بكر مساعدة بني شيبان رهط جساس وأعظموا قتل كليب في ناب من الابـــل وانقبض الحارث بن عباد فارس النعامة في أهل بيته (وهو ابو بجير او عمـــه) وقد مكثت هذه الحرب أربعين سنة على ما يقول الرواة وكانت فيها الغارة بين الرجلين والثلاثة وكان أعظم ايام تغلب على بكر يوم الذنائب [1] الذي ذكره مهلهل في قصيدته التي مطلعها :

الملتنا بذي حسم انـــيري اذا انت انقضيت فلا تحوري

ويقول فيها :

فان يك بالذنائب طال ليـــلي فقد ابكي من الليل القصير
فلو نبش المقابر عن كليب لأخـــبر بالذنائب أي زير
كأنا غـــدوة وبنى ابينـــا بجنب عنيزة رحياً مـــدير
واني قـــد تركت بواردات بجيراً في دم مثـــل العبير

---

(١) موضع بنجد على يسار طريق مكة كانت به وقعة بين بكر وتغلب .

Marfat.com

هتكت به بيوت بني عباد وبعض القتل اشفى للصدور
على ان ليس عدلاً من كليب اذا برزت مخبـــأة الخدور
ولولا الريح اسمع من بجير[1] صليل البيض تقرع بالذكور

قالوا : ولما بلغ الحارث بن عباد قتل ابنه بجير قال : « نعم القتيل قتيلاً اصلح الله بـــه بين ابني وائل » فقيل له ان مهلهلاً حين قتله قال : « بؤبشسع نعـــل كليب » فغضب الحارث واحمسته بكر لذلك ولإسراف مهلهل في قتلهم فتولى الحارث امر بكر وأوقع بتغلب في يوم قضه وهو يوم تحلاق اللمم وأسر مهلهلاً وهو لا يعرفه ثم اطلقه وفي ذلك يقول الحارث حين تجهز لهم ابياته المشهورة التي أولها :

قربا مربط النعامـــة مني لقحت حرب وائل عن حيال[2]
لم اكن من جناتهـــا علمَ الله وإنى بحرها اليوم صـــال
لا بجير أغنى قتيلاً ولا رهط كليب تزاجروا عن ضلال
يا بجير الخيرات لاصلح حتى املأ السهل من رؤوس الرجال

روى صاحب الاغاني عن رواته :

قالوا لما قتل كليب اجتمح نساء الحي للمأتم ، فقلن لاخت كليب : رحلي جليلة عن مأتمنا فان قيامها فيه شماتة ، وعار علينا عند العرب ، فقالت هذه لجليلة اخرجي عن مأتمنا فأنت اخت واترنا وشقيقة قاتلنا ، فخرجت وهي تجر أعطافها فلقيها ابوها مرة فقال لها : ما وراءك يا جليلة ؟ قالت : ثكل العدد وحزن الابد وفقد خليل وقتل اخ عن قليل وبين ذين غرس الاحقاد وتفتت الاكباد ، فقال لها ابوها : او يكف ذلك كرم الصفح واغلاء الديات ؟ فقالت : امنية مخدوع ورب الكعبة ابا لبدن تدع لك تغلب دم ربها ؟؟

(١) قصبة اليمامة . (٢) الحيال بكسر اوله : امتناع الحمل .

Marfat.com

قالوا : ولما رحلت جليلة ، قالت اخت كليب : رحلة المعتدي وفراق الشامت ، ويل غداً لآل مرة من الكرة بعد الكرة . فبلغ قولها جليلة فقالت : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها أفلا قالت نفرة الحياء وخوف الاعتداء ، ثم انشأت تقول ... (هو من أبرع ما قيل في معناه) :

يا ابنة الاقوام ان شئت فـــلا	تعجـــلي باللوم حتى تسألي
فإذا انت تبينت الـــذي	يوجب اللوم فلومي واعذلي
ان تكن اخت امرىء ليت على	شفق منهـــا عليـــه فافعلي
جل عندي فعل جساس فيا	حسرتي عما انجلت او تنجلي
فعل جساس على وجدي به	قاصم ظهري ومدن اجلي
يا قتيلا هوض الدهر بـــه	سقف بيتي جميعاً من عـــل
هدم البيت الذي استحدثته	وانثنى في هدم بيتيّ الاول
يا نسائي دونكن اليوم قـد	خصني الدهـر برزء معضل
خصني قتـــل كليب بلظى	من ورائي ولظى من اسفل
ليس من يبكي ليوميه كمن	انمـــا يبكي ليوم مقبل
يشتفي المدرك بالثأر وفي	درك ثـــأري ثكل لمثكل
انني قاتلة مقتولة	ولعـــل الله ان يرتاح لي

محمد هاشم عطية

Marfat.com

ويح هؤلاء الغوغاء ما أشد ما تكون جلبتهم وما أعنفها حين تثور ثائرتهم ، ليت شعري ما الذي اهاجهم في مثل هذه الساعة من النهار ليقضوا مضاجع من جنحوا الى منازلهم مع القيلولة ... ثم ما بال الحكم تخلف عن المنزل على غير عادة منه ، وما كان ليبطىء عن موعد غدائه قبل اليوم ... ولكن ما بال هذه الجلبة تدنو وتقترب حتى ارتجفت منها جوانب الحي ... اللهم لطفك يصرف البلاء .

قال ذلك ابو الحكم الغرناطي وهو ينهض من مجلسه في مخزانة كتبه حيث كان منهمكاً في مطالعة كتاب وصله حديثاً من المشرق وهو يجد أشد العناء في قراءة خطوط هؤلاء المشارقة الذين صرفهم حب المال عن التجويد والاتقان والتروي فيما ينسخونه من كتب الاعلام عندهم ، ولذا فهي ما تفتأ ترد زاخرة بالتصحيف والتحريف والبتر .

وما كاد يطأ عتبة الباب ليدلف منه الى الطريق فيستطلع خبر هذه الجلبة التي ملأت سمعه وهو في مكانه القصي من المنزل حتى وجد نفسه وجهاً لوجه امام رجل اسباني أطار فؤاده الفزع والرعب كأنما هو يفر من موت يتعقب خطاه ويقتفي اثره . وكاد الرجل الخائف يصطدم بأبي الحكم ان لم يكن فعل ذلك على غير وعي منه ، وهو يقذف بنفسه داخل خوخة الباب [1] التي وجدها تفتح مصادفة بين يديـــه ، فكانت الفرج الذي انتشله من هول ما هو فيه . واستدار الأسباني الى باب الخوخـــة فنحى عنه يد الشيخ المعروقة وصفقه [2] في وجوه من توقعهم ان يكونوا

(١) الخوخة هي الباب الصغير في الباب الكبير . (٢) صفقه : اغلقه .

Marfat.com

وراءه واسند ظهره اليه وهو يلتقط انفاسه زائغ البصر ثم ما لبث ان استفاق من ذهوله وترامى على قدمي الشيخ وهو يرتعد فرقاً وقال بصوت تخنقه العبرات : انا مستجير بك يا عم ، فـــان ورائي قوماً من العرب يطالبونني بدم رجل منهم تطاول علي بخصومته فأغواني الشيطان فصرعته بطعنة خنجر وليت الأدبار وانا أتوهم ان جميع من في غرناطة قـــد صاروا يعدون في أثري .

وقال الشيخ يهدىء من روعه « لا عليك يا بني فقد وصلت مأمنك ان شاء الله ولن ينالك احد بمكروه ما دمت في جوار ابي الحكم وستجد من ولدي الحكم خير صديق يرعى لك حرمة الجوار ويرد عنك كل اذى » .

وأمسك بيده ومضى يدله على المكان الذي تخيره له من المنزل ثم تحول الى احد غلمانه فأمره بأن يعد له طعاماً ويوافيه بما قد يحتاج اليه في مخبئه ذاك . وما كاد الشيخ يعود الى مجلسه من خزانة كتبه ، حتى سمع قرعاً متوالياً على الباب فقدر ان يكون القارعون طلاب جاره الاسباني الذين يقتفون أثره فتلكأ في قيامـــه وبوده ان لا يقوم حتى لا يواجه اولئك القوم وهم في سورة غضبهم وتمنى لو كان ولده الحكم معـــه يشد ازره وليجد في شبابه الماء الذي اضعفه كر الاعوام في نفسه .

ومضى الى الباب وقد جمع مـــن حوله ليظاهروه فيما هو مقدم عليه ودنا من الباب والقرع من ورائه لا يزال على اشده وفتحه بيدين ترتجفان من وهن الشيخوخة فاذا هو يجد بين يديـــه جمعاً غفيراً من الناس وهم يحملون جثمان رجل غشاه احدهم بطيلسانه [1] وكلهم قد نكس رأسه مخافة ان يكون نذير الشؤم وأخيراً دنا منه احدهم وهو يهمس بصوت خفيض « تجلد ابا الحكم فان الرزايا خلقت للرجال ... كل نفس ذائقة

« ١ » الطيلسان رداء كانوا يلبسونه فوق ملابسهم عنـــد خروجهم من المنازل وكان اول امره مقتصراً على الخاصة ورجال العلم ولكنه شاع فيما بعد وكانوا يقلدون به العجم .

Marfat.com

الموت وهذا هو الحكم قد لقي مصرعه على يد اسباني غادر من صفاته كيت وذيت [١] وقد أوشكنا ان نحيط به فيقع بأيدينا لولا ان غيبه منعطف الطريق على مقربة من دارك ثم اختفى على حين غرة ، كأنما ابتلعته الارض او طار به طائر الى عنان السماء . . . »

وأدخل القوم جثمان الحكم وأبوه يمشي بين يديه وقد صدعت الفاجعة أركان عزيمته وأوهنت جلده وحطمت فؤاده وزاد من بلائه انه يعرف مكان غريمه في منزله وانه عاجز عن الاخذ بثأره منه لأنه متحرم بجواره ممتنع بعهده وحاشا لله ان يخفر ابو الحكم عهـــداً أو يخون جواراً ولم يجـــد الشيخ المفجوع بولده الوحيد الا البكاء متنفساً فبكى بكاءً خاشعاً صامتاً مخافة ان يشمت به حاسدوه وما اكثرهم لمن كان في مثل مكانته .

وانصرف ذوو قرابته يعدون الشهيد لمثواه الاخير وعلا في المـــنزل بكاء النسوة من اخواته وقريباته حتى تناهى ذلك الى سمع الاسباني في اقصى المنزل ، وتحين ذو احد الغلمان من نافذة حجرته ، فشاهده اليه وسأله عن سبب هذا العويل الذي امتلأ به المنزل ، فأنبأه ان الحكم وحيد رب البيت قد جيء به صريعاً بيد اسباني أثيم وهم من أجل ذلك يبكونه .

وخارت عزيمة الرجل وأيقن بالموت وشيكاً ، وجعل يترقب دخول القوم عليه بين لحظة واخرى يقطعونه ارباً ارباً ليأخذوا بثأرهم منه وليس له مفر من ذلك من مهرب .

وعاد ابو الحكم من دفن ولده ليلتقي في مجلسه العزاء ممن توافى اليهم نبأ فاجعته لولده من أهل غرناطة ، حتى ما تراخى به الليل وانصرف من حوله المعزون دخل على جاره الاسباني وبيده صرة من الدنانير ، وفاجأه بقوله : « لقد علمت ما كتب الله علينا من البلاء على يديك ،

«١» يقال كيت وكيت او كيت وذيت وكلاهما بمعنى كذا وكذا .

Marfat.com

وما يسعنا الا الصبر ، ولن نخفر لك عهداً ولا ذمة ، وهذه دنانير قد تحتاج اليها قبل ان تبلغ مأمنك وتصل الى أهلك .. فاخرج عنا آمناً ولا ضير عليك مخافة ان ينتهي خبرك الى أبناء عم الحكم فينالك منهم شر فتسبني العرب بذلك » .

وخرج الاسباني من المنزل وهو لا يكاد يصدق ما تسمعه اذناه ، ومضى يحدث قومه عن شهامة العربي وحفظه للجوار حتى مع قاتل ولده.

بمثل هذه الاخلاق الحميدة استطاع العرب في الاندلس وسواها ان يكتبوا تاريخاً وان ينشئوا حضارة وان يكونوا أمجاداً ما تزال جميعها حديث الدهر منذ كان العرب في عهدهم البعيد حتى يوم الناس هذا .

محمد سليم رشدان

Marfat.com

غزوة بدر

« ماء بدر – قلب ماء عديدة بالوادي ، بينها قليب
امامه كثيب – ابو سفيان بن حرب ينزل بالماء حذراً »

ابو سفيان : (لأحد الرعاة) هل أحسست أحداً ؟

الراعي : ما رأيت احداً انكره الا اني قد رأيت رجالا ثلاثة قد اناخوا الى هذا التل ثم انطلقوا مع غلامين من سقاة الماء .

ابو سفيان : أرني مناخهم ؟

الراعي : (يشير له الى مكان بالوادي) هنا كان مناخ بعيرهم .

ابو سفيان : (ينحني ويلتقط بعراً من ابعار الابل ويفته باصبعه فيجد فيه نوى) علائف يثرب .

الراعي : أرأيت فيها نوى نخيلها ؟

ابو سفيان : (كالمخاطب لنفسه) نعم هذه واللات عيون محمد .

« يرجع الى عيره سريعاً ويرتحل من فوره
مع اصحابه بعيداً عن الطريق المألوف »

الراعي : (لنفسه) ما هذا الرجل قد ضرب وجوه عيره عن الطريق وانطلق سريعاً ؟

Marfat.com

« ينصرف »

« محمد واصحابه يقومون »

محمد : هنا فانزلوا .

« الحباب بن المنذر يسرع الى محمد »

الحباب : ننزل هذا المكان ؟

محمد : نعم .

الحباب : يا رسول الله أرأيت هذا المكان أمنزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه ام هو الرأي والحرب والمكيدة ؟

محمد : بل هو الرأي والحرب والمكيدة .

الحباب : يا رسول الله ان هذا ليس بمنزل فسر بالناس حتى تأتي ادنى ماء من القوم فتنزله فاني عالم بها وبقلبها بها قليب قد عرفت عذوبة مائـــة لا ينزح فنغور ما سواه من القلب ثم نبني عليه حوضاً ثم نقاتل اليوم فنشرب ولا يشربون .

محمد : لقد اشرت بالرأي .

الحباب : (يسير بالقوم الى القليب) هو ذا القليب هنا فلننزل .

« محمد ينزل وينزل معه الناس »

عمر : (للحباب) خذ بعض القوم وابنوا الحوض .

« الحباب يسير ببعض الناس ليفعل ما أشار به »

ابو بكر : (لعمر) الا فلنجعل الرجال في صفوف

« سعد بن معاذ يدنو من محمد »

سعد : يا نبي الله الا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك

Marfat.com

ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما احببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا بالمدينة ؟

محمد : جزاك الله خيراً يا سعد .

ابوبكر: (لسعد) انطلق ببعض الرجال وابنوا العريش .

« سعد يسير ببعض الناس ويبنون عريشاً من جريد »

محمد : استووا صفاً صفاً .

« يصفف رجاله »

ابوبكر: (للرجال) افعلوا كما امركم رسول الله .

محمد : (في يده عود يشير به لبعض الرجال كي يعدل الصف) انت تقدم احد الرجال : انا ؟

محمد : نعم (لرجل آخر) وانت تأخر .

سواد بن غزية : (وهو مستنصل عن الصف) يا رسول الله .

محمد : يطعن بالعود في بطن سواد) يا سواد .

سواد : يا رسول الله اوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل .

محمد : استو .

سواد : اصبرني يا رسول الله ومكنني من نفسك لأقتص منك .

محمد . اصبر .

سواد : ان عليك قميصاً وليس علي قميص .

« محمد يرفع قميصه فيعتنقه سواد ويقبل بطنه »

محمد : ما حملك على هذا يا سواد ؟

Marfat.com

سواد : يا رسول الله حضر ما ترى فأردت ان يكون آخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك .

محمد : (باسماً) جزاك الله خيراً يا سواد .

الحباب : (يقدم وقد بنى الحوض) لقد بنينا الحوض وقذفنا فيه الآنية فوالله ما يشرب منه رجل من القوم الا قتلناه .

عـــلي : (يصيح انظروا الى الكثيب لقد أتوا) .

ابو بكر : (يلتفت) نعم هذا الكثيب انهم يجيئون منه الى الوادي .

محمد : (وجهه الى السماء) اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداة .

« قريش تظهر على الكثيب وتصوب انظارها في الوادي »

ابو جهل : (يرى محمداً وجيشه) هذا محمد وأصحابه .

امية بن خلف : (يلتفت الى عمير بن وهب) يا عمير احزر لنـــا اصحاب محمد .

عمير : (يصوب في الوادي) ثلثمائـــة رجل يزيدون قليلاً او ينقصون ولكن امهلوني حتى انظر أللقوم كمين او مدد ؟

« يذهب فيضرب في الوادي »

عتبة بن ربيعة : اما سمعتم بما يقول جهيم بن عبد المطلب ؟

امية : ماذا يقول ؟

عتبة : رؤيا قد رآها .

ابو جهل : رؤيا ؟

Marfat.com

عتبة : (ينادي) يا جهيم اقبل وقص علينا رؤياك .

جهيم : (يقبل) اني رأيت فيما يرى النائم واني لبين النائم واليقظان اذ نظرت الى رجل قد اقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قـــال « قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابـــو الحكم بن هشام وأمية بن خلف ثم رأيته ضرب في لبة بعيره ثم ارسله في العسكر فما بقي خباء من اخبية العسكر الا اصابه نضح من دمه » .

ابو جهل : وهذا ايضاً نبي آخر من بني عبد المطلب .

جهيم : والله لقد ذكرت ما رأيت .

ابو جهل . ستعلم اليوم من المقتول ان نحن التقينا

« عمير يعود »

أمية : ماذا وجدت يا عمير ؟

عمير : ما وجدت شيئاً ولكني رأيت يا معشر قريش البلايا تحمـــل الموت الناقع قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم امـــا ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعي والله ما أرى ان يقتل منهم رجل حتى يقتل منا رجـــل فاذا أصابوا منكم عددهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم .

شيبة : (يتقدم اليهم) لقد جاء نبأ من أبي سفيان انه احرز عيره ونجا بها .

أمية : او بعث احداً ؟

شيبة : (يشير الى فارس خلفه) نعم هذا هو رسوله .

Marfat.com

الفارس : (يتقدم) لقد ارسلني اليكم ابو سفيان اقول لكم انكم انما خرجتم لتنموا عيركم ورجالكم واموالكم فقد نجا بها فارجعوا .

ابو جهل : نرجع واللات لا نرجع حتى نرد سواد بدر فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر رتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا ابداً بعدها .

امية : واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً واصحابه بالحبال فامضوا .

عمير : (يلتفت الى جيش محمد) كيف نمضي ؟ ان محمداً وأصحابه قد جعلوا لأنفسهم حوضاً على هذا القليب يذودون عنه ولا ماء لدينا وقد غوروا ما سواه من القلب .

ابو جهل : فلنحمل اليه .

عمير : واللات لو فعلنا لرمونا بالنبل .

« يخرج الاسود المخزومي »

المخزومي : (يصيح) اعاهد اللات لأشربن من حوضهم او لأهدمنه او لأموتن دونه .

« يخرج صائحاً منطلقاً الى القليب فيراه حمزة ابن عبد المطلب في صفوف النبي فيتبعـــه »

حمزة : (صائحاً) خذها يا عدو الله .

«ثم يضربه بسيفه ضربة تطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فيقع المخزومي على ظهره

Marfat.com

وتشخب رجله دماً فيحبو الى الحوض ويقتحمه
فيتبعه حمزة ويضربه حتى يقتله في الحوض »

عتبة : (يبرز ويصيح) الى المبارزة الى المبارزة .

« يخرج من صفوف النبي ثلاثة من الانصار للمبارزة »

الانصار : (صائحين) الى المبارزة .

عتبة : (صائحاً) من انتم ؟

الانصار : رهط من الانصار .

قريش : (تصيح) مالنا بكم من حاجة .

عتبة : (ينادي) يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا .

محمد : (على باب عريشه ينادي) قم يا حمزة قم يا عـــلي قم يا عبيدة ابن الحارث .

« ينهض الثلاثة ويتقدمون للمبارزة »

عتبة : من انتم ؟

حمزة : انا حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله .

عتبة : كفء كريم وانا اسد الحلفاء . من هذان معك ؟

حمزة : على بن ابي طالب وعبيدة بن الحارث .

عتبة : كفئان كريمان وهذان معي الوليد ابني رشيبة اخي قم يا وليد قم يا شيبة .

يبارز علي الوليد فيختلفان ضربتين ويقتله علي

Marfat.com

ويبارز حمزة عتبة فيختلفان ضربتين ويقتله حمزة ثم يبارز عبيدة شيبة فيضرب شيبة رجل عبيدة وهو اسن اصحاب النبي بذباب السيف فيصيب عضلة ساقه فيقطعها فيكر حمزة وعلي على شيبة فيقتلانه ويحتملان صاحبهما عبيدة الى صفوفهم».

ابو جهل : (يصيح في قومه) احملوا عليهم.

محمد : (لأصحابه) لا تحملوا حتى آمركم ان اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل.

« يدنو الفريقان احدهما من الاخر
وتقذف صفوف النبي بالنبل على قريش»

ابو بكر : (صائحاً) ايها المسلمون اجعلوا شعاركم أحد أحد.

محمد : (يدخل العريش ويرفع رأسه الى السماء في قلق وفرق) يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم.

ابو بكر : (يتبع محمداً) يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك.

محمد : (ناظر الى السماء) اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد.

عمر : (يدنو من العريش شاهراً السيف ويخاطب سعد بن معاذ) قم يا سعد على باب العريش مع نفر من الانصار تحرسون رسول الله بسيوفكم فاني اخاف عليه كرة العدو.

Marfat.com

ابو بكر : (لعمر في اطراق وحزن) ان العدو كثير .

عمر : (في كآبة) ثلاثة امثالنا ويزيدون .

محمد : (في العريش يبتهـــل) يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم .

« ارتفع بين صفوف النبي صيحة »

عمر : (يلتفت) من هذا ؟

ابو بكر : (يلتفت) هذا مولاك مهجع قد رمى بسهم فقتل

عمر : رحمة الله عليك يا مهجع .

« صيحة اخرى ترتفع »

ابو بكر : انظر هـــذا حارثة بن سراقة رمى ايضاً وهو يشرب من الحوض .

عمر : (ينظر) نعم لقد اصاب السهم نحره .

ابو بكر : رحمتك اللهم رحمتك اللهم .

عمر : (في قلق) اخشى ان تكون علينا الدائرة .

محمد . «يبتهل وقد تصبب عرقاً » يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم .

« يجلس النبي ويخفق قلبه »

عمر : (جزعاً) ما برسول الله انظر .

ابو بكر : (همساً في قلق) صه .

عمر : (في صوت خافت) ان رسول الله قد خفق .

Marfat.com

ابو بكر : (في اطراق) نعم .

عمر : اخاف ان يدب الخور في اصحابنا .

ابو بكر : (كالمخاطب نفسه) اللهم عونك .

عمر : انظر اليس هذا ابن الحمام قد ترك القتال وانتحى وفي يـــده تمرات يأكلهن .

ابو بكر : (ناظراً الى السماء) اللهم عونك اللهم عونك .

محمد : (ينتبه ويصيح) يا ابا بكر يا ابا بكر .

ابو بكر : لبيك يا رسول الله .

محمد : ابشر يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل آخذاً بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع .

ابو بكر : (في فرح) اجاءك الوحي في هذه الخفقة يا رسول الله ؟

محمد : نعم

ابو بكر : (لعمر) ابشر ابشروا ايها المسلمون .

محمد : (يخرج للقوم صائحاً) يا معشر المسلمين شدوا .

المسلمون : (يحملون على العدو صائحين) أحد أحد .

محمد : (صائحاً) والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر الا ادخله الله الجنة .

ابن الحمام : (وفي يده التمرات يأكلهن) بخ بخ فما بيني وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء .

« يشير الى الاعداء ثم يقذف التمرات
من يده ويأخذ سيفه ويقاتل العدو »

محمد : (يصيح في اصحابه) شدوا شدوا .

Marfat.com

المسلمون : (يقاتلون في حماسة وهم يصيحون) احد احد .

محمد : (يأخذ حفنة من الحصباء فيستقبل قريشاً بها) شاهت الوجوه شاهت الوجوه .

عمر : (لمعوذ بن عفراء وعبد الرحمن بن عوف) يا ابن عفراء عليك بأبي جهل اجعله مـــن شأنك وانت يا ابن عوف عليك بأمية بن خلف .

محمد : (لاصحابه) مـن لقي منكم العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فإنه انما اخرج مستكرها .

ابو حذيفة بن عتبة : (لاحد الانصار) العباس .

الانصاري : نعم عم رسول الله .

ابو حذيفة : (لأصحابه) نقتل آباءنا وابناءنا واخواتنا وعشيرتنا ونترك العباس ؟ والله لان لقيته لألجمنه بالسيف .

محمد : (لعمر) أسمعت ؟

« عمر يتميز غيظاً »

محمد : (لعمر) يا ابا حفص أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف .

عمر : (غير متمالك) يا رسول الله دعني فلأضرب عنـــق ابي حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق .

محمد : (يمسك بعمر) رفقاً بـــه ، لقـــد رأى اباه يقتـل امام عينه اليوم .

ابو بكر : (لعمر) صدق رسول الله يا عمر .

محمد : (يلتفت الى المسلمين ويصيح) شدوا شدوا .

Marfat.com

المسلمون : (في حماسة) أحد أحد .

« يحمى وطيس القتـــال ويثخن المسلمون اعداءهم قتلا واسراً وسلباً ويستلب عبـــد الرحمن بن عوف أدراع أحـــد القتلى ويأسر أمية بن خلف وابنه »

عبد الرحمن بن عوف : (رافعاً السيف) ها انت يا امية بن خلف .

أميـــة بن خلف : (لعبد الرحمن) يا عبد الالـه لا تقتلني ان من اسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن .

عبد الرحمن : (يرى ابن أمية بجواره) وهذا ابنك ؟

امية : (في تضرع) لا تقتله .

عبد الرحمن : (يأخـذ بيده وبيد ابنه) اتبعاني ولا تخشيا شيئاً .

امية بن خلف : (ينظر الى حمزة في المسلمين يطيح رؤوس الاعداء) يا عبد الإلـه من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره ؟

عبد الرحمن : (ينظر) ذاك حمزة بن عبد المطلب .

امية بن خلف : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل .

« بلال يرى أمية بن خلف بن عبد الله »

بـــلال : (يصيح) رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا .

عبد الرحمن : (يشير اليه بالصمت) اي بلال اسيري .

بـــلال : (يصيح) لا نجوت ان نجا .

عبد الرحمن : (يحول بين بلال وبين اسيريه) اتسمع يا ابن السوداء ؟

بـــلال : (يصيح) لا نجوت ان نجا (ثم يصرخ بأعلى صوته)

Marfat.com

يا انصار الله رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا .

« يأتي رهـــط مـــن المسلمين
ويحيطون بالأسيريـــن ويضرب
ابن امية بن خلف بالسيف فيقع »

امية بن خلف : (يصيح صيحة منكرة) ولداه .

عبد الرحمن : (لأمية بن خلف) انج بنفسك ولا نجاء بك فوالله ما ما اغني عنك شيئاً (ثم يبحث عن ادراعه فيجدها قد ضاعت في الموقعة) ادراعي اين ذهبت ادراعي ؟

أحد المهاجرين : (يهبر امية بسيفه حتى يفرغ منه كذلك) خذها يا عدو الله .

بـــلال : (صائحاً في فرح) الحمد لله مات عدو الله احد احد .

عبد الرحمن : (لبلال) لك الله يا بلال ذهبت ادراعي وفجعتني بأسيري .

بـــلال : (يصيح في حماسة) أحد أحد .

معوذ : (باحثاً عـــن أبي جهل في الصفوف) اين اللعين ابو جهل ؟

بـــلال : (يصيح) ها هو ذا قد انفرد وشغل عنه القوم بأنفسهم .

معوذ : (يتجه نحو ابي جهل ويضربه فيقع) خذها يا لعين .

ابو جهل : الي يا عكرمة .

يسرع اليه ابنه عكرمـــة فيضرب معوذاً عـــلى عاتقه
فيطرح يـــده فتتعلق بجلده من جنبه فيتركها ويقاتل

Marfat.com

وهو يسحبها خلفه حتى تؤذيـــه فيضع قدمه عليها
ثم يمتطي بها عليها حتى يطرحهـــا ويذهب الى ابي
جهل وبه رمق »

معوذ : هل اخزاك الله يا عدو الله ؟

ابو جهل : (في حشرجة الموت) وبماذا اخزاني ؟ أعار على رجل قتلتموه اخبراني لمن الدائرة اليوم ؟

معوذ : لله ولرسوله .

« ابو جهل يلفظ النفس الاخير فيجتز معوذ رأسه »

محمد : (عند عريشه ينظر الى أصحابه وقد اسروا عدداً كبيراً مـــن قريش) ان الغلبة للمسلمين .

سعد : انهم يأسرون .

محمد : (في فرح) مرحى مرحى .

سعد : والله اني .

محمد : والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم .

سعد : اجل والله يا رسول الله كانت اول وقعة اوقعها الله باهل الشرك فكان الاثخان في القتل باهل الشرك أحب الي مـــن استبقاء الرجال .

محمد : انظر لقد فر المشركون .

معوذ : (يقدم حامـــلاً رأس ابي جهل) يا رسول الله هذا عدو الله ابو جهل .

محمد : (مهللاً) الله اكبر ذو الملكوت والجبروت .

Marfat.com

معوذ : نعمَ الله ذو الملكوت والجبروت .

« ثم يلقي الرأس من يده »

محمد : (في فرح) الله الذي لا إله غيره الله الذي لا إله غيره .

عمر : لقد تم النصر يا رسول الله .

معوذ : وفر من بقي من المشركين قافلين .

سعد : الا نلقي بجثث القتلى من المشركين في القليب يا رسول الله

محمد : نعم .

يجمع سعد ورهط من المسلمين جثث قتلى المشركين
ويلقون بها في القليب »

سعد : (يقذف بالجثث) هذه جثة امية بن خلف وقد انتفخ في درعـــه فملأها وهذه فيما ارى جثة ابي جهل بلا رأس .

معوذ : (يلقي اليه رأسه) تلك رأسه .

سعد : وهذه جثة عتبة .

« ابو حذيفة بن عتبة يقف ينظر الى جثة ابيه وهو كئيب قد تغير »

محمد : (يلحظ ذلك منـــه) يا ابا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن ابيك شيء .

ابوحذيفة : (يرفع رأسه) لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه ولكنني كنت اعرف من ابي رأياً وحلماً وفضلاً فكنت أرجو ان يهديه ذلك الى الاسلام فلما رأيت ما أصابـــه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت ارجو

Marfat.com

له أحزنني ذلك .

محمد : (في تأثر) جزاك الله يا ابا حذيفة .

عمر : يا رسول الله الا نبعث أحداً الى المدينة يبشر الناس بنصر الله .

محمد : نعم .

ابوبكر: (لعمر) فليذهب زيد بن حارثة بشيراً الى المدينة يخبرهم بسلامة رسول الله والمسلمين .

محمد (يتجه الى القليب) يا اهـــــل القليب بئس عشيرة نبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس واخرجتموني واواني النـــــاس وقاتلتموني ونصرني الناس هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً .

سعد : (متعجباً) يا رسول الله اتنادي قوماً قد جيفوا ؟

محمد : ما انتم باسمع لما اقول منهم .

من كتاب « محمد رسول البشر »
لتوفيق الحكيم

Marfat.com

فهرست

المقدمة	٣
من القرآن الكريم	٥
القراءة وكيف نستفيد منها	٩
القرآن	١٣
الاذاعة	١٦
النهضة الصناعية	١٩
فلسطين والضمير الانساني	٢٣
لبيك يا ارض الجزيرة	٢٥
ابن تيمية	٢٨
التسامح وعلو الهمة	٣٤
الايمان بالقضاء والقدر	٣٦
نوادر اشعب	٣٩
قصة العقاقير	٤١
قصة يتيم	٤٤
شجاعة وذكاء	٤٨
معن بن زائدة وابو جعفر المنصور	٥٠
نجد	٥٢
الادخار عند الحيوان	٥٦
بين الفصحى والعامية	٥٨
واجبنا تجاه المواهب والكفاءات	٦١
الحياة في قاع البحار	٦٦
الرفق بالخدم	٦٨
الذئب	٧٢
المعنى السياسي في العيد	٧٥
أول لقاء	٧٨
الحضارة والشرق	٨٢
التعاون	٨٥
الخضر	٩٠
العنكبوت	٩٧
أم عربية	١٠١
الأمام ابو حنيفة النعمان	١٠٦
يقولون	١١٣
الجراثيم والانسان	١١٦
عاشقة السلام	١١٩
واجب الشباب	١٢٨
الحرية	١٣٦
عمر وجبلة	١٣٩
وصايا الآباء للابناء	١٤٥
طير الصيد	١٤٩
مثل عليا اسلامية عربية	١٥٤
بطولة ووفاء	١٦٢
لغة الاشارة	١٦٦

Marfat.com

الربيع	١٧١
دمشق	١٧٤
في غار حراء	١٨٠
خولة بنت الازور	١٨٥
الذبابة أخطر من القنبلة الذرية	١٩١
ابن بطوطة	١٩٥
وفاء نادر	١٩٩
لا حر بوادي عوف	٢٠٣
الراعي	٢١١
في ملعب الكرة	٢١٤
حديث ليلى الاخيلية مع الحجاج	٢١٧
مصرع الزباء	٢٢٣
عكاظ	٢٢٨
في صحن الجامع الاموي	٢٣٣
وفود العرب على كسرى	٢٣٧
سفينة الصحراء	٢٤٤
عروة وعفراء	٢٤٩
المربد	٢٥٥
حاكم زاهد	٢٦٠
مروءة ووفاء	٢٦٦
العلم والغذاء	٢٦٩
الحطيئة والزبرقان بن بدر	٢٧٤
صاحب النقب	٢٧٩
من معجزات الهجرة	٢٨٣
من امثال العرب	٢٨٨
الملاريا	٢٩٤
هل الحروب تطوي الحضارات	٢٩٩
اعظم الوفاء	٣٠٥
العالم والقنبلة الذرية	٣١٢
نسيبة بنت كعب المازنية	٣١٦
ايام العرب (حرب البسوس)	٣١٩
عربي في الاندلس	٣٢٣
غزوة بدر	٣٢٧
فهرست	٣٤٣

Marfat.com

Marfat.com

Marfat.com

Marfat.com

١٢٥٠

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف

قامت وزارة المعارف بطبعه وقررت تدريسه في المدارس الثانوية

المطالعة الثانوية

الجزء الأول

تأليف

محسن أحمد بارُوم — جميل احمد ابو سليمان

احمد عبد الله ابراهيم — احمد الرفاعي حسين

الطبعة الثالثة

١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م

يُوزَّع مجانًا
وأيّة نسخة تُباع تُعتبر مسروقة

Marfat.com